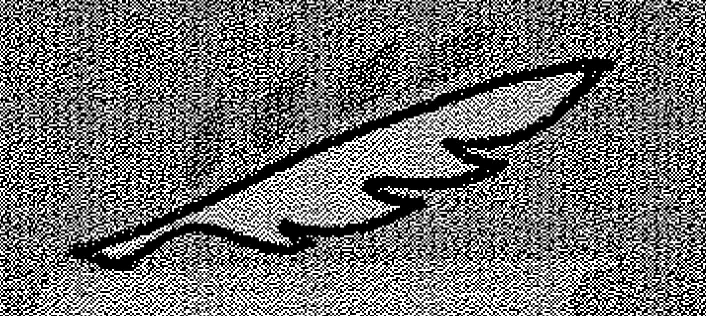
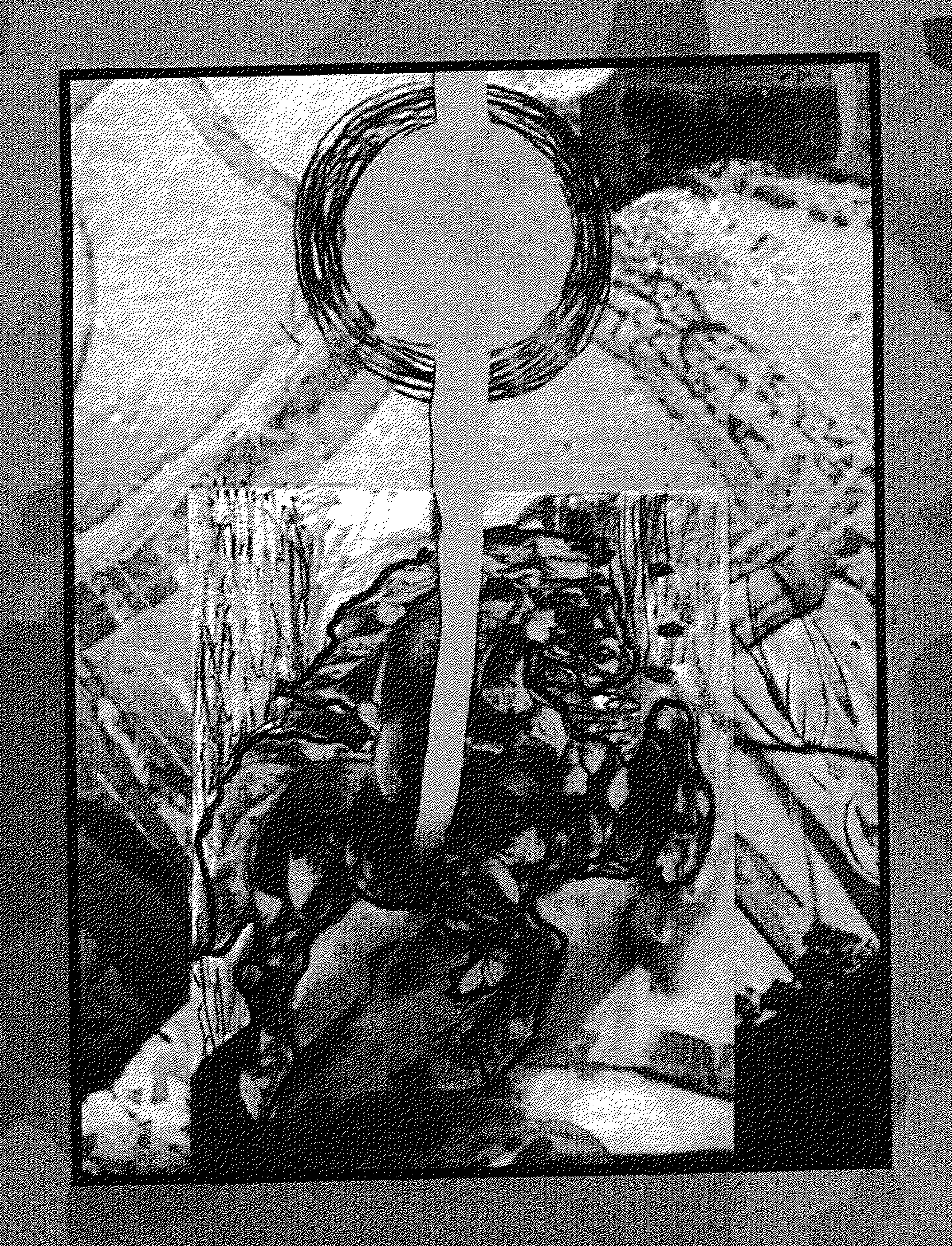


اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق

أ.د.حسين جمعة

المقاومة

قراءة في:
التاريخ والواقع والآفاق



دراسة

إهـــــــداء ٢٠٠٨

الأستاذ الدكتور / خالد عزب

الإسكندرية

المقاومة

قراءة في: التاريخ والواقع والآفاق

البريد الالكتروني: E-mailnet.sy@vunecri
aru@net.sy
موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu‒ dam.org

الإخراج: سندبا عثمان

❑❑

أ . د . حسين جمعة

المقاومة

قراءة في :

التاريخ والواقع والآفاق

دراسة

دمشق - 2007

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

" كُتب عليكم القتال وهو كره لكم؛ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهـو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون".

(البقرة 216/2)

صدق الله العظيم

المقدمة

لا مـراء فـي أن الحياة الثقافية ــ بما فيها من الإنجازات الفكرية والأدبية والفنـية... قد أخذت تتراجع في المنتصف الثاني للقرن العشرين لصالح الحياة السـياسية، ثـم الاقتـصادية والتقنية، والإيديولوجية الخالصة... ومن ثم جاءت الحـياة الاجتماعية ملبية لذلك فتغيرت المفاهيم؛ وتبدلت القيم، وربما حكم عليها بالـتخلف... وكانت الأعمال الأدبية ــ على الدوام ــ تمثّل روح الأمة، وشفافية ألقهـا النفسي في التعبير عن القيم الموروثة وقد رَصَد قسم منها مثل هذه الحال. فالجهـاد ــ وفي ظل التأثير الثقافي السياسي الغربي ــ غدا عبئاً على حياة عدد غيـر قليل من الأفراد، بل إن حكومات عربية عدّة طفقت تغيّر رؤيتها له، وكذا يتجه التغيير إلى مفاهيم أخرى كالعدالة والصدق...

وفـي ضوء هذا الوعي كانت المفاهيم الثقافية للأمة العربية والإسلامية تقع تحـت ضغط التأثر والتأثير المتبادل؛ فتغنى، وتثرى، وتتطور تارة، وتضطرب ويـشوبها القلق والضبابية، ثم الانحراف والتراجع إلى الوراء تارات أخرى؛ إن لم نقل إنها ثقافة أخذت تذوي وتتهاوى أمام نظريات الآخر الغربي وقوته التقنية والإعلامـية.... فالثقافة العربية الإسلامية ــ اليوم ــ ابتليت بمفهوم انزياح القيم الأصيلة والمبادئ الثابتة.

وهذا يشي بأن الغرب ــ جعل الثقافة مظهراً من أهم مظاهر الصراع بين الأمـم، وسعى إلى إثبات ثقافته المستندة إلى مفاهيمه الفكرية والفلسفية، وطبيعة حـياته الماديـة، ومن ثم فرْضها على الآخر وفق قانون (الغالب والمغلوب)... علـى اعتـبار أن مـن ملك الثقافة ملك عقول الناس جميعاً قبل عواطفهم؛ وفي صـميم هـذا التصور تقع ثقافة العولمة. المستفيدة من قابلية الرضا لدينا، ومن شعورنا بالضعف والتقصير...

وبـناء علـى مـا تقدم خصصنا ***الفصل الأول*** لتناول ***فكرة الجهاد بين الآبـاء والأبناء*** مـنذ أن كانت غزواً إلى أن غدت كفاحاً تحررياً إنسانياً.. كما

تتمــثل عــند الآباء الأجداد الأوائل على امتداد العصور، وكذا هي عند الأبناء حتـــى يومنا هذا... دون أن نتغافل عن ذكر فكرة الجهاد بين الآباء والأبناء في الزمن الواحد باعتبارها وجهاً من وجوه الحفاظ على الذات...

ولما كانت مادة البحث في شأن الجهاد متنوعة ومتشعبة الاتجاهات فقد اجتزأنا منها بالأصول الأولى التي بُني عليها مفهوم الجهاد... لأن هذه الأصول تؤكد أنه مفهوم إنساني راقٍ اعتمده العرب في سياق الدفاع عن النفس ومقاومة كل معتدٍ أثيم على الأرض والشرف، وكذا كان على الدوام عند المسلمين دفاعاً عن الذات وكينونة الوجود وتحرير الأرض ما جعل علماء الدين يصدرون فتاواهم بشرعية المقاومة والعمليات الاستشهادية... على حين يسعى الآخر الغربي الأمريكي الصهيوني ــ اليوم ــ إلى دمغ نضال العرب بالإرهاب، وإدانة كفاحه بمثل ما يُدين موته...

ثــم لمــا كانت الأصول التاريخية الأولى لفكرة الغزو/ الجهاد ذات رؤية كونية وثقافية ثم دينية عقيدية، وذات أشكال كثيرة اخترنا منها ما يلبي غرضنا، وشفعنا ذلك بصورة أدبية وفنية من التراث العربي القديم بوصفها نماذج روحية وماديــة تجــسد قيمة تفاعل الأدباء آنذاك ــ شعراء وناثرين ــ بأحداث الأمة، وتعبــر عــنها بشفافية رفيعة ما زلنا نستلهم دلالتها حتى الساعة... وأردنا لهذه الــنماذج المخــتارة أن تــستوعب تعدد الرؤى الفكرية قبل الأدبية والفنية على اعتــبار أن الأدب يعدّ وثيقة تاريخية مساعدة للوثيقة التاريخية الزمانية والمكانية والسكانية...

لهــذا كلـــه من يتأمل الوجود التاريخي والإنساني والكوني يدرك ضخامة أحــداث الدورة الزمانية التي لحقت بهذا الوجود من خلال صميم الصراع حول فكــرة الحــياة والموت.. وفي ضوء تأمل هذا الصراع الوجودي يرى المرء أن المخلــوقات أياً كان نوعها تحقق ذاتها والدفاع عنها بحركة تلقائية داخلية لإقامة توازنها الوجودي في إطار نظامها الخاص. وهذا التصور هو الذي فرض علينا أن نــتحدث فـــي ***الفصل الثاني*** عن (***المقاومة الفكر والجدوى***) وفق منهج المنطق التاريخي المعانق لمبدأ التحليل والبعيد عن المنطق الإنشائي.

وعليه نجد أن عالم النبات يجدد ذاته في ضوء عملية الإنتاش والإنبات مع الطبيعة الجامدة والمتحركة دون أن يقصد إلى أذية الآخر.. في الوقت الذي نجد أن بعض النباتات لا تقوم حياتها إلا على أساس التغلب على الآخر.

أمـــا عـــالم الحـــيوان ــ وبما يستند إليه وجوده بما فُطر عليه ــ فإن حالة الـــتوازن تعتمد على مبدأ صراع الأقوى، علماً أن بعض الحيوان لا يعتدي على بنـــي جنسه إلا في حال تهديد الآخر لوجوده.. أما الحيوان المعتدى عليه ــ وإن كـــان الأضعف ــ فلا يمكنه أن يسلّم بالموت المحتوم ولكنه يلجأ فطرة وغريزة إلى فعل المقاومة للدفاع عن وجوده؛ ما يعني أن المقاومة، أو الممانعة، بما فيها القتال المادي إنما هي في طبيعتها الأصلية فعل غريزي مقاوم للدفاع عن الحياة والوجود في إطار قانون القوة الطبيعي.

أمـــا مـــبدأ المقاومـــة لدى الإنسان فإنه يأخذ اتجاهات شتى في الدفاع عن الوجـــود وأنـــواعاً عـــدة مـــن المقاومة الجسدية إلى المقاومة المعنوية الروحية والمعـــرفية، علمـــاً بأن فلسفة مقاومة القوة المادية لدى بعض الأجناس البشرية تـــتخذ مفاهـــيم الانـــدفاع العشوائي الذي يجعل أصحابه يحطمون كل نمط من الأنمـــاط الحـــضارية والإنـــسانية لغلـــبة الخشونة عليها، أو لغلبة البداوة غير المتحـــضرة كما انتهى إليه ابن خلدون (732 ــ 808هـ /1332 ــ 1406م) في حديثه عن أعمار الدول.

فـــإذا تملكت قوة البدن والعناصر المادية من النفس وانتصرت على حكمة العقـــل غلب عليها قانون القوة الطبيعي، من أجل الحصول على المنافع الخاصة بأصـــحابها. ومـــن ثـــم قادنـــا هـــذا المفهوم إلى الحديث عن مقومات المقاومة وأركانهـــا، وبيان حقيقة المشروع الأمريكي الصهيوني الساعي إلى الهيمنة على العـــالم عامة والوطن العربي خاصة.... ولعل هذا كله فرض علينا إبراز ثقافة المقاومة والوعي بالوجود الوطني القومي من خلال المقاومة الوطنية اللبنانية.

ولمـــا كانـــت القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى ولما مثلت انتفاضة الأقصى حالة نوعية في الحياة العربية فقد حاول ***الفصل الثالث*** من كتابنا إثبات ماهية الانتفاضة / المقاومة الفلسطينية؛ لكونها غدت طقساً يتجدد مادام الاحتلال قائمـــاً للأرض والحياة والوجود ... وفي إطار التجربة التاريخية، واستناداً إلى

المبادئ الدينية والإنسانية والشرائع الدولية ومبادئ الحق الطبيعي في الوجود ...

ومن ثم فهو يقف عند أبعادها ونتائجها ... فمن أبعادها أن انتفاضة الأقصى التي تفجرت في (2000/9/28م) أعادت باندلاعها الزمن النضالي العربي كله إلى الظهور وظهرت معها صحوة سياسية ونضالية، حين استندت إلى مفاهيم الشهادة الراقية باعتبارها دفاعاً عن الوجود ضد محتل صهيوني غاصب للأرض والحياة ... مما جعلها تسقط مزاعم الكيان الصهيوني حين صور نفسه للعالم بأنه المعتدى عليه، وبأن المقاومة تنشر الإرهاب ضد أبنائه ... ولهذا فمن حق الكيان الصهيوني – كما يزعم قادته – أن يقوم بإجراءات أمنية مهما بلغت وحشيتها للدفاع عن نفسه ...

وقد أخذت انتفاضة الأقصى في عامها الخامس سنة (2004م) توضح بأن إسرائيل إنما هي دولة إجرامية تتحايل على القانون الدولي وعلى اتفاقية (جنيف الرابعة) المؤرخة في (1949/8/12م) الخاصة بحماية المدنيين. ومن ثم فهي التي تصنع الإرهاب وتزرع الرعب الذي أثّر في أبنائها أنفسهم؛ فأخذوا يفكرون بالهجرة المعاكسة بعد أن أصيب كثير منهم بالأمراض والشذوذ، بل شرع بعضهم يقدم على الانتحار ... ولا سيما بعد تراجع التنمية لدى الكيان، وازدياد الفقر، وسقوط مفهوم الأمن القومي (الإسرائيلي) ... واختلال البنية الديمغرافية للسكان حيث أثبتت المرأة الفلسطينية أنها أهم عنصر في معادلة الصراع.

وبهذا كله انتصرت الانتفاضة / المقاومة، وإن استطاعت قوى داخلية وخارجية أن توقفها إلى حين. ولا شيء أدل على هذا من الفتنة المأساة التي حدثت في الاقتتال الدامي بين الأخوة الفلسطينيين (حماس وفتح). وهو اقتتال حدث غير مرة؛ وقد أدى إلى انقسام حاد بين المقاومين، في شهر حزيران (10–2007/6/16م)؛ في الوقت الذي كان عليهم أن يقفوا في الذكرى الأربعين لهزيمة (1967/6/5م) يداً واحدة... كان ينبغي عليهم ألا يقعوا في قابلية الفتنة التي خطط لها الصهاينة برعاية الإدارة الأمريكية المحافظة بقيادة بوش الابن. ولعل ما وقع بين الأخوة الفلسطينيين يعد هزيمة أخرى لا يقل تأثيرها في النفس العربية عن هزيمة حزيران، فالقضية الفلسطينية تكاد تضيع برمتها... وعلى

الـــرغم من هذا الواقع البائس فإننا نرى أن المقاومة ستبقى الطقس المختزن في داخـــل كل فرد فلسطيني وعربي وسيظل ألقها متأججاً، تراجعها الذاكرة العربية فـــي أزمات الشدة منذ اليبوسيين إلى ثورة البراق ثم انتفاضة الحجارة .... حتى الـــيوم. إنهـــا المعادل الوجودي للحياة في الرّدّ على كل حيل الصهاينة وغدرهم ووحشيتهم في قتل الآخر واغتصابهم للأرض ... فالضحية العربية لا تعيش مع المفترس الصهيوني.

وفـــي ضوء ذلك كله ينبغي أن نؤسس لثقافة المقاومة بكل أشكالها المادية والمعـــنوية، مـــن أجل تحقيق مشروع ثقافة السلام المتسامحة التي نشأت عليها الأمـــة، علـــى اعتـــبار أن ثقافة المقاومة استجابة إنسانية تظهر بتجليات متعددة تعبـــر عـــن وعـــي الإنسان بالتاريخ وبالواقع المعيش، والموضوعي فضلاً عن وعـــيه بالـــذات الإنـــسانية. وهـــذا ما يعالجه ***الفصل الرابع*** بعنوان (***ثقافة المقاومـــة بـــين السلام والاستسلام***)؛ وأول ما يظهر لنا من تجليات الثقافة الوطنـــية والقومـــية والإنـــسانية أن ثقافة المقاومة هي التي تستجيب للتحديات المفروضـــة علـــى الـــشعوب والدول. وهي مقاومة تستند إلى الإرادة والوعي والـــصدق والقـــوة، مـــا يجعلها تقف في وجه كل من يستبيح قيم الحق والعدالة ويـــستهين بالإنسان وحقوقه وكرامته باعتبارها موقفاً نضالياً وأسلوباً دفاعياً عن الـــذات والوجود والهوية والثقافة. ومن ثم فهي تجسد رسالة الإنسان في تأسيس مـــبدأ الحق والخير والسّيادة لمحاربة الاغتصاب والاعتداء والقهر والإهانة؛ أي إنهـــا ثقافة أمة تعبر عن مصالح أبنائها وتستند إلى الثقة بالذات في الوقت الذي تنفـــتح علـــى المـــثاقفة مـــع الآخـــر دون أن تـــصاب بالاستلاب، والاستنساخ والتبعـــية.... وهنا يكمن القصد، وإليه يتجه البحث، لنعرف أين تقع ثقافة السلام والاستـــسلام مـــن ثقافة المقاومة بوجوهها السلمية أو المدنية، ولاسيما أن كثيراً مـــن أبـــناء الأمـــة لـــم يعـــد يحتفي بمفاهيم الجهاد والنضال والتضحية بالنفس والـــشهادة؟!!. فقـــد أصـــبح الحديث عن المثل العربي المشهور (اطلب الموت تـــوهب لـــك الحـــياة) مدعاة للتندّر، وأضحى الشهيد والفدائي في زعم عدد من الناس انتحارياً إرهابياً لا يريد إلا قتل الأبرياء.

ولعـــل ذلـــك كله فرض علينا أن نتحدث عن عملية السلام في المنطقة؛ ثم أتبعـــناه بالكلام على مفهوم السلام الاستسلام والفرق بينهما في ضوء ما يجري

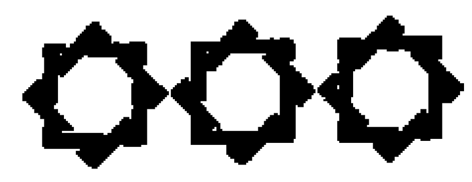
مــن أحداث ورؤى تجتاح الأمة العربية، ليستقر الفصل الرابع عند شرح حقيقة (ســقوط الأســطورة الصهيونية) على يد المقاومة الوطنية اللبنانية البطلة بقيادة حزب الله.

وإذا كــنا قد اعتمدنا المنهج التاريخي الموضوعي في معالجة موضوعاتنا فإنــنا ذهبــنا إلــى قراءة (المقاومة: التاريخ والواقع والمستقبل) محللين الحدث؛ طبيعة ووظيفة وغاية، داخلياً وخارجياً، ساعين إلى تحقيق الوعي بما يحيط بنا، مستــشرفين كيفية بناء الرؤى الشاملة والصادقة لبناء مستقبل أمتنا؛ سيدة كريمة موحدة.

ولــست أشك لحظة واحدة في أننا أفدنا من الدراسات الكثيرة التي تناولت موضــوع المقاومــة، بيد أنها لم تقل الكلمة الأخيرة فيه؛ ما يشي بأن محاولتنا ستنــضم إلى تلك الدراسات لتقول كلمتها، ولعلها تحقق الهدف المرجو لها، وإذا وقعنا في الزيغ أو النقص، فلنا من إرشاداتك ــ أخي القارئ ــ ما يقوّم ذلك.

والله من وراء القصد

حسين جمعة



الفصل الأول:

فكرة الجهاد بين الآباء والأبناء

1 ـ مدخل.

2 ـ تأثيل فكرة القتال عند العرب.

3 ـ فكرة الجهاد في العقيدة الإسلامية.

4 ـ نماذج من الأدب والتاريخ الإسلامي.

فكرة الجهاد بين الآباء والأبناء

- قراءة موضوعية لصور من التاريخ والأدب القديم -

1 - مدخل:

لما كانت الأمة العربية قد عاشت حالة التحرر من الأجنبي نحو منتصف القرن العشرين، ثم عاشت مرحلة الاستقلال بعده..فإننا نرى أنها تعيش اليوم — وهي على مشارف نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول لعام 2001م — حالة من الضياع في الهوية والمفاهيم والثوابت الأصيلة في القيم والعادات.... فالمفاهيم الفكرية والثقافية تعاني أزمة حقيقية على مستوى أبناء الأمة جميعاً، ولا سيما مفكريها ومثقفيها وقادتها... بعد أن مرّت بحالات من النهوض الحيوي للقضاء على التجزئة والتخلف والفقر والقهر...

ولعل أشدّ أزمة تحيق بنا ما يتعلق بمفاهيم الكفاح الوطني والقومي للتحرر من ذلِّ القيد، واستعباد الآخر الغربي والصهيوني للنفس والأرض والشجر...

ويبدو أن دعوى الغرب الأمريكي الصهيوني، وغير قليل من الأوروبيين شرعت تلاقي قبولاً في نفوس بعض أبناء العرب والمسلمين... ولا سيما ذوي النفوذ والفكر... ومن ثم طفقوا يغيرون في طبيعة مناهج التربية والتعليم بزعم قبول الآخر الغربي والانفتاح عليه، والانسجام مع الحضارة الحديثة... ثم وصل الأمر إلى مادة التربية الإسلامية ومناهجها ومفرداتها، فوجهت نحو ذلك الهدف في عدد من الأقطار العربية كما هو حال الجزائر التي أصدرت القوانين لذلك.

ومن ثم بدأنا نغير أنفسنا ومناهجنا وتاريخنا استجابة لرغبة الآخر الغربي أو لضغوطه؛ بل شرعنا نحاكم عقيدتنا ومفاهيمنا وثوابتنا.... من دون وعي —

وربما بوعي وتصميم ــ وصرنا نبدل معطيات الفكر الثقافي وأصوله التاريخية الإنسانية... فالجهاد ــ عقيدة ومبدأ ــ لم يكن عند العرب يوماً وسيلة للقتل والاعتداء على الآخر وقهره وإذلاله واستعباده؛ وكل مثقف منصف يدرك أن فكرة الجهاد اتجهت اتجاهاً إنسانياً حين اتسعت دلالاتها في العصر الإسلامي، وغدت دعوة خيِّرة للآخر؛ لانتشاله من وهدة الشرك والكفر وعبادة الأصنام إلى رحابة الوحدانية والإيمان والتعبد لله الواحد القهَّار... إنها دعوة قائمة على الحوار، ومن ثم القبول أو الرفض الطوعي بعكس ما نجده في التوراة والتلمود وعند الغرب القديم والحديث...

لهذا كان لا بد من تأثيل فكرة القتال عند العرب منذ أن وجد الجنس العربي، بكل تصنيفاته أو تسمياته، ولابد من الإشارة السريعة إلى منازله التي نزل بها، وتكثيف معرفة تفاعله مع الآخر الفُرْسي أو الرومي... وتقبله له على الرغم من مجيئه في العصر الجاهلي غازياً معتدياً قاتلاً للعربي غاصباً لأرضه؛ منشئاً عليها إمبراطوريته... ومن ثم لابدّ من معرفة حقيقة مفهوم الجهاد بالنفس والمال في العقيدة الإسلامية وتقديم عدد من صوره الأدبية في إطار من الأحداث التاريخية.

2 ـ تأثيل فكرة القتال عند العرب:

لم يستعمل مصطلح (الجهاد) في العصور التاريخية القديمة أو في العصر الجاهلي وفق مفهومه الإسلامي، ولكن الأحداث التاريخية للمجتمع العربي القديم أصّلت للحقل الدلالي لمفهوم القتال بنزوعه الإنساني الوجودي. ولذا ليس من مهمات هذا الفصل أن يستفيض بالحديث عن المجتمع العربي القديم والمواطن التي استقر بها منذ فجر التاريخ باعتبارها مواطن عربية من اليمن إلى ديار بكر في تركيا ــ اليوم ــ فهناك عدد غير قليل من المؤلفات القديمة والحديثة قد تصدت لهذه المسألة...

ومن يرجع إلى تاريخ حلب أو حمص أو حماة أو أريحا أو دمشق ـ مثلاً ـ[1]، يدرك اتصال الجنس العربي في الأراضي التي سكن فيها على اختلاف التسميات. فأرضه أرض أولئك الأجداد الأوائل من البابليين والسومريين والأكاديين والآراميين والفينيقيين، والكنعانيين والأنباط والحثيين و... ثم جُرْهُم

---

[1] *انظر: معجم البلدان (تبعاً لكل بلد).*

والعَمَالــيق الذين نزلوها قبيل العصر الجاهلي، إلى أن نزلتها القبائل العربية من إيــاد والغــساسنة والمناذرة وقيس وبكر وتغلب وكلب وتنوخ و... وفي أسفار الــتوراة مــا يوضـــح أن يوشع بن نون غزا بعض العرب وانتزعهم من مدنهم الجنوبــية مثل أريحا في فلسطين. وقد زور الأحبار كثيراً من الأخبار في سفر يوشــع من الكتاب المقدس، فذهبوا إلى أن يوشع بن نون (ت 1186 ق.م) غزا جــنوب بــلاد الشام وما حولها وطرد أهلها منها تحت مظلة دعوة الأمر الإلهي لقــومه... حيث يقول: "بهذا تعلمون أن الله الحي في وسطكم وطراداً يطرد من أمــامكم الكنعانيــين والحثيين والحوريين والفرزيين والجرْجاشيين والآموريين واليبوســيين"[1]،... ولما هاجم مدينة أريحا مفاجئاً إياها احتلها واستباحها لسبعة أيــام؛ بعــد أن "هدمها وقتل أهلها جميعهم لم يترك شيخاً ولا طفلاً رضيعاً ولا شاباً ولا امرأة؛ فسالت الدماء أنهاراً. ثم تابع زحفه على بقية مدن فلسطين يعمل الــسيف والقــتل والتدمير"[2]. وعلى شكنا في صحة الخبر وصاحبه أصلاً، لكن مــن لفّقــه يثــبت أن قــتل اليهود للعرب مباح ومشروع، ولا يعيب اليهود أن يوصــفوا بالوحشية والهمجية من أجل سرقة أرض الآخر المغاير؛ وقتله. وهذا مؤيد في الإصحاح السادس من سفر يشوع؛ إذ كانت المدينة كلها مستباحة لرّب يــشوع مــا عــدا (راحاب) الزانية التي ساعدت جواسيسه على احتلالها. فهي وحــدها التــي تستحق الحياة[3]، مكافأة لها على خيانة بني جنسها العماليق الذين أبــيدوا فــي مجازر همجية... وهي مجازر مقصودة لإرهاب الجنس العربي، ولــذلك اجــتمع العرب كما يثبت السفر نفسه لرد بطش يشوع عنهم حيث جاء فيه: "ولما سمع جميع الملوك في الجبل وفي السهل وفي كل ساحل البحر الكبير إلــى جهــة لبــنان: الحثــيون والآموريون والكنعانيون والفرزّيون والحوريون واليبوســيون اجتمعوا معاً لمحاربة يشوع وإسرائيل بصوت واحد"[4]. فهذا الخبر يثــبت أن القبائل العربية القديمة تنادت إلى الوحدة ولمّ الشمل لدرء الموت عن أنفــسها. ومــا أشــبه الليلة بالبارحة فالصهاينة اليوم يمارسون الفعل نفسه مع العرب.

---

[1] *الكتاب المقدس: سفر يشوع، إصحاح 3 ــ ص 240.*

[2] *تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم 20؛ وانظر المصدر السابق، إصحاح 6، ص 245.*

[3] *انظر المصدر السابق، إصحاح 6، ص 245. ومعجم البلدان (أريحا ــ حلب).*

[4] *المصدر السابق، إصحاح 9، ص 250.*

ثـم يـزعم الإصحاح الثاني عشر من سفر يشوع تغلّب بني إسرائيل على تلـك القـبائل، إذ امتد نفوذ بني إسرائيل إلى كل أرض عربية، فاحتلوها بالقوة؛ ذاكـراً (العـربة) تصريحاً، وهو جمع آخر للعرب. "وهؤلاء هم ملوك الأرض الـذين ضـربهم بـنو إسرائيل وامتلكوا أرضهم نحو شروق الشمس من وادي أرنـون إلى جبل حرمون وكل العربة نحو الشروق"[1]. وإذا كنا نشك في صحة ذلـك كله؛ على اعتبار أن التاريخ الموثّق ينفيه؛ فإننا نستدل من تزوير الأحبار لـه على بشاعة فعلهم؛ حين يفضّلون تصوير قادتهم بهذه الوحشية. وهذا عكس مـا بنـيت عليه الثقافة العربية منذ القديم، فكلنا نقرأ في شريعة (حمورابي) أن العـين بالعـين والسن بالسن، وكذلك نقرأ في تراث العرب الجاهليين أن القتل أنفـى للقتل... ومن ثم تبنى الإسلام ذلك وشجّع على العفو والتسامح مع الآخر المغايـر لقوله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنـف والأذن بـالأذن والـسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدّق به فهو كفّارة له﴾ (المائدة 45/5)...

فالعرب منذ فجر تاريخهم جعلوا مبدأ قتال الآخر دفاعاً عن الذات وكينونة الأرض والوجـود بيـنما اليهود ــ ومن يساندهم، قديماً وحديثاً ــ امتهنوا مهنة القـتل وغـزو الشعوب واحتلال أراضيها؛ وكانوا يمارسون قتل الأغيار أو ما يعرف بالغوييم بكل بشاعة و حقد... والأعجب من هذه الممارسة الوحشية أنهم يعـتقدون بـأن فعلهـم مبارك من إلههم إله الحرب المتعطش إلى الدماء دائماً وأبـداً... وهم ما زالوا يعمدون إلى هذه المفاهيم لتأصيلها بين أبنائهم من جهة؛ ولجعلها فعلاً استباقياً ذا أهداف عديدة من جهة أخرى...

وكَـيفما كـان بطـش بني إسرائيل وهمجيتهم، وأياً كان الزمن الذي مكث فيه الفـرس أو الروم في الأرض العربية في الزمن القديم فإن أبناء العرب ظلوا فيها لم يفكـروا لحظـة واحـدة فـي مغادرتها وإن سامهم الغازي أشد أنواع القهر والذل والعـبودية... ثـم أثبت التاريخ أن ديار بكر لم يتغير اسمها[2]، ولا تغير اسم حلب والجزيـرة العليا أو السفلى، وظل للحرمون شرفه وكبرياؤه وللبنان ألقه... فكنا نجد قـبائل بكر وإياد وعبد القيس وآل نصر وطيء وقضاعة... وتغلب وبني مُرَّة ولخم وتـنوخ والغـساسنة وغيرهم في العراق وبلاد الشام... بينما تمتد عاملة إلى مصر

---

[1] *المصدر السابق، إصحاح 12، ص 257.*

[2] *أنظر معجم البلدان، (ديار بكر).*

وإفــريقية... ثــم تتوالى الموجات العربية إليها على مرّ الزمان ساكنة فيها، متشبثة بالدفاع عنها...

ولهــذا لــم يستطع سابور الجنود بن أرْدَشير ولا أكاسرة الفرس أن يغيروا هــوية الأرض العــربية في العراق والبحرين... على الرغم من أن سابوراً قد اســتطاع قتل ملك قضاعة (الضَّيْزن) مع مئة ألف منها، وهدّم قصر (الحَضْر)، ثم أفنى قبائل كثيرة...

وفي ذلك يقول الجديُّ بن الدلهاث[1]:

ألــم يحــزنك والأنــباء تَنْمــي	بمــا لاقــت سَــراةُ بنــي العبــيد
ومقــتل ضَــيْزن وبنــي أبــيه	وإخــلاء القــبائل مــن تــزيد؟!

فالقبائل العربية منذ القديم كانت تعرف بمنازلها الخاصة بها، لا تبرحها إلا طلباً للماء والكلأ، ولكنها سرعان ما تعود إليها، كما نستشفه من قصيدة الأخنس بن شهاب، ومطلعها[2]:

لكــل أُنــاسٍ مــن مَعَــدّ عمارةٌ	عَــرُوضٌ إلــيها يَلجؤونَ وجانبُ
لكَيْــزٌ لهــا البَحْرَانِ والسِّيفُ كلُّهُ	وإنْ يأتِهَــا بــأسٌ منَ الهنْدِ كاربُ
وبَكْــرٌ لهــا ظَهْرُ العِراقِ وإنْ تَشأ	يَحُــلْ دُونَهــا مِــنَ اليمامَة حاجبُ
وصــارتْ تَمِــيمٌ بينَ قُفٍّ ورَمْلَة	لهــا مِــنْ حِــبال مُنْتَأى ومذَاهبُ
وكَلْــبٌ لهــا خَــبْتٌ فَرَمْلَةُ عَالجٍ	إلــى الْحَرَّةِ الرَّجْلاَءِ حَيثُ تُحاربُ
وغَــسَّانُ حَــيٌّ عِزُّهُمْ في سِوَاهُمُ	يُجَالِــدُ عَــنْهمْ مِقْــنَبٌ وكَــتَائبُ
وبَهْــرَاءُ حَــيٌّ قَــد علِمْنا مكانَهمْ	لهــم شَــرَكٌ حَوْلَ الرُّصافَة لاَحِبُ
وغــارتْ إيَــادٌ في السَّوَادِ ودُونَها	بَــرَازِيقُ عُجْمٌ تَبْتَغي مَنْ تُضَارِبُ
ولَخْــمٌ مُلُــوكُ النَّاسِ يُجْبَى إلَيْهِمُ	إذَا قَــالَ مِــنهم قائِــلٌ فَهْوَ واجبُ

فــديار مــضر تمتد إلى شرقي الفرات نحو حرّان والرقة وشمشاط[3]، أما ديــار مــذحج فهي في اليمن، والأزد في عمان... وإذا ما انتقلت قبيلة ونزلت

---

[1] *انظر معجم البلدان، (حضر).*

[2] *انظر القصيدة كاملة في المفضليات 193 ــ 194، وراجع الحيوان في الشعر الجاهلي 21.*

[3] *انظر معجم البلدان، (ديار مضر).*

بجـوار الأخرى اختلط أبناء القبائل وتعرف كل واحد إلى الآخر، فشاعت لديها ظاهرة الخليط التي عبّر عنها الشعر الجاهلي بكثرة، كما نجده في قول زهير[1]:

بـان الخلـيط ولم يأووا لمن تركوا   وزودوك اشـتياقاً أيـة سـلكوا

ولمـا قوّت حياة التبدي مفهوم العصبية القبلية فقد عززت في الوقت نفسه قيم الشرف والحرية والشجاعة والمروءة والنجدة والتسامح والكرم... ولا مكان للجبان الضعيف والبخيل اللئيم... لهذا نفرَ العرب من الظلم والقهر، وكرهوهما وتـنادروا إلـى حمايـة الذات القبلية الجماعية، ولو كان لأحدهم رأي مخالف للجماعة؛ كما نفهمه من قول دريد بن الصمة[2]:

ومـا أنـا إلا مـن غَزية إن غوت   غـويت، وإن ترشـد غزية أرشُدِ

فالقبـيلة بكـل أبنائها رجالاً ونساءً، شيوخاً وشباناً يشبون على حب القبيلة والتمـسك بقيمها، ويتدرب الفرسان منهم لملاقاة كل معتدٍ يفكر بالنيل منهم؛ كما نستشفه من قول طفيل الغنوي[3]:

وفيـنا تـرى الطُولى وكل سَمَيْدعٍ   مـدرّب حـرب وابـن كـل مدّرب

فكل من تسول له نفسه بالاعتداء على القبيلة، والجهل عليها سيلقى العقاب الذي يستحقه كما يقول عمرو بن كلثوم[4]:

ألا لا يجهلـن أحـدٌ عليـنا   فـنجهل فـوق جهـل الجاهليـنا

فالعربـي فـي ذاته كاره للذل والقهر والاستبداد، وهو يرى أن القبيلة ملاذ للحـرية والانعتاق، ولكنها لم تكن ـ يوماً ـ مسلطة على القبائل الأخرى مهما كانت قوتها... والدفاع عنها شرف للآباء والأبناء، ولا يرضى بالذل إلا الأذلان (الوتد والحمار الأهلي) كما يقول الشاعر المُتلمّس[5]:

ولـن يقـيم علـى خسفٍ يُسام به   إلا الأذلاّن عَيْـرُ الأهـل والـوتد

---

[1] *شعر زهير بن أبي سلمى 78.*

[2] *ديوان دريد بن الصمة، 62.*

[3] *ديوان طفيل الغنوي 20، وانظر الحيوان في الشعر الجاهلي 32.*

[4] *ديوان عمرو بن كلثوم، 101.*

[5] *ديوان المتلمس، 203 ـ 211، وانظر الحيوان في الشعر الجاهلي 32.*

هــذا على الخسف مربوط برمّته وذا يــشجُ فمــا يرثــي لـــــه أحــد

فالعربــي أيــاً كان انتماؤه القبلي، ومهما كانت قوة قومه وكثرة عددهم لم يجعــل قدرته سبباً لغزو الآخر المغاير والاعتداء عليه، وإيذاء البريء وترويع الآمنــين والأبــرياء؛ إذا اســتثنينا اللــصوص وشــذاذ الآفــاق من الصعاليك والخَلَعــاء... بل إن من تمام شرف العربي وكمال مروءته أن يغفر عمن أساء إليه وظلمه كما نلمسه في قول ذي الأُصبع العدواني[1]:

قــوم إذا الــشرُّ أبــدى ناجذيه لهم طــاروا إلــيه زُرافــاتٍ ووحــدانا

لا يــسألون أخــاهم حــين يــندبهم فــي النائــبات علــى ما قال برهانا

لكــن قومــي وإن كانوا ذوي عددٍ ليــسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجــزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومــن إســاءة أهــل الــسوء إحسانا

فالجاهلية ــ بكل ما فيها من أنظمة قبلية وصراعات طبيعية فرضها مفهوم الــبقاء فــي أرض قليلة الموارد، شحيحة الأمطار، حتى سمي المطر غيثاً، لأنه يغــيث الأرض والحجــر والشجر والحيوان والبشر ــ لم تكن لتلغي من نفوس أبــنائها الروح الإنسانية في التعامل وتقديس حرية الآخر والمحافظة على حياته إذا مــا هددها مَوْتور أو خارج عن القانون... لهذا اتفقوا جميعاً على عدم قبول الخلــيع الذي تخلعه قبيلته لجرائره الكثيرة عليها[2]. وكان لهم موقف مشابه من الــصعاليك اللــصوص، وهو موقف يختلف عمّا نشأ عندهم من مفاهيم الإغاثة وإنــشاء الأحلاف لدفع الأذى والظلم عن الذات... وإذا ما هددهم عدو خارجي تــسارعوا إلى جمع الصفوف لردّ عدوانه عنهم كما كان أجدادهم من قبل... وقد يكــون الأعشى من أفضل من عبّر عن ذلك في قصيدة له يذكر فيها غزو جنود كسرى للعرب في يوم ذي قار، ومما جاء فيها[3]:

وجُندُ كسرى غداة الحِنْو صبحهم منا كتائب تزجي الموت فانصرفوا

وخــيلُ بكــر فمــا تنفك تطحنهم حتــى تولّــوا وكاد اليوم ينتصفُ

---

[1] *ديوان الحماسة، لأبي تمام، 4 ــ 5.*

[2] *انظر: الأغاني 3/13 وبعدها، وديوان الشنفرى، 57 ــ 68 ولسان العرب ــ خلع ــ..*

[3] *ديوان الأعشى، 240 ــ 241.*

لـو أن كُـلَّ معـدٍّ كان شاركنا　　في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف

وبهذا كله أقام الأدب حواراً نوعياً متميزاً ودقيقاً عبَّر عن النزوع الإنساني الحـرّ في نفس العربي وقيمه... وأكد دعمه للوثائق التاريخية التي تعزز مفهوم التـضحية والـبطولة السامية والنبيلة باعتبارها دفاعاً عن الذات وحماية لكينونة الوجـود؛ وتطلعـاً إلى عيش حر كريم... فقتال العرب للآخر المناقض لهم أياً كـان جنـسه لم يكن هدفاً لهم؛ وإنما وقع في كل مرة رداً على عدوان مستفحل جـاء ليستأصلهم من أرضهم ويذل شرفهم. فالعرب ما كانوا يقاتلون الآخر حباً في القتال ولكنهم كانوا يدفعون القتل عنهم.

وإذا كانـت كـل صورة أدبية قد نقلتنا إلى رحاب الرفعة والسمو في إطار تعزيـز الوجود والتفاعل الإنساني المشترك عند العرب فإنها أكدت في آن معاً أن ملامـح التغييـر الفكري والاجتماعي لمفهوم الغزو أو القتال كانت تميل إلى احترام الآخر؛ وإنصافه. ولهذا ولد عند العرب الجاهليين شعر فريد ومتميز قيل لـه: "شـعر المنصفات" أنصفوا فيه خصومهم أحياء وقتلى ووصفهم الشعراء بمثل ما وصفوا قومهم في نزوع إنساني راقٍ[1].

ولهـذا كلـه فإن فكرة الغزو/ الاقتتال منذ الأزل عند العرب لم تكن لتلغي من نفوسهم قيم الخير، والشهامة والمحبة؛ إذ لم يكن قتالهم تهديداً للآخر المغاير واستئصالاً لـه ـ وإن كان من أجل البقاء وإنما كان دفاعاً عن الذات... ثم إن الخطـاب الأدبـي ظـل يرسـي في النفس البشرية توجهاً اجتماعياً متحضراً، ونـزوعاً أخلاقياً سامياً... وقد برز هذا ـ مثلاً ـ في قول عمرو بن كلثوم في خطابـه لتلك المرأة التي فارقته بسبب قتال قومها لقومه... حين نشبت الخلافات بيـنهم علـى المـاء والكلأ. فقد ظل متمسكاً بها محباً لها، معترفاً بقدرة فرسان قـومها؛ فعـرضَ لهم منصفاً لشجاعتهم في معركة شديدة اختلطت فيها السيوف والرماح... فهو على شدة عصبيته لقومه لم يكن ليستخف بالآخر، لهذا يقول[2]:

قفـي قـبل التفـرّق يا ظعينا　　نخبـرك اليقـين وتخبـرينا

بـيوم كـريهةٍ طعناً وضرباً　　أقـرَّ بـه مواليـك العـيونا

---

[1] انظر: قصيدة الرثاء، جذور وأطوار، 237 وما بعدها.

[2] ديوان عمرو بن كلثوم، 78، مواليك: أراد أبناء قبيلتها وعمها.

فالقتال في العصور الجاهلية القديمة والمتأخرة عند العرب لم يكن نيلاً من حـــرية الآخـــر وانـــتمائه وشرفه... على الأغلب، وإنما كان وسيلة لا بد منها للـــدفاع عـــن الذات والقبيلة... وكان الشعراء يعمقون هذه الرؤية وينقلونها إلى الأجـــيال المتعاقـــبة لتشكيل رؤاهم الفكرية والإنسانية الثابتة لقيم القتال والغزو عـــندهم... فقيم الغزو تستند إلى روح إنسانية عالية؛ وإن شابها قلق وتشويه في ممارســـة بعض الخارجين عن القانون المتعارف إليه بين القبائل؛ لكن هذا الفعل لـــم يكـــن عامـــاً فـــيهم... ولو كان عاماً لما بقي وجود لأكثر أبنائها، ولمّا جاء الإســـلام غدا القتال فضيلة يثاب عليها المرء في الدنيا والآخرة باعتباره تحقيقاً للوجود الإنساني ومنافحة عن العقيدة.

ولعـــل هـــذا كلـــه ينقلنا إلى فكرة الجهاد في العقيدة الإسلامية؛ وهي فكرة تستمد كثيراً من اتجاهاتها الإنسانية مما كان عند العرب من قبل...

3 ـ فكرة الجهاد في العقيدة الإسلامية:

تكثفت فكرة قتال الآخر بالنفس في العقيدة الإسلامية بمفاهيم روحية جديدة ولاسيما حين اتسعت صورها ودلالتها، وأصبحت جزءاً من فكرة الجهاد. وظل الفـــرع الأعلـــى فيها تحرير النفس والإنسان من وهدة الشرك والجهل والتخلف والقهـــر والظلم... والأخذ به إلى رحاب الوحدانية الإلهية وعبودية الله تعالى لا عبودية الأفراد والأصنام... وبخاصة حين ارتبطت بقيم الشهادة والمروءة...

وبهذا التصور لم تعد فكرة الجهاد مجرّد رؤية كونية وجودية كما كانت من قبل، بل ارتفعت لتصبح فعلاً سامياً روحياً خلاّقاً، ونزوعاً إنسانياً تحريرياً على الصعيد الفردي والجماعي... فالجهاد ــ المشتق من الجَهْد ــ والذي يعني القتال بالنفس والتضحية بها أخذ يقترن ببذل المال؛ ثم صار الجهاد بالمال نظير الجهاد بالنفس؛ وكلاهما أصبح فرعاً من الجهاد في سبيل الله... ولذا ***فالجهاد "محاربة الأعـــداء... واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل"[1] مثل بذل المال دون أن يسأل عنه الناس؛ وإخلاص النية في ذلك كله، أي أن يكون عمله لله.***

---

[1] *لسان العرب، (جهد).*

وهـــذا التعريف يشمل القتال بالنفس والمال في سبيل المبدأ أو العقيدة، وهو ما أُطلق عليه الجهاد الأصغر؛ أما الجهاد الأكبر فإنما هو جهاد النفس لتخليصها مـــن أوزارهـــا وآثامها، وتحريرها من ظلمها وشهواتها، ومن ثم علينا استكمال الحديث عن شروط الجهاد كلها؛ نية وإعداداً في القول والفعل.

ولا بد لنا ــ قبل أن نتحدث عن أنواع الجهاد في الإسلام، لنبرز فيها مفهوم الجهاد بالنفس في ذهن المفكرين والأدباء ــ من أن نتوقف عند مفهومه التاريخي في العقيدة ذاتها.

فالإســـلام لـــم يفرض الجهاد حباً بالقتل وإراقة الدماء وترويعاً للآمنين كما وجـــدناه عـــند يوشـــع بن نون وغيره من الرموز التي وردت في التوراة وإنما فرضه الإسلام لإعلاء كرامة الإنسان وإرساء حريته في الأرض. ومن ثم كرّم الإنـــسان لقـــولـــه تعالى:﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ (الإسراء 70/17). فهو مكرّم بأمـــر إلهـــي مهمـــا كان جنسه ودينه، لأن الناس متساوون في الخلق والطبيعة الآدمـــية ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء 1/4). وفي الحديث الشريف: [كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب][1].

فـــالله خلق الإنسان، علمه البيان، وميّزه بالعقيدة والتقوى ﴿يا أيها الناس إنا خلقـــناكم مـــن ذكـــر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقـــاكم﴾ (الحجرات 13/49). وقال النبي الكريم في حجة الوداع: [أيها الناس: إن ربكـــم واحـــد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب؛ أكرمكم عند الله أتقـــاكم؛ وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ اللهم أشهد قالوا: نعم. قال فليبلغ الشاهد الغائب][2].

فالإســـلام آمن بالمساواة، ودعا إلى الحق والعدل واحترام الإنسان في كل زمـــان ومكان، إذ وهبه الله ــ سبحانه ــ العقل ليميز به الخير من الشر ويختار بيـــنهما ليكون مسؤولاً عن عمله، وترك له حرية الاعتقاد ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي﴾ (البقرة 256/2)...

---

[1] *الجامع الصغير من حديث البشير النذير، 243/2 رقم الحديث 6368.*

[2] *جمهرة خطب العرب، 157/1.*

ولهذا ربط الله ــ سبحانه ــ اختيار الإنسان للعقيدة الإسلامية بإرادته ورغبته؛ فهو حرٌّ عاقل عالم بالحق... ﴿إن الدين عند الله الإسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم...﴾ (آل عمران 19/3).

فالــروح الإنسانية الحضارية في الدعوة إلى الإسلام تجسد فاعلية الارتقاء بــنوازع الإنــسان وحريته في اختيار عقيدته، والحوار بين المسلم والآخر قائم على أساس المساواة لقوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (ســبأ 24/34)... لهذا دعا ــ عزّ وجلّ ــ المسلم إلى محاورة الآخر المشرك والمغايــر بكــل لــين ومحبة وفق الأمر الإلهي: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والمــوعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن؛ إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين* وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (النحل 125/16 ــ 126).

فهــذه النــصوص تؤصل للحوار مع الآخر لإرشاده وتعليمه لا لقتاله، أو الاعــتداء علــيه مهمــا كــان الخلاف كبيراً، لأن الله سبحانه رغّب في الصبر والعفــو والتــسامح، بمثل ما حض المؤمن على الاستقامة وعدم الانجرار وراء أهواء الآخر ﴿فادع، واستقم كما أُمرت، ولا تتبع أهواءهم﴾ (الشورى 15/42).

وشــدّد الإسلام على معاملة الآخرين بالحسنى قولاً وفعلاً ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ (البقرة 83/2)، وأمر الله كل مسلم أن يتقبّل الآخر المشرك ويؤمنه على حــياته، بــل هــو في حمايته حتى يبلغ مأمنه بسلام: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ (التوبة 6/9).

فالرؤية الإسلامية لاعتناق الإسلام لم تقم على أساس الإكراه والقهر، وإنما هــي دعــوة روحية سامية إلى التوحيد والإيمان به دون عنف أو إيذاء باللسان والــيد. ولا شيء أدّل على هذا مما تقدم ومن قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إن كنــتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ (يونس 104/10) ويــؤكده قولــه: ﴿قل يا أيها الكافرون* لا أعبد ما تعبدون* ولا أنتم عابدون ما أعبد* لكم دينكم ولي دين﴾ (الكافرون 1/109 ــ 3 و6).

ولهــذا فــإن الناس جميعاً متساوون في مفهوم العقيدة الإسلامية بالإنسانية؛ والطبــيعة البشرية، وإن لم يتساووا في الدين والإيمان والأخلاق. وهذا التساوي مــنع كــل مــسلم أن يظلم الآخر أو يعتدي عليه؛ وحرّم قتله؛ فجعله قتلاً للناس

جميعاً ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق﴾ (الأنعام 151/6) و ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ (المائدة 32/5)[1]. وقال رسول الله (ﷺ): [من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة][2]؛ وشدّد على معاملة الناس المعاهدين بكل حب واحترام وأنذر قاتلهم بنار جهنم [من قتل نفساً معاهداً لم يَرِح رائحة الجنة][3] أي لم يشم رائحتها.

ولما نهى عن التظالم بين الناس وقتل بعضهم بعضاً، فإنه نهى عن ظلم الإنسان لنفسه ومحاولة التخلص من حياته؛ لقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (النساء 29/4)[4]. فقاتل نفسه في النار؛ كما ورد في الحديث الشريف: [ومن قتل نفسه بحديدة عذب به في نار جهنم][5] و[الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار][6]. فقتل النفس من الكبائر السبع[7].

فالإنسان مسؤول عن إعمار الأرض ورعايتها بالنور والهداية، وحياته مكرمة مصونة في الإسلام لا يجوز أن يتهددها بالأذى والقتل ولا أن يعتدي على أخيه الإنسان، ويقتله، تحت أي ذريعة كانت.

وبناء على ذلك كله يتساءل المرء: لماذا فرض القتال في الإسلام؛ ولماذا دعا إلى مفهوم الجهاد وربطه بالشهادة وجعل جزاءه الجنة؟ ألم يكن الجهاد في سبيل الله وسيلة لقتل الآخر؟!

والإجابة على ذلك طويلة يمكن أن نوجزها بإشارات سريعة إلى الأصول التي بُني عليها الجهاد. فمن يرجع إلى النص القرآني وأسباب نزوله، أو إلى السيرة النبوية الشريفة يدرك بوضوح أن المصطفى (عليه السلام) "لم يؤذن له في الحرب، ولم تحلل له الدماء، إنما كان يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على

---

(1) انظر: صحيح البخاري 218/7 و3/9 وبعد.

(2) الجامع الصغير، 473/2، رقم الحديث، 8270.

(3) صحيح البخاري، 16/9. وانظر: الجامع الصغير، 544/2، رقم الحديث 8912.

(4) انظر: صحيح البخاري، 57/5، و3/9.

(5) صحيح البخاري، 120/2.

(6) صحيح البخاري، 21/2 وانظر فيه 154/8 ـ 155.

(7) انظر: الجامع الصغير، 254/2، رقم الحديث 6449 ـ 6450 و6452.

الأذى، والـصفح عـن الجاهـل. وكانــت قــريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجــرين حتى فتنوهم عن دينهم؛ ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في ديــنه، ومن بين معذب في أيديهم، وبين هارب من البلاد فراراً من الأذى؛ منهم مــن كــان بأرض الحبشة، ومنهم من كان بالمدينة؛ ومنهم من اتجه إلى أمكنة أخــرى. ومــن ثم فقد عتت قريش على الله ــ عز وجل ــ ورسوله والمسلمين فكــان توجــيه الله لرسوله (ﷺ) في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم. فكانــت أول آية نزلت في إذنه"[1] ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (الحج 39/22).

هكــذا فــرض القتال بعد بيعة العقبة الآخرة[2] دفاعاً عن النفس ورداً للبغي والقهــر، لقــد فــرض وهو كره لهم لقوله تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكــم...﴾ (البقــرة 216/2).. ولهــذا لــم يجز الله القتال إلا رداً لعدوان الآخر المحــارب أياً كان جنسه أو لونه، أو زمانه، ومنع الابتداء بالعدوان لقوله تعالى: ﴿وقاتلــوا فــي ســبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين* واقــتلوهم حــيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلــوهم عــند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾ (البقرة 190/2 ــ 191).

فالإســلام فرض على المسلمين قتال الآخر المعتدي الظالم الذي لا يعرف حقــاً ولا ذمة؛... وعلى الرغم من هذا فقد حضَّهم على السلم وإيقاف القتال إذا مــا ثاب الآخر المحارب لرشده، لقوله تعالى: ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ (النساء 90/4).

ثــم إن الجهاد أمر إلهي لإحقاق الحق والدفاع عن الذات منذ عهد إبراهيم (علــيه الــسلام) ﴿وجاهــدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾ (الحج78/22).. لهــذا أمــر الله نبــيه محمداً بجهاد الكفار والمنافقين لما لقيه من أذاهم وظلمهم: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين، واغلظ عليهم﴾ (التوبة 73/9).

---

[1] *انظر: صحيح البخاري، 56/5، 65.*

[2] *انظر السيرة النبوية 97/2 و110 ــ 111 و267 ومجموعة الوثائق السياسية 49.*

وهكـذا فقتال الآخر المحارب ــ وهو الذي اصطلح عليه في الإسلام باسم الجهاد ــ ليس بدعة في الإسلام، وهو مؤسس في الديانات السماوية كلها دفاعاً عـن الذات والوجود لقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بـأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل..﴾ (التوبة 111/9).

لهـذا كله أمر الله عباده بإعداد العدة للحرب اتقاء لشر العدو ﴿وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهـم لا تعلمـونهم الله يعلمهـم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنـتم لا تظلمـون* وإن جـنحوا للـسلم فاجـنح لهـا وتـوكل علـى الله﴾ (الأنفال 60/8 ــ 61).

ومـن هـنا جُعِـل الجهاد سبباً لردع الآخر المحارب ووقاية لخطره حين أمرـ سبحانه ــ بإعداد العدّة القتالية، وتدريب الفرسان لتخويف العدو المحارب مـنعاً من أن تسوّل له نفسه بالنَيْل منهم. وهذا يعني أن مصطلح (الإرهاب) في التـصور الإسـلامي يحمل فلسفة الدفاع عن الذات والوجود، ولم يكن يوماً ذا دلالـة همجية كتلك التي أريد لـه أن يحملها نتيجة غزو الثقافة الغربية لثقافتنا. فالتـرهيب والتـرهب والإرهـاب ألفاظ تحمل في موروثنا الفكري والديني كل المعانـي الـسامية المتسامحة، وهي أبعد ما تكون عن الدلائل المرتبطة بالفلسفة الغربية الحاملة لمعاني العنف والإيذاء والقتل[1]، لهذا أجزل الثواب لكل من يقتل في سبيل الله حين لا يقبل الآخر بالسلام ويُذعن للحق ويحافظ على حياة الناس: ﴿ولا تحـسبن الـذين قـتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون* فـرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خـوف علـيهم ولا هم يحزنون* يستبشرون بنعمة من الله وفضل ويستبشرون بـنعمة مـن الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ (آل عمران 169/3ــ 171).

فالجهـاد فـي سبيل الله وإعلاء القيم الإنسانية النبيلة ارتبط بمفهوم الشهادة لنـصرة الحـق، ما جعل للمجاهدين والشهداء المنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة ﴿لا يـستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأمـوالهم وأنفـسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة

(1) *أنظر كتابنا (مشروع القومية العربية إلى أين 141.*

وكـــلاً وعـــد الله الحـــسنى وفـــضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ (النساء 95/4). وبمعنى آخر لم تكن التضحية بالنفس والمال هواية عند العرب والمـــسلمين، ومـــا تـــزال كـــذلك، فالضعيف الفقير الصادق في انتمائه لوطنه وعقـــيدته لا يملـــك أمام القوة الفتاكة التي يملكها العدو إلا أن يضحي بنفسه من أجل أن يعيش أبناء وطنه وقومه بحرية وكرامة. فالعدو الصهيوني الذي استباح فلـــسطين فقتل قسماً من أبنائها وشرّد عدداً آخر، وانتهك الأرض والعرض هو الـــذي فرض على أهلها مقاومته بكل الأشكال المادية، ومنها التضحية الجسدية، التـــي قامت بها فصائل عديدة كالجهاد الإسلامي وحماس والجبهة الشعبية و... ومـــن ثـــم صـــار الفدائـــي أو الاستـــشهادي ملبـــياً لروح حياة الأمة وحريتها ونهضتها... وصارت العمليات الجهادية عمليات مشروعة عند أبناء الأمة. وقد بـــدأت هـــذه العملـــيات تؤثر في العدو، كما اعترف به وزير الدفاع الصهيوني الـــسابق إذ قـــال: " العمليات الاستشهادية سلاح لا يمكن لإسرائيل القضاء عليه وأن الخـــيار العـــسكري الإســـرائيلي قـــد فـــشل فـــي القضاء على الانتفاضة الفلسطينية"[1]

فالـــشهيد المجاهد ــ قديماً وحديثاً ــ آمن بفكرة الحرية، والكرامة الإنسانية للـــذات الفردية وللوطن، ففداهما، فاستحق احترام الأحياء ورضى ربه وعونه، فـــضمن لـــه الجنة[2]، فأفضل الناس "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله"[3]، ولهـــذا تميز من بقية الأموات بأنه لا يغسل ولا يصلى عليه؛ فجراحاته طهر له، وقد صلت عليه الملائكة[4].

وفـــي ضـــوء ذلك كله فإن ترجمة كلمة الجهاد إلى اللغة الإنكليزية بعبارة (الحـــرب المقدســـة: Holly War) تـــرجمة ظالمـــة؛ لأنها خلت من مضمونها الحقيقـــي ذي البعد الإنساني الذي تحمله في وظيفتها، وأسبابها وأهدافها. وكذلك فـــإن تـــرجمة كلمة الشهيد أو الفدائي بعبارة (من قتل نفسه أو فجرها Suicide Bomber) أشـــد تـــشويهاً وتحـــريفاً لمفهومها الإسلامي.. فالغرب لا ينظر إلى الـــشهيد أو الفدائي إلا برؤية سلبية.. وكأنه يئس من حياته وأراد أن ينهيها بهذه

---

[1] *الاحتلال الإسرائيلي وشرعية المقاومة 156-157.*

[2] *انظر الجامع الصغير: رقم الحديث 3497 و3502 و3504 و3505.*

[3] *صحيح البخاري، 18/4.*

[4] *انظر: صحيح البخاري، 15/1 و114/2 و188/3.*

الطـــريقة.. فالـــرؤية الغربية لا تنطلق إلا من معين فلسفة أبنائها ولا تعترف إلا بما يجري في مجتمعاتها.. ثم إن مصطلح الشهادة أو التضحية والفداء في سبيل التحرر غدت عند الغرب جزءاً لا يتجزأ من مفهومه حول صراع الحضارات؛ لأنه لم يستوعب مفهوم الجهاد ومقولاته في العقيدة الإسلامية؛ وعند العرب منذ القـــديم.. فالعرب والمسلمون منذ الأزل لم يكونوا هواة قتل، وليس لهم رغبة في قـــتل أنفـــسهم، لأن حياتهم أغلى ما يملكونه.. ولأن نفوسهم الأبية الكريمة تكره الظلـــم والإذلال وتضحي بحياتها من أجل المروءة والعزة والحرية.. و[من قتل دون مالـــه فهـــو شهيد؛ ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه، ومن قتل دون أهله فهو شهيد][1].

فالجهـــاد بالـــنفس والمال وسيلة لا غاية، وسيلة لتحرير الإنسان من ربقة الذل والعبودية والتخلف والجهل... وإرساء قيم الخير والعدل والمساواة...

ولهـــذا فهـــو فرع صغير في دوحة الجهاد القائم على محاربة نوازع الشر فـــي الـــنفس البشرية وتقويم السلوك الخاطئ الذي تسلكه؛ وإن لم يعمل الإنسان علـــى كـــبح جماح نفسه الغريزية الظالمة غدت خطراً حقيقياً على المجتمع؛ أياً كان جنسه وانتماؤه...

ومن هنا فالجهاد الأكبر جهاد شهوات النفس وقتل رغباتها الشيطانية الشريرة... بل حينما شرع الحج فقد جعل جهاداً لشرور النفس: جهاداً للتخلص من آثامها، كما نستدل عليه من الحديث الشريف: [ألا أدلك على جهاد لا شوكة فيه؟ حج البيت][2]... أما سقاية الحاج وعمارة المساجد ــ على عظمتها ــ فليست مساوية للجهاد في سبيل الله لقوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله مثلاً﴾ (التوبة 19/9). وكذلك عد الصوم جهاداً وحرباً على الفساد والفوضى وضعف الإرادة، والأنانية. ودعوة إلى المحبة والعفو والتسامح..[3].

ولعل ذلك كله يؤكد أن القتال بالنفس والمال ــ على عظمة الأجر والثواب فيه ــ يقع في سلم القيم الأخلاقية بعد جهاد شهوات النفس؛ لهذا قال المصطفى:

---

[1] *الجامع الصغير، 544/2، رقم الحديث 8917، وانظر صحيح البخاري، 179/3.*
[2] *الجامع الصغير، 387/1، رقم الحديث 2869.*
[3] *انظر: صحيح البخاري، 18/4 ــ 19.*

[الجهـــاد أربـــع: الأمـــر بالمعـــروف، والنهي عن المنكر، والصدق في مواطن الصبر، وشنآن الفاسق] أي كرهه وبغضه...[1].

وعلـــى الـــرغم من قيمة الجهاد بالنفس والمال فإن الصلاة قدمت عليه[2]؛ وكـــذلك قـــدم علـــيه الإيمان بالله ورسوله؛ وبر الوالدين، ولو كانا على الشرك لأنهما أصل صلاح الإنسان وإقامة محبته للآخر...

وقد جسدت تعاليم الدين هذا كله؛ لقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن، وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير* وإن جاهداك علي أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ (لقمان 14/31 ــ 15). وقال سبحانه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ (الإسراء 23/17 ــ 24).

ويعد نبي الرحمة أرحب مثال في تطبيق مبادئ الإسلام ولا سيما ما يتعلق بفكـــرة الجهـــاد؛ إذ روي أن رجلاً أتاه معلناً رغبته في الجهاد لنيل الشهادة في ســـبيل الله؛ فسأله: [ألك أبوان؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد][3]. فالجهاد لا يصح إلا بموافقة الأبوين، وبرهما مقدم على الجهاد...

ذلـــك هـــو مفهوم العقيدة للجهاد "بصورة مجتزأة" وقد مورس هذا المفهوم بكل ملامحـــه الإنـــسانية الرفيعة في عهد النبوة وما تلاه من عصور. ولم يجعله العرب والمسلمون سيفاً مسلطاً على رقاب الآخرين لتهديدهم وترويعهم أو قتلهم وإذلالهم.

هكـــذا كـــان مفهوم الجهاد في أزهى العصور الذهبية للإسلام ومن ثم في عـــصرنا الـــراهن، بـــل كـــان على الدوام دفاعاً عن الذات ورد كيد الظالمين الطامعـــين فـــي الأرض والعرض والمقدرات. وعليه فإن علماء المسلمين شرقاً وغـــرباً قد شرَّعوا العمليات الاستشهادية ضد العدو المحتل في فلسطين والعراق ولبـــنان كمـــا نـــتج عـــن مؤتمر بيروت (2002/1/11م) الذي اجتمع فيه نحو خمـــسين عالمـــاً مـــن بلدان عربية شتى (لبنان وفلسطين والسودان والإمارات

---

[1] الجامع الصغير 497/1، رقم الحديث 3654.
[2] انظر: صحيح البخاري، 17/4 ــ 19.
[3] صحيح البخاري، 3/8، وانظر فيه 2.

والمغرب والجزائر والأردن) وهو تشريع لا يتناقض مع الأحاديث الشريفة التي ذكرناها قبل قليل ولا يختلف عنها؛ لأنها تقع في صميم الدفاع عن الذات.

وقد اعترف هذا المؤتمر بالجهاد الذي يمارسه العرب ضد العدو الصهيوني؛ إذ جاء في إحدى فقرات بيانه ما يلي:" إن حزب الله في لبنان وحركتي حماس والجهاد الإسلامي وسائر قوى المقاومة هي التعبير الحي عن إرادة الأمة، وهي تمثل بجهادها ومجاهديها شرف وعزة وكرامة المسلمين في كل مكان"[1].

4 - نماذج من الأدب والتاريخ الإسلامي:

لما جاء الإسلام صهر القبائل العربية في تعاليمه، ومن ثم انضوى أبناؤها تحت رايته الجامعة، وتعاليمه السمحة، وتحول انتماؤهم من الانتماء القبلي الضيق، وعصبياته الهوجاء إلى فضاء انتماء إنساني واسع... وآمنوا بأنهم أخوة في الله لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات 10/49) وعنت الوجوه للواحد القيوم، وأخلصوا لدولة الإسلام بقيادة النبي الكريم وفهموا تعاليم الدين القويم، وأدركوا أن الجهاد بكل أشكاله إنما هو إعلاء لكرامة الإنسان وحريته.

لهذا كان أول ما فعله الرسول الكريم حين دخل المدينة المنورة قيامه بالمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، ومن ثم كتابة العهود والمواثيق بين المسلمين وأهل الذمة من اليهود العرب. ومما ورد في كتاب العهد لهم هذه الكلمات: [وإن ذمة الله واحدة، يجبر عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون سائر الناس؛ وإنه من تبعنا من يهود فإن لـه النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم... وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثِم فإنه لا يُوتِغ [أي يهلك] إلا نفسه وأهل بيته].... ثم عدد كل قبائل يهود ثم ذكر: [وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم...][2].

---

(1) *انظر الاحتلال الإسرائيلي وشرعية المقاومة 160 وما بعدها حتى 175.*

(2) *انظر السيرة النبوية، 148/2 ـ 149 و160 ـ 163 و254 ومجموعة الوثائق السياسية 59 ـ 60.*

فالرســول الكــريم عــاملهم بــروح الإسلام فأطلق لهم الحرية في الحياة والعبادة، لا يظلمون فيها، ولا يدفعون جزية أو إتاوة... لهم ما للمسلمين وعليهم مــا علــيهم، على أن لا ينقضوا العهد، ويتحالفوا مع المشركين... ولكن اليهود أبــوا إلا أن يكونــوا غــادرين حاقدين، ناقضين للعهود؛ ثم أخذوا يتألبون على المــسلمين ويتآمــرون عليهم وعلى الرسول الكريم. ولا شيء أدل على هذا من أنــه حــين جاءهم النبي لأخذ الدية برجل قتلوه ائتمروا به وضربوه بالحجارة، فمــا كــان مــنه إلا أن عاقبهم...[1]. ثم مارس اليهود كل أنواع النفاق والخداع والتآمــر والكــيد للمــسلمين حتى آل أمرهم في غزوة الخندق إلى التحالف مع المــشركين فأصــبحوا ضمن الآخر المحارب؛ فأخرجوا من المدينة المنورة بعد أن حقن الرسول الأعظم دمهم؛ ولم يحاسبهم على ما فعلوه[2].

فالــيهود لم يتركوا وسيلة لإيذاء الرسول والمسلمين إلا قاموا بها، ولكنه ما عــاملهم بالمــثل، وكذا كان موقفه مع مشركي قريش في فتح مكة سنة (8 هـ) وهــم الــذين أخرجوه منها، بيد أنه عفا عنهم، وأعطاهم الأمان في الإسلام، في خبر مشهور...[3].

ومــن ثــم أخذ أمر الدولة الإسلامية الفتية يستقيم ويستقر، على الرغم من تخــوف المسلمين من غزو الروم لهم... فقد كان الروم يستخدمون أتباعهم من الغساسنة العرب في ترويع أبناء جلدتهم من العرب المسلمين، إذ جعلوهم شوكة فــي صــدور أبــناء جلدتهم[4]؛ وهكذا كان ملوك المناذرة أداة طيعة بيد أكاسرة الفرس ــ والناس على دين ملوكهم ــ كما يقال.

فالجهــاد عــند العــرب والمــسلمين لم يكن يوماً أداة قهر للآخر المغاير المحــارب، أو قــتل لــــه، لا فــي عهــد الرسول الكريم ولا في عهد خلفائه الراشــدين... ولا شيء أدل على هذا من بيان الأسباب التي دعت خليفة رسول الله إلــى قــتال الفــرس والروم.. فلما استقام حال الدولة الإسلامية بعد حروب الــردة ارتحلت قبائل عربية كثيرة إلى الشرق والشمال كقبيلة المثنى بن حارثة التــي وصلت إلى العراق شمالاً، وكان فيها ــ من قبل ــ قبائل عربية مثل بكر

---

[1]انظر السيرة النبوية، 199/3 ــ 200.

[2]انظر السيرة النبوية، 224/3 و244 وما بعدها.

[3]انظر السيرة النبوية، 59/4 وما بعدها.

[4]انظر صحيح البخاري، 175/3.

وعبد القيس وتميم وإياد، والمناذرة حلفاء الفرس، وبعض بني طيء؛. وغيرهم كثير. ولكن قدوم العرب المسلمين بقيادة المثنى المسلم لم يرق لكسرى وفرسانه،. وتخلوا عن مهادنة من عرفوه من قبائل العرب المجاورة لهم فأخذوا يتعدون عليها ولا سيما أبناء ربيعة ويؤذونهم "غاية الأذى فلم يزالوا كذلك حتى وقعت بينهم العداوة والشحناء؛ فجعل المثنى يغير على أساورة الفرس ممن كان بناحية الكوفة وسوادها، ويؤذيهم غاية الأذى، وهو يومئذ متمسك بدين الإسلام. وبلغ أبا بكر فعاله... فأرسل إليه... فجعله رئيساً على قومه وبعث إليه بخلعة ولواء، وأمره بقتال الفرس"[1].

فهذا الخبر شديد الوضوح في بيان مفهوم الجهاد/ القتال عند المثنى بن حارثة ثم عند أبي بكر (رضي الله عنه)... فقد فرض عليهما وعلى المسلمين وهم كارهون له، وما وقع إلا دفاعاً عن كينونة الذات والوجود... ومن ثم فإن الخبر يشي بأن بعض القبائل المذكورة كالمناذرة كانت تحت سيطرة القوة الفارسية حتى عهد أبي بكر خليفة رسول الله الذي بدأ تحرير عدد من القبائل وأرضها من يد الفرس إثر تلك الحادثة، كما عبر عنه أحد شعراء ربيعة[2]:

سرنا إلى كلأ العراق وريفه	حتى استقر بنا هناك قرار
القحط سار بنا وخيم غيرنا	فيها، ولو شاء المسير لساروا
سرنا فقارعنا الملوك فقصروا	عنا فأنجد منجد، وأغاروا

على حين كان الغساسنة وقبائل عربية أخرى تحت سيطرة الروم في بلاد الشام. فالله سبحانه قد أكرم العرب بالإسلام، ودعاهم إلى إقامة الحق والعدل، وانتدبهم لإعلاء كلمة التوحيد وانتشال أبناء جلدتهم من وهدة الشرك والظلم والعبودية والجهل... فحملهم أمانة الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا ولتحرير القبائل العربية من تبعية الآخر المغاير، ولتصبح قيم الخير والعدالة قانون الأرض والسماء. وحينما كانت طاعة الله حظ الأنفس — ورضا الرب غنيمة ما بعدها غنيمة — لم يجعلوا جهادهم سبيلاً إلى قهر الآخر الذي سامهم أنواع العذاب، وهم يدافعون عن عقيدتهم ووجود العرب في أرضهم وأرض أجدادهم؛

---

[1] *كتاب الردة، 216 ــ 217.*
[2] *كتاب الردة، 216.*

لإيمـــانهم بحرية الإنسان وكرامته. وهذا ما نستشفه من قول الإمام علي (رضي الله عنه): "أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة... وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة... فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل... فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا"[1].

ولست أشك لحظة واحدة في أن دخول العرب المسلمين إلى الشام والعراق لـــم يكـــن إلا عـــودة الفرع إلى الأصل... فالقبائل العربية لم تغادر أرضها في أقـــسى الظـــروف القاهرة، بل كانت الملجأ الذي يغتدون إليه ويمكثون فيه مهما كانـــت الصعاب التي تواجههم مع الغزاة من الروم والفرس الذين كانوا يطمعون فيها لوفرة خيراتها، وتقدم حضارتها... وظلوا يرنون إلى السيطرة عليها...

وهـــنا يدعونا المنطق العلمي والموضوعي إلى الاعتراف بأن أبناء فارس قد التقطوا بفعالية مرهفة تعاليم الإسلام ومفهومه للجهاد، وأيقنوا بأنه ما جاء إلا للارتقـــاء بالإنـــسان روحاً وجسداً... فآمنوا به، وصاروا مادته في الفتوح التي شهدته أرض فارس، وبلاد ما وراء النهر، في السند والهند...

وهذا يفرض ـ أيضاً ـ علينا الاعتراف بالحق، فالجهاد قد تغيرت ملامحه في عهد الدولة الأموية وما بعده، وقد ظل العرب أرحم فاتح في التاريخ لبلاد السند والروم والأندلس كما اعترف به دارسون غربيون.

ولعـــل هـــذا يعـــيدنا إلـــى الجهاد في عهد أبي بكر ومفهومه وما وقع من اعـــتداءات على العرب المسلمين في بلاد الشام... وكانوا قد توقفوا عند حدودها الجنوبية في عهد النبوة.

وتـــشير الأخـــبار إلى أن بعض القبائل العربية الأخرى كانت صنيعة بيد الـــروم، وكانوا يغيرون بأبنائها على القبائل العربية في الجزيرة العربية، ثم ظلّ هذا دأبهم في الإغارة على العرب والمسلمين بعد نزول الرسالة، وإشراقها بنور ربهـــا... وإذا كـــان الآبـــاء والأبناء قد تدافعوا لرفع راية الإسلام ونشر مبادئه الـــسمحة فـــإنهم لم يعتدوا على الآخر الرومي ولم يكرهوه على اعتناق الإسلام علـــى الـــرغم من أنه لا يزال قابعاً في أرض أجدادهم الأوائل... بل إن العرب المـــسلمين ما زالوا يلقون من الروم شراً تلو الشر، ويلقون منهم الأذى المذل...

---

[1] *جمهرة خطب العرب، 427/1.*

لـــذا كان لا بد من دفع الظلم عن النفس العربية، وتحرير أرضها المكبلة بإسار القهر الروماني الطويل.

لهـــذا وقـــف عاصم بن عمرو يخاطب المجاهدين في ساحة المعركة قائلاً لهم: "إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها، وأنتم تنالون منها منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلون، والله معكم"[1].

وهذه الخطبة بما انطوت عليه من مبادئ أخلاقية رفيعة تذكرنا بخطبة أبي بكـــر التـــي أوصى بها جيش أسامة بن زيد.... ومما ورد فيها: "يا أيها الناس؛ قفـــوا أوصــيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمـــثلوا؛ ولا تقـــتلوا طفـــلاً، ولا شـــيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحـــرقوه، ولا تقطعـــوا شـــجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلـــة. وســـوف تمـــرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم، وما فرغوا أنفسهم له... اندفعوا باسم الله"[2].

وإذا كانـــت هذه المعاني تتكرر في وصية له ليزيد بن أبي سفيان وجيشه[3] فإنـــنا نـــشير إلى مقطع صغير من وصية عمر بن الخطاب للمجاهدين، ومنها: "بـــسم الله وبـــالله وعلى عون الله؛ امضوا بتأييد الله، وما النصر إلا من عند الله ولـــزوم الحـــق والصبر. فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحـــب المعتدين؛ ولا تجبنوا عند اللقاء؛ ولا تمثلوا عند القدرة؛ ولا تسرفوا عند الظهـــور، ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند شن الغارات""[4].

إن هـــذه المبادئ العظيمة في جهاد العرب المسلمين تحرض ذاكرة المرء على استشعار بشاعة ما فعله يوشع بن نون في بلاد الشام، فضلاً عن فظاعة ما قـــام بـــه غيره من ملوك اليهود وفق ما أثبتناه سابقاً[5]. وقد ماثلهم في ذلك كلّه الـــروم الـــذين هيمنوا على الشام زمناً طويلاً ساموا فيه أهلها كل ألوان العذاب والقهر، في الوقت الذي تذكرنا بأن العرب أينما كانوا في هذه البلاد التي ابتليت

---

[1] *جمهرة خطب العرب، 230/1.*

[2] *جمهرة خطب العرب، 187/1.*

[3] *انظر المصدر السابق، 196/1 ــ 197.*

[4] *جمهرة خطب العرب، 227/1.*

[5] *راجع ما تقدم 15 ـ16.*

بالـــيهود والرومان قد فتحوا مدنهم للفاتحين العرب المسلمين مستبشرين بتحرير أنفـــسهم من الروم، بعد أن طال بقاؤهم في الأسر، كما شهدناه في تحرير دمشق وحمص وشيزر وحماة وحلب...

ثم إن تعاليم الإسلام السامية في الجهاد تدفعنا إلى إثبات ما يقوله حاخامات بنـــي صـــهيون، في كل زمان ومكان لندرك الفرق فيما بينها. فحاخام تل أبيب (حايـــيم ديفـــيد) يقول: "من حق اليهودي أن يقتل المدنيين العرب العزل بما في ذلك النساء والأطفال والشيوخ، وإن الشريعة اليهودية تسمح له بذلك"[1].

وفـــي ضـــوء ذلك كله نتساءل: كيف يصبح جهاد العرب المسلمين إرهاباً وعـــنفاً وقـــتلاً، واعـــتداء على حرمة الآخر... وحريته؛ وأمنه، ولم يكن يوماً كذلك، على حين ما زالت أفعال الآخر الغربي الأمريكي الصهيوني نحو العرب والمـــسلمين أفعـــالاً همجية ووحشية... وعلى الرغم من هذا يرفض أن توصف بالعنف أو غيره؟!

ولمـــا كانـــت لديـــنا رغـــبة جامحة في إجلاء صورة الجهاد عند العرب المـــسلمين بمعناها الحقيقي والإنساني كان علينا أن نستشهد بالعديد من الحوادث التاريخية والصور الأدبية لعدد من العصور الإسلامية... حتى لا يقال: إن عهد النبوة والخلافة الراشدة لا يقاس عليه؛ فهو عهد استثنائي...

فالجهـــاد عند العرب المسلمين لم يكن نفياً للآخر المغاير وقتله، ولا لإذلاله وقهـــره واســـتعباد الـــرجال والنساء والأبناء؛ وكذلك هو في إطار جهاد الآخر مـــوافقاً أو مخالفاً ممّن يعيشون في الوطن الواحد... ولعل ظاهرة شكوى الآباء الكـــبار بالسن بعد أن ضعفت قوتهم وخارت عزيمتهم من أبرز الظواهر في هذا الـــشأن. فقـــد رأيـــنا آباء يئنون زفرات حارقة لانخراط أبنائهم في الجهاد وقد خلفـــوهم وراءهم بلا معين، ولا أنيس... فرفعوا شكواهم أنة ولوعة في قصائد لاهـــبة فردهم الخليفة إليهم، كما نجده في قصيدة حارثة بن صخر بن مالك أحد معمـــري بني كلب بن وبرة، وقد أدرك الإسلام وهو شيخ هرم دالف ولم يسلم، على حين أسلم ابنه جناب، ثم هاجر إلى المدينة المنورة فحارثة جزع على ابنه جزعاً شديداً، ثم ذكره بأن قربه أولى له بالثواب من الجهاد، ومما قاله[2]:

---

[1] *مجلة الكفاح العربي (عدد 815)، ص 14.*

[2] *المعمرون والوصايا، 73. وانظر صحيح البخاري 5/8. باب صفة الوالد المشرك.*

تـــركت أبـــاك بـــالأدوات كَلاً   وأمـــك كالعجـــول مـــن الظـــراب
فـــلا وأبـــيك مـــا باليت وجدي   ولا شـــوقي الـــشديد ولا اكتئابـــي

ثم قال:

أردت ثـــواب ربـــك في فراقي   وقربـــي كـــان أقـــرب للـــثواب

وتتكـــرر هـــذه الظاهرة في عهد عمر غير مرة، ويرفع الآباء شكواهم إليه كـشكوى المخـبل السعدي (ربيعة بن مالك) ابنه شيبان لذهابه إلى جيش الفتح، ومما قاله[1]:

أيهلكنـــي شـــيبان فـــي كل ليلة   لقلبـــي مـــن خوف الفراق وجيب؟!
أشيبان إن تأبى الجيوش بحدهم   يقاســـون أيامـــاً لهـــن خطـــوب؟!
يـــذودون جـــند الهرمزان كأنما   يـــذودون أوراد الكـــلاب تَلـــوبُ

"فلمـــا أنـــشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له، فكتب إلى سعد يأمـــره أن يقفـــل شيبان بن المخبل ويرده على أبيه... فانصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات"[2].

ووجـــدنا عمـــر يفعل ذلك أيضاً مع خويلد بن مرة الهذلي وابنه خراش[3] وأمية بن الأسكر وابنه كلاب... وافتتح شكواه باستحضار العاذلة لما يعانيه من حرقة في إحدى قصائده فقال[4]:

أعـــاذل قـــد عـــذلت بغيـــر علم   ومـــا يـــدريك ويحـــك مـــا ألاقي؟
فإمـــا كـــنت عاذلتـــي فـــردي   كلابـــــاً إذ تـــــوجه للعـــــراق
سأســـتعدي علـــى الفـــاروق ربا   لـــه رَفَـــعَ الحجـــيج إلـــى بُسَاق(*)
إنِ الفـــاروقُ لـــم يـــردُدْ كلابـــا   علـــى شـــيخين هامُهمـــا زَواقِ

---

[1] الأغاني، 190/13.
[2] الأغاني، 191/13.
[3] انظر الأغاني، 226/21 ـ 227.
[4] المعمرون والوصايا، 86. وانظر الأغاني، 11/21، على اختلاف الرواية.
(*) بسَاق: مكان، وروي في اغاني (نُقَع)

فأمـــر الخليفة سعد بن أبي وقاص برده إلى أبيه، فلما وصل إليه ورآه "قام إليه فاعتنقه، وبكى بكاء شديداً، وبكى عمر رقة لهما"[1].

فهـــؤلاء الآباء آمنوا إيماناً صحيحاً بتعاليم الإسلام، واستوعبوا عظمة أجر الـــشهادة فـــي ســـبيل الله... لكنهم أيقنوا بأن بر الوالدين يعدل ذلك، لأنهم كبار الـــسن، وأحـــوج الـــناس إلى الرعاية. ولا جدال في أن النفس الإنسانية المليئة بفـــيض المشاعر، والتي أحست بلوعة الفقد كانت تدفع أولئك الآباء للتعبير عما يحـــسون بـــه... فالشعور الأصيل عند المسلم يؤمن بقيمة الجهاد، ولكن الشعور الأبـــوي يفـــيض حسرة على حال الضعف والشيخوخة التي آل إليها ولا يجد له مـــن معين ما جعله ينطق بتلك العبارات،. وقد حرص الإسلام في الحالتين على ألا يخـــسر الابـــن أجر البر بالوالدين، فعد بره لهما جهاداً عظيماً، ما يشي بأن الجهاد بكل أصنافه كان هدفه حرية الإنسان وكرامته.

وهـــناك صـــور أدبية أخرى للآباء والأبناء تتمثل بخروجهم جميعاً للجهاد وإعـــلاء كلمـــة الله لكن القدر نصب شراكه لهم. فهذا أبو ذؤيب الهذلي (ت 26 هـــ) يخـــرج برفقة أولاده الخمسة مجاهدين إلى مصر فيموتون بالطريق سنة (15هـــ) بمرض الطاعون فيحزن لهم لأنهم لم يكسبوا شرف الجهاد.... وهذا مـــا عـــزز مـــشاركته في فتح مصر، حتى توفي في سنة (26هـ)... وكان قد رثاهم بقصيدة مشهورة[2].

أمـــا صورة الأمهات والأبناء فإن الخنساء (تماضر بنت الشريد) تعد أكثر الـــصور تعبيراً عنها؛ وكانت الخنساء في جاهليتها وقبيل إسلامها شديدة الحزن على أخيها صخر، وندبته ندباً حاراً في الجاهلية لما فاته من المجد، ثم بكته في الإســـلام لما فاته من شرف الإيمان[3]، ولمّا شاركت في وقعة القادسية (14هـ) مـــع أبنائها الأربعة، رأينا موقفها من الجهاد على أحسن ما يتمثله المؤمن صبراً واحتـــساباً... فكانت صورة للأمهات في كل زمان ومكان... فقد وقفت تخاطب أبـــناءها، وممـــا قالته: "يا بَنِيَّ، أنتم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والإله

---

[1] *المعمرون والوصايا، 87. وانظر تفصيل ذلك في الأغاني، 10/21 ـــ 12.*

[2] *شرح أشعار الهذليين 1/1 ـــ 7، وانظر ديوان الهذليين 2/1 على اختلاف الرواية، والرثاء فـــي الجاهلية والإسلام 116، وقصيدة الرثاء، جذور وأطوار. 210 وما بعدها، وانظر: فتوح الشام 180/2 في حكاية خالد بن الوليد مع ابنه سليمان الذي استشهد في الشام.*

[3] *انظر: الرثاء في الجاهلية والإسلام 147 ـــ 148 و153 ـــ 159.*

الــذي لا إلــه غيره، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم؛ ولا هجنت حسبكم، ولا غبرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعــد الله للمــسلمين مــن الثواب العظيم في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقــية خيــر مــن الــدار الفانية... فإذا أصبحتم غدا؛ فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين؛ ولله على أعدائه مستنصرين".

ثم أضاء الصبح، ودخلوا المعركة، وسقطوا شهداء؛ فبلغها خبر استشهادهم فقالت: "الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"[1].

فالقلــوب المؤمنة بالجهاد مسلمة بقضاء الله وقدره، ولكنها متيقنة بأن أجر الــشهادة لا يعادلــه أجر آخر... ولهذا طفقت نفوس الآباء رجالاً ونساء تجسد روح المــشاعر الإنــسانية النبيلة؛ لأن جهاد أبنائهم ما كان اعتداء على الآخر، ولا إمعانــاً في إذلاله... فالألم يعتصر فؤاد كل مسلم حين يجبره الآخر المغاير علــى محاربــته، فما ترك لــه سبباً غير قتاله؛ وهذا ما نجده في عهد المعتصم العباســي. فقــد ســام الرومُ العربَ كل أنواع الذل والقهر في الثغور، وسفكوا الــدماء، واســتحلوا النــساء، ما فرض على المعتصم أن يقوم بغزو الروم في معــركة شــهيرة عرفت بعمورية. وعمورية قاعدة الروم ومدينتهم، وذكرها أبو تمام في شعره ومنه[2]:

يــا يــوم وقعــة عمورية انصرفت ... مــنك المنــى حُفَّلاً معسولة الحلب

غــادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى ... يــشله وســطها صــبح من اللهب

فالعــرب المــسلمون وقفــوا عــند حــدود أرض الأجداد في فتحهم، وما تجاوزوهــا حتــى وجدوا الروم يمعنون في الشر والظلم، واستمروا في الإغارة علــى ديار الإسلام وترويع الآمنين في عهد المتوكل... فالروم ــ أعداء العرب والمــسلمين ــ ماضون بالإفساد والشر والقتل وإرهاب النفوس الآمنة من أبناء قــرى الثغور، ما جعله يعد العدة لقتالهم ودفع أذاهم عن العباد المؤمنين... ونال منهم في معركة ذكرها لنا البحتري في مدح المتوكل منها[3]:

---

[1] *جمهرة خطب العرب 231/1، وانظر الرثاء في الجاهلية والإسلام، 159.*

[2] *شرح ديوان أبي تمام، 32/1 ــ 49.*

[3] *ديوان البحتري، 440/1 ــ 441.*

ومـــا زالـــت الأعـــداء تعلـــم أنـــه يجاهـــدها فـــي الله حـــقَّ جهادهـــا

ولما طغت في دارها الروم واعتدت سَـــفاهاً رماهـــا جعفـــر بحـــصادها

أعـــد لهـــا فرســـان جـــيش عرمرم عـــداد حـــصى البطحاء دون عدادها

كـــتائب نـــصر الله أمضى سلاحها وعاجـــل تقـــوى الله أكثـــر زادهـــا

ولعل وقائع سيف الدولة في الروم كثيرة وطالما تعرضوا للعرب المسلمين بالـــشر والظلـــم، فكان الروم يجيشون الجيوش للقضاء على دولة بني حمدان... ولكـــن ســـيف الدولة كان لهم بالمرصاد يردُّهم على أعقابهم خائبين بعد أن هيأ نفـــوس الآباء والأبناء للجهاد من أجل الذود عن الذات وحماية راية الإسلام... ومـــن أبـــرز القـــصائد التـــي عرضت لذلك ما وجدناه في قصائد عند المتنبي، وبخاصة تلك التي تحدثت عن قلعة (الحدث) ومنها[1]:

هـــل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلـــم أي الـــساقيين الغمـــائم؟!

ســـقتها الغمـــام الغـــر قبل نزوله فلمـــا دنـــا مـــنها ســـقتها الجمـــاجم

وكانت النتيجة قوله:

ومـــن طلـــب الفـــتح الجليل فإنما مفاتـــيحه البِـــيْضُ الخفـــاف الصوارم

نثـــرتهم فـــوق الأُحَـــيدب نثـــرة كمـــا نثـــرت فـــوق العروس الدراهم

ألا أيهـــا السيف الذي لست مغمداً ولا فـــيك مـــرتاب ولا مـــنك عاصم

هنيـــئاً لضرب الهام والمجد والعلا وراجـــيك والإســـلام أنـــك ســـالم

ولِمْ لا يقي الرحمن حديك ما وقى وتفلـــيقه هـــام العـــدا بـــك دائـــم؟!

ولكـــن شوكة الروم وغيرهم لم تلن قناتها، وتطورت على الدوام، ولم يكن للعرب والمسلمين إلا أن يدفعوا خطرهم البشع والدائم...

ولعل العصر الأيوبي قد شهد فيه أبناء العرب والمسلمين أعتى هجمة صليبية تجمع فيها كل دول أوربا تقريباً آنذاك... فالحروب الصليبية دامت قرابة قرنين من الزمان (492 ــ 692هــ)، إذ جندت أوربا كل ما تملك تحت راية الصليب متذرعة بحماية المقدسات المسيحية وبتخليص المسيحيين العرب

---

[1] *ديوان أبو الطيب المتنبي، 380/2 ــ 392.*

من قهر العرب المسلمين. وشهدت أرض العرب وديار الإسلام من جديد مواجهة حضارية شرسة، ولكنها هذه المرة شاملة وقوية ومسلحة بأعتى الإمكانيات الفكرية والمادية... ومن ثم اجتازوا آلاف الأميال متجهين إلى بلاد العرب غازين لها ـ كما حدث بعد ذلك في القرن التاسع عشر والعشرين وكما يحدث اليوم من الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان ـ... فدنسوا أرضها، وعاثوا فيها فساداً وقتلوا العباد، وزرعوا الفتنة والإغواء في النفوس... إذ جعلوا نساء كثيرات متاعاً لجنودهم، ووسيلة لبيع الهوى، في الوقت الذي جلبوا رهباناً وراهبات لأمور تبشيرية...

ولا شيء أدل على ذلك من شكوى أحد البطاركة سنة (597هـ/ 1191م)، حين قال: "سرنا نحو جيشنا في عكا، فوجدنا جنودنا هناك. وأقولها بكل ألم وحزن قد أسلموا أنفسهم لأفعال مخزية واستسلموا للراحة والشهوة"[1]. وأوضح لنا العماد الأصفهاني أن الفتنة والإغواء كان من صميم التقرب إلى الله عند أولئك النسوة ـ أو هكذا أقنعوهن ـ فقال: "وزعمن أن هذه قربة ما فوقها قربة؛ لا سيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبة"[2] ويبدو أن هذه الحال ما زالت مستمرة حتى اليوم في عناصر الجيش الأمريكي الذي احتل العراق في (4/9/ 2003م) كما دلّت عليه الوثائق والأخبار الكثيرة[3].

وإذا كان حال الأمة العربية والإسلامية آنذاك ليس بأفضل من حالها اليوم فإن الله قد قيض لها بعد لأي من الزمان نور الدين الشهيد: محمود بن عماد الدين زنكي (ت 569هـ/1271م) الذي أخذ يهيئ النفوس للجهاد والاستشهاد لطرد الصليبيين الغزاة، وتحرير بيت المقدس الذي دنسوه بكل ألوان القهر والظلم... ولما جاءه الأجل المحتوم وانتقلت المسؤولية التاريخية إلى البطل صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن أيوب الذي توفي 589هـ/1193م)، آلى على نفسه ألا تضحك له سن حتى يتحرر المسجد الأقصى من ربقة الفساد والطغاة... فحمل راية الجهاد بعد نور الدين الشهيد لرد شوكة المعتدي عن الأرض الشريفة، ووقف إلى جانبه أبوه وأخوته والشرفاء جميعهم مسلمين ومسيحيين... وما زالوا على قلب رجل واحد تحت راية "لا إله إلا الله" وهم

---

[1] *المرأة الصليبية، دراسة في تاريخ المجتمع الفرنجي في بلاد الشام، 83.*
[2] *الفتح القسي في الفتح القدسي، 347.*
[3] *انظر مشروع القومية العربية إلى أين 196.*

يجاهــدون الغزاة المارقين حتى انتزعوا النصر المؤزر في معركة حطين سنة (583هـــ/ 1187م)، ومـــن ثــم عـــاد بـــيت المقدس ليتزنر بحريته ولينتشي بطهارتــه... علـــى الـــرغم من أن بعض الفلول الصليبية ظلت هنا وهناك في سواحل الشام تمارس القتل والنهب، كما وجدناه سنة (614هـ/1217م)، حين هاجمـــوا قـــرى (جبـــيل، والطور والناصرة)، وسبوا النساء وسرقوا كثيراً من الأطفـــال الذين وزعوا على الراهبات والأديرة ولكن الأرض العربية سرعان ما تخلصت من آثامهم.

فالجهـــاد والاستـــشهاد عند العرب والمسلمين لم يكن على الدوام إلا دفاعاً عـــن الذات المهددة بالفناء، وكذا هو في العهود الأيوبية وما بعدها حتى اليوم، بيـــنما كانت الدول الأوروبية ـ آنذاك ـ تمارس على العرب والمسلمين أقسى أنمـــاط الإرهاب والقهر والظلم والفساد... وقد عبر عن ذلك الحليم الفاضل في إحـــدى قـــصائده التـــي وصـــف فيها معركة حطين؛ ومدح بها صلاح الدين؛ ومنها[1]:

أتـــوا بحـــبال أبـــرمت لإســـارنا	فـــسقناهم فـــيها قطيـــنا محـــددا
وســـاموا تجـــارا تـــشترينا غواليا	فبعـــناهم بالـــرخص جهرا على الندا
وجروا جيوشا كالسيول على الصوا	فاضـــت غـــثاء فـــي الـــبطاح مبددا
وقالـــوا: ملوك الأرض طوع قيادنا	إذا الكـــل مـــنهم فـــي القـــيود معبدا

فهذه المقدمة تشبه ما وجدناه عند المتنبي في وصفه لجيش الروم القادم إلى قـــتل العـــرب المـــسلمين، وقد أعدَّ ملوك أوروبا كل احتياجاتهم القتالية وجاؤوا غـــازين حاقـــدين يظنون أنهم سادة الأرض؛ وظنّوا أن العرب عبيد يباعون في ســـوق النخاسة، فخاب أملهم،... لهذا يتابع الحليم الفاضل وصف معركة حطين فيقول:

ووقعـــة يـــوم الـــتل إذ قبـــضت به	جبابـــرة الإفـــرنج حيـــرى وشردا
علـــيهم مـــن الـــبلوى ســـرادق ذلة	ومـــن ذَلَّ ماتـــت نفـــسه فتقـــيدا
ومـــا طـــرق الأسماع من عهد آدم	كملحمـــة الـــتل التـــي ثلّـــت العدا

---

(1) *عيون الروضتين، 303/1.*

وقال عمارة بن علي يمدح صلاح الدين؛ ويبين فضل أبيه في تنشئة المعارك[1]:

أبوك الذي أضحى ذخيرة مجدكم   وأنت له خير النفائس والذخر
فكيف أب أصبحت نار زناده   وإلا كنور البدر من سنة البدر؟

ولهذا ترى الآباء على طغيان الشيب في رؤوسهم لم يتوانوا في الدفاع عن حياض الأمة وكرامتها في وجه الهجمة الصليبية الباغية... وكانوا يخضبون شيبتهم إمعاناً منهم بإظهار الشباب لزرع الخوف في قلوب العدو الظالم. ففي حصار حصن (الكرك) مضى الأبناء على درب الآباء في الجهاد، وقد توفي في هذا الحصار محمد بن أحمد القادسي؛ بعد أن وصف ما آلت إليه الحال... ومما جاء في شعره معبراً عن ذلك كله[2]:

ولم أخضب مشيبي – وهو زين –   لإيثاري جهالات التصابي
ولكن كي يراني من أعادي   فأرهبه بوثبات الشباب

وإن القارئ للآثار الأدبية التاريخية للعصر الأيوبي يجد أن فكرة الجهاد لم تكن يوماً في حياة العرب والمسلمين مفهوماً يولد الكراهية والحقد على الآخر المعتدي، وكلما فرضت المصادمة الحربية على العربي والمسلم كان يتصدى لشرورها ورد خطر كل طامع أثيم... لهذا لم يخرج العربي في جيوش الفتح إلى أرض الله إلا بعد أن لقي أشد أنواع البغي والطغيان من الأعداء الذين لم يهدأ لهم بال دون أن ينالوا منه.

إذاً؛ خرج العربي المسلم مجاهداً لانتشال الأمم من ظلم محيق بها وبه، وتحريرها من رق الذل والعبودية واستعباد الآخر... ثم عبر الأدب في مختلف العصور عن الروح الإنسانية السامية لفكرة الجهاد، وساقها أصحابها بأرقى الأشكال الإبداعية الحضارية دون أن يشوهوا صورة الآخر المستبد الطامع في أرزاق الناس وخيراتهم وأراضيهم، وبيع أبنائهم في سوق النخاسة... وقد ظهر هذا في مؤلفات عربية عديدة وعبر عنها الشعراء بكل دقة وتسام كما نراه في

---

[1] *عيون الروضتين*، 2/142 – 143.

[2] *عيون الروضتين*، 2/122.

أشعار أسامة بن منقذ (ت 84هـ) في كتابه (الاعتبار)[1] وفي شعر ابن القيسراني محمد بن نصير[2] وكتاب أبي شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت 665هـ) (الروضتين في أخبار الدولتين)، وتلخيصه (عيون الروضتين)[3] وغير ذلك كثير...

فالنماذج الأدبية تحقق لنا ولادة الشفافية الأخلاقية لمفهوم الجهاد عند العرب والمسلمين، فهو جهاد قائم على احترام انتماء الآخر المغاير وعقيدته وحريته وصون كرامته والتفاعل معه... فهو أخ للمسلم في الإنسانية ولا يجوز امتهان مروءته ولا شرفه بعكس ما كان هذا الآخر يفعله مع العرب ويكتبه عنهم. وليس هناك من يرتاب منا في أن أكثر ما كتبه المؤرخون العرب والمسلمون، وما صوره الأدباء يعبر عن ذلك كله، وإن وقع أحياناً على بعض صور منفرة للآخر في تلك الكتابات والأشعار... ولم تكن هذه الصورة المنفرة بفعل الكراهية والحقد ــ كما نجده في المؤلفات الغربية عن الإسلام والمسلمين ــ بل كانت بحكم تاريخيتها، ووفق وجودها الحقيقي، كتلك الصور التي عرضوها للنساء الصليبيات اللواتي جلبن لبيع الهوى واللذة والترويح عن الجنود.

في صميم ذلك كله نجد الأدب العربي خاصة والتراث عامة يشكلان الوعي الناضج لحركة الجهاد، وكل منهما يديرها بحوار فكري وعاطفي شديد التأثير، هدفه الحق والحقيقة، وسمته الصدق والتفاعل النبيل مع الآخر لا نفيه لقوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة 6/9).

ومن هنا يصبح لزاماً علينا أن نشير بشكل موجز وسريع إلى المؤلفات الغربية الكثيرة من القرون الوسطى كما كتبها المحاربون الصليبيون وغيرهم؛ وإلى التجربة المرة التي شهدتها فكرة الجهاد في الأندلس... وإلى التأثير الكبير

---

[1] *حرر كتاب (الاعتبار)، فيليب حتّي، جامعة برنستون، 1930م ثم عني به غير باحث، مثل الدكتور حسن الزين ــ طبعةَ دار الفكر الحديث ــ بيروت ــ 1988م، والدكتور عبد الكريم الأشتر ــ طبعة المكتب الإسلامي ــ دمشق ــ ط2 ــ 2003م.*

[2] *جمع شعر ابن القيسراني وحققه ودرسه د. عادل جابر، الزرقاء، الوكالة العربية للتوزيع، 1991.*

[3] *طبع كتاب الروضتين في أخبار الدولتين في دار الجيل، بيروت، 1974م.*

للمـــوروث الديني اليهودي التوراتي، في الذهن الغربي وهو التأثير الذي ما زال مستمراً في تشكيل المسيحية الأصولية[1]...

فالمـــؤلفات التي ورثها الغرب عن الحروب الصليبية مثل (أنشودة رولان) أو (أنـــشودة أنطاكـــية)، شـــوهت ملامـــح فكرة الجهاد النبيلة خاصة، وصورة العربـــي عامة؛ حين صورت العربي المسلم بصورة ساخرة بغيضة، جردته من كـــل قـــيم الخير والأخلاق... فهو كافر متوحش، قاطع للطريق، ليس جهاده إلا إرهابـــاً وقـــتلاً، يذبح بلا رادع أخلاقي وينهب ويسرق، ويفرض الإتاوات على الـــناس الأبرياء... ولا هم لـــه من جهاده إلا المال واصطياد النساء، والاعتداء علـــى شرفهن... فقد أمعنوا في تشويه الصورة العربية، بمثل ما غيّبوا الكتابات الغـــربية التي تحدثت عن وحشية الصليبيين الذين أتوا بأفعال مشينة لا نظير لها فـــي الـــتاريخ إلا مـــا يفعلـــه الـــصهاينة والأمريكان هذه الأيام. ولعل ما كتبه (غوســـتاف لوبـــون) في كتابه (حضارة العرب) يكشف لنا عما فعله الصليبيون إبـــان احـــتلال القـــدس ســـنة (492هـــ)، ومنه قوله على لسان راهب فرنجي آنذاك:[2] "كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم مـــن التقتـــيل، وذلـــك كاللبؤات التي خطفت صغارها!!. كانوا يذبحون الأولاد والـــشباب، ويقطعـــونهم إرباً إرباً، وكانوا يشنقون أناساً كثيرين بحبل واحد بغية الـــسرعة. وكـــان قومـــنا يقبـــضون كـــل شيء يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخـــرجوا مـــنها قطعـــاً ذهبية!!!. فيا للشره وحب الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث".

ثـــم اســـتكمل الغرب تشويه الملامح الروحية لفكرة الجهاد بفعل المفارقات الـــشديدة بين العرب والإسبان نتيجة الحروب الدامية الطويلة التي جرت أحداثها في الأندلس. فإذا تذكرنا أن العرب لم يدخلوا شبه الجزيرة الإيبرية إلا بناء على طلـــب من بعض أمرائها المقاتلين عرفنا قيمة ما قدموه للإسبان من تسامح بين الأديـــان فـــي الـــتعامل وممارسة الحرية في العقيدة والحياة. وما كنا لنتوقع من بعـــض الإســـبان تلـــك المكافأة للعرب التي تجلت قتلاً وقهراً، ولا سيما إبان ما ســـموه (حرب التحرير)، وإثر خروج العرب من الأندلس مخذولين من قبل من لـــم يقـــدر حضارتهم، ولا سيما حين تجاهل أغلب الغرب والإسبان ما قدمه لهم

---

[1] *انظر مشروع القومية العربية إلى أين 156 ــ 168.*

[2] انظر حضارة العرب ــ 325، وراجع فيه (ص 326).

عهد عبد الرحمن الناصر وما أفادوه من المؤلفات العربية مثل مؤلفات ابن رشد وابــن خلــدون، ولم يبصروا دلالة غرناطة وقصر الحمراء على مفهوم التفاعل والتحــضر والارتقــاء... بــل شــرعوا يغذون أطفالهم بكل حقد على العرب المــسلمين، ويشوهون كل قيم الخير والأخلاق التي حملوها إلى الأسبانيين ومن ثمــة خططوا لاحتلال المغرب العربي بمساعدة الدول الأوربية ولا سيما فرنسا وألمانــيا[1]. ولعل قصة (حكايات إسبانية) للكاتبة (أ. خيمينييث لاندي) من أبرز مــا كتــبه الغــرب في هذا المجال... فقد ظهر العربي المسلم المجاهد في كل حكايــة مــن حكاياتها كافراً غادراً، مهووساً بالقتل من أجل المال والنساء...[2]، علــى حــين أن هناك فرقاً كبيراً بين ما قدمه العرب المجاهدون وبين ما كافأهم الإسبان عليه...

ومن ثم أخذت تظهر في الغرب بعد القرن السابع عشر مؤلفات غربية مشبعة بالعنصرية والحقد على العرب والمسلمين، ويكفي أن نشير إلى كتاب شاتوبريان (1768 ـ 1848م)، (رحلة من باريس إلى القدس)، وكتاب غوستاف فلوبير (1821 ـ 1880) (مراسلات)، الذي طبع للمرة الأولى في سنة (1922م)؛ لا سيما الفصل الخاص فيه (رحلة إلى الشرق)[3].

فهذه المؤلفات وأمثالها امتداد طبيعي لمؤلفات الغرب في الحروب الصليبية في القرون الوسطى... وهي مؤلفات نالت من رجل الدين الإسلامي والمسيحي العربــي على السواء... فرجل الدين المسيحي العربي القبطي عند فلوبير مدعاة للــسخرية الــشديدة وعــدم الاحتــرام... بينما صورة المسيحي الغربي صورة متحضرة راقية؛ هدفه الدفاع عن المقدسات المسيحية في الشرق؛ وهي مقدسات فرط بها رجل الدين المسيحي العربي لحساب المسلم كما تزعم تلك المؤلفات.

هكــذا بلــغ التشويه والحقد مداه في الذهن الغربي لفكرة الجهاد، ولصورة العربــي المكــافح مــن أجل وجوده وحريته وعقيدته. وهو تشويه ينطوي على مــرجعيات فكــرية إيديولوجــية، ومادية، ولا سيما ما يتعلق بالمرجعية الدينية التوراتية...

---

[1] *انظر صفحات من الجهاد والكفاح العربي ضد الاستعمار ـ ص 35 و 42 ـ 46 و 82 ـ 85.*

[2] *انظر: صورة المسلم في قصص الأطفال الإسبانية (حكايات أسبانيا) أنموذجاً.*

[3] *انظر صورة العربي في الكتابين المذكورين، د. أميرة عيسى.*

فالـصورة الغربية الشمولية والمركبة والمشوهة والظالمة لفكرة الجهاد عند العـرب والمسلمين إنما هي نتاج فكري تاريخي طويل الأمد تشكل على مراحل عـدة وتأثـر أيما تأثر بأدبيات الصهاينة وعقائدهم خاصة، لما يملكونه من نفوذ واسـع ومتنوع في أمريكا وأوروبة... ومن ثم يسدُّ الغرب أذنيه، ويغطي عينيه عما يفعلونه من جرائم ضد الإنسانية، وهي جرائم تخالف الاتفاقيات الدولية ولا سـيما اتفاقـية جنيف الرابعة (المؤرخة في 1949/8/12م) والبرتوكول الملحق بهـا في التاريخ نفسه... ثم يمعن الغرب الاستعماري في سد أذنيه لكي لا يسمع مـا يتـبجح بـه حاخامات الصهاينة، في فلسطين المحتلة. فحين قتل مستوطن يهـودي طفلـة فلسطينية أصدر الحاخام (مردخاي إلياهو) فتوى يقول فيها: "إن المـستوطن الـذي قتل الطفلة العربية عائشة لا يعتبر قاتلاً ولا يجوز محاكمته اسـتناداً للديانـة اليهودية"[1]. فالغرب عكس الصورة وجعل العربي قاتلاً وشاذاً وإرهابـياً متأثـراً بما يؤسسه الفكر الصهيوني في أذهان أبنائه... ولعل سميح القاسـم قـد بـين تـصوير الفكـر الصهيوني للعربي. فهو "رجل أشعث، حاد النظـرات، غدار يخفي في ثيابه خنجراً رهيباً، لا تكاد تدير ظهرك حتى ينقض علـيك بطعـنة نجلاء، متخلف قاس، همجي، هوايته القتل، سادي، قاتل أطفال، جـبان، رعديـد، كذاب، منافق، قذر، ساخط، لئيم، حقود..."[2]... وهذا قليل من كثيـر فـي تـصوير الفكر الصهيوني للعربي كما ظهر في عدد من المؤلفات، ومـنها تلـك التـي ألفها كتاب يهود مثل (إيهود بن عيزر)[3]... ومن ثم فالفكر الغربـي يتغذى من الفكر اليهودي في كتبه الدينية، التي عززت فكرة العنصرية والعداء عند الغربي للعرب والمسلمين، وهذا ما انتهى إليه الدكتور عبد الوهاب المـسيري[4]. فقـد امتـزجت التـربية اليهودية ومن ثم التربية الغربية بالفكر الإيديولوجـي القـائم علـى أرضـية عنصرية متنوعة من التوراة والتلمود...

---

[1] *مجلة الكفاح العربي (عدد 815)، ص 14.*

[2] *أضواء على الفكر الصهيوني 155 وانظر كتاب (الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام).*

[3] *انظر كتابه بعنوان (صورة العربي في الأدب العبري) ترجمة د. أحمد حماد ـــ ولاسيما ص 47-56.*

[4] *انظـر الإيديولوجية الصهيونية 20 ـ 22 و50 ـ 61 و124 ـ 153 و212 ـ 214، وراجع كتابنا مشروع القومية العربية إلى أين 161 ـ 166.*

ووجهت سموم حقدها إلى العرب والمسلمين في عقيدتهم وحياتهم وقيمهم وعاداتهم؛ وربطت بين تخلفهم وبين الإرهاب إمعاناً في التزوير والتشويه[1].

وبناء على ما تقدم؛ فإننا نشهد في كل لحظة حالة من تزوير الحقائق التاريخية ليس لفكرة الجهاد فقط وإنما لكل القيم العربية والإسلامية؛ وللعرب والمسلمين أنفسهم في أخلاقهم وسلوكهم وثقافتهم وعقيدتهم... فالغرب الأمريكي الصهيوني والأشرار من أوروبة يجهدون لقلب الحقائق وتشويه صورة الإسلام ونعته بصفة الإرهاب والقتل والتخلف إذ راحوا يلصقون به مصطلح (الإسلاموفوبيا) لتعزيز فكرة الخوف في النفس البشرية من الإسلام ومصطلح (الفوبيا) ويعني (الرهاب) و (العنف) و (الخوف). وهو مصطلح يرجع في أصوله ومفاهيمه إلى ما يعرف بعلم الأمراض النفسية التي تثير تصرفات عصابية قهرية. ولعل أفضل أسلوب لذلك ما شهدناه من إصرار الغرب على وصم الإسلام بأنه فاشستي، وبأن مفاهيمه متخلفة، أو معادية لحرية الإنسان، ومن ثم تصوير النبي الكريم بأبشع الصور، للإساءة إليه من جهة ولبث الرعب في نفوس الغربيين من جهة أخرى[2] وقد سخرت الولايات المتحدة كل ما تملكه هي وحلفاؤها لتشويه صورة العرب والمسلمين، وطفقوا يركزون قوتهم الظالمة عسكرياً وتقنياً وإعلامياً واقتصادياً لإثبات ذلك، ولا سيما بعد وقوع أحداث الحادي عشر من أيلول (2001 م)، إذ أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج بوش الابن بداية جديدة للحروب الصليبية دون أن يردعه خلق أو حق... وأطلق عبارته المشهورة (من لم يكن معنا فهو ضدنا) وجيش الجيوش والدول التي فتكت بجسد الأطفال والأبرياء في كل مكان، محاولاً إقناع العالم بأن كل مسلم إرهابي ــ وكاد ينجح ــ بينما هو يزرع الخوف والرعب في نفوس البشرية... فوحشية الجيش الأمريكي في أفغانستان والعراق لا مثيل لها في الوصف.

ولهذا وذاك نتساءل: كيف يستقيم حال العرب والمسلمين وموقف أمريكا والصهيونية على تلك الشاكلة؟ كيف يستقيم حالهم والمجرم شارون ثم أولمرت قد تلقى الدعم من أمريكا وأشرار العالم، حتى غدا شذاذ الآفاق يمارسون في فلسطين المحتلة كل لحظة أبشع أنواع الجرائم بحق الإنسانية والإنسان...ويزعمون أنهم دعاة سلام وتحضر؛ لم يسلم من فسادهم وحقدهم

---

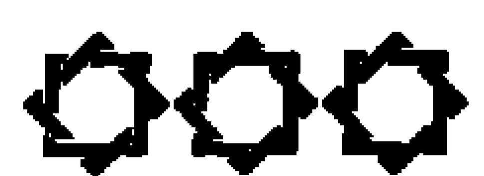
[1] *انظر مشروع القومية العربية إلى أين 141 وما بعدها.*

[2] انظر ظاهرة الإسلاموفوبيا ــ قراءة تحليلية – 31 –35 و 47 –49.

حجـــر ولا مدر ولا شجر ولا طفل ولا شيخ؟!! ولم يتفوق عليهم في الحقد على العـــرب إلا الزمـــرة اليمينـــية المحافظة بقيادة بوش الابن الذي وجه جيشه إلى احـــتلال العـــراق في (2003/3/20م) وعاث فيه قتلاً وتدميراً وحصاراً وسرقة لخيـــراته إلـــى أن وقـــع في الأسر في (2003/4/9م). وما زال شعب العراق يعانـــي الأمـــرين حتى الساعة؛ إذ فقد من أبنائه ما يزيد على (700) ألف حتى (2007/5/1م) علـــى حين هربَ من ظلم ذلك الاحتلال إلى مختلف دول العالم ما يزيد على (7) ملايين منهم أربعة ملايين في الدول المجاورة للعراق.

ولهـــذا نتـــساءل: كـــيف يـــستقيم أمر العرب والمسلمين وهم يئنون تحت ضربات الغزو الثقافي والعسكري الغربي والأمريكي والصهيوني؟ ثم إن بعض العـــرب يطالـــب بالتعايش المشترك مع الصهاينة؛ بل هناك قسم آخر قبل علناً بحمايـــة أمـــريكا التـــي جاءت للتحكم بمقدرات الأرض العربية ووجودها. أما موقـــف الإدارة الأمـــريكية المحافظة بقيادة بوش الابن فكان صريحاً في عدائه للعـــرب والمسلمين، ولكنه لم يؤثر في توجهات بعض الحكومات العربية، علماً بأنـــه لـــم يعـــد يخفى على أحد تصريحات تلك الإدارة في هذا الشأن إذ أعلنت بجلاء أن الخطر القادم على أمريكا والغرب يتمثل بالإسلام..

لـــذلك كلّـــه نقـــول: لا يـــستقيم الظل والعود أعوج، فلا بد من العودة إلى التمـــسك بقيم الجهاد، وكينونة الوجود الإنساني الفاعل... ولا سبيل لرد أي قهر أو بغـــي أو اعتداء بغير ثقافة المقاومة وتأسيس الوعي والعمل بها؛ إذ لا مناص لأمتـــنا عـــنها... لأنـــه كمـــا يبدو لنا بكل وضوح أنها أضحت ضرورة حتمية ووجـــودية وهـــذا مـــا يعرض لـــه الفصل الثاني الذي يتناول (المقاومة: الفكر والجدوى).



الفصل الثاني:

المقاومة (الفكر ـ الجدوى)

1 ـ قراءة في مبدأ المقاومة

2 ـ مكونات المقاومة وأركانها

1 ـ البعد العاطفي

2 ـ البعد الاجتماعي

3 ـ البعد التاريخي ـ الثقافي

4 ـ البعد القومي الإنساني الحضاري

3 ـ المقاومة حرية وسيادة وكرامة

4 ـ المقاومة ومشروع الهيمنة الأمريكية ـ الصهيونية

5 - المقاومة الوطنية اللبنانية وثقافة الوعي بالوجود الوطني

الفصل الثاني:

المقاومة الفكر والجدوى

ـ قراءة في مبدأ المقاومة

أيــاً كــان أمــر المقاومــة ونوعها فإنها أصل الدفاع عن الذات باعتبارها ضــرورة وجــودية، لأنــه لا بــد من مقاومة أي معتدٍ مهما كانت قوته البدنية والماديــة و... فإذا أخذت طبيعتها منحىً عقلياً إرادياً فإنها في مثل هذه الحال، **فعــل إنــساني إرادي واعٍ ومــسؤول للحفــاظ على الوجود والعيش بكرامة** وحــرية.. أي إن المقاومة الإنسانية ليست مجرد مجابهة غريزية للعدو الغازي، وليــست مجرد عنف للعنف، إنها دفاع إنساني مشروع عن الحياة ضد من يعمل علــى قتلها، واجتثاث القيم الإنسانية النبيلة، هذا ما شهدت به ثورة الجزائر ضد المحــتل الفرنسي الذي دام ما يزيد على /130/ سنة منذ عام (1830م)، والتي قــدمت الجزائر ما يربي على المليون شهيد وكذلك كانت مقاومة أوربا للاحتلال النازي[1].

وقــد أكــد ميثاق الأمم المتحدة في المادة /51/ حق الدفاع عن النفس " إذا اعــتدت دولــة مــسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة"، ونص قرار الجمعية العامــة للأمــم المتحدة رقم (3382) تاريخ (1975/12/10م) على ما يأتي: " تــؤكد الجمعــية مــن جديد شرعية كفاح الشعوب في سبيل الاستقلال والسلام

---

(1) انظر الاحتلال الإسرائيلي وشرعية المقاومة 82 – 92.

الإقليمي والتحرر من السيطرة الاستعمارية بجميع الوسائل أيضاً، بما فيه الكفاح المسلح"[1].

وهذا يعني أن المقاومة ضد المعتدي الظالم والغاصب للإنسان وحقوقه أمر مشروع وضرورة لازمة في الشرائع والقوانين، والمبادئ والقيم الأخلاقية، وقد أكدته الديانات السماوية وشرعة المنظمات الدولية وهيئاتها.

2 ـ مكونات المقاومة وأركانها:

فـي ضـوء مـا تقدم يمكن أن نؤكد أن المقاومة فعل فطري وإرادي واعٍ ومسؤول للدفاع عن الوجود والهوية والأرض، ولكن هذا الفعل يتخذ أبعاداً شتى لأنـه لا يـرتبط فقط بالإنسان المجرد، على اعتبار أنه لا يمكن أن يكون معلقاً بالفراغ.

فـأي إنسان، وكذلك بقية المخلوقات الحية تحقق كينونتها الفاعلة والإيجابية مـن خـلال المكـان /الوطن الذي تولد فيه وتنشأ؛ لتصبح العلاقة بين المخلوق والوسـط الـذي يتـصل به، والعادات والتقاليد التي تنشأ فيه علاقة انتماء ذات خـصوصية عاطفـية واجتماعـيّة وتاريخية مميزة لها من غيرها، وتبقى هذه العلاقة مميزة للجماعات البشرية من بقية المخلوقات.

وبهـذا يتـشكل من خلال الهوية والانتماء علاقة وطيدة بين المقاومة وبين الـدفاع عن الذات والوطن بكل مكوناته الأصيلة، والموحية بالأبعاد المشار إليها وهي:

1 ـ **البعد العاطفي**: وفيه تشترك المخلوقات كلها ـ غريزة ـ في التعلق بالوطن الذي تنتسب إليه، وتدافع عنه بسائق القانون الطبيعي، باعتباره دفاعاً عن كينونتها ذاتها كما نجده عند أضعف الحيوانات وأقواها كالأسود وغيرها... فالإنسان كغيره يولد بفطرته ولديه قوة التمسك بالحياة، وهي التي تدفعه إلى مقاومة أي أذى يصادفه أو يوجه إليه سواءً كان من صديق أو عدوٍّ.

ولهذا فإن طبيعة الوجود في الحفاظ على البقاء هي التي تدعو الإنسان إلى اتخاذ الأسباب التي تكفل لـه العيش الكريم في أرضه التي ولد فيها ونشأ، مهما

---

[1] انظر الاحتلال الإسرائيلي وشرعية المقاومة 50-56، و 99- 106.

كانـــت الإمكانيات والأدوات التي يملكها. ولكن غريزة حب البقاء ليست قوة غاشمة وعدوانـــية، علـــى اعتـــبار أن أول فطرة للإنسان والمجتمع تستند إلى مبدأ الحرية والمـــساواة الممثلة في الطبيعة، وفق ما ذهب إليه (جون لوك ـــ 1632ـــ 1704م). فالإنـــسان ينمـــي حريته دون أن يقصد إلى إيذاء حرية الآخرين[1]. وبمعنى آخر إن الـــبعد العاطفـــي الطبيعـــي عـــند الإنسان لا يمثل الصورة الذئبية للقوة الطبيعية في افتـــراس حرية الآخر، وفق ما نراه عند عدد من الأنظمة السياسية، والدول الراغبة فـــي الهيمنة والاحتلال، فالعقل الحر يلتمس السيطرة على قوة الغريزة المطلقة التي تـــؤدي إلى شريعة الغاب. ولكن هذه الشريعة نفسها تفرض على كل مخلوق تحقيق وجـــوده بالـــدفاع عـــنه بمخـــتلف الوســـائل المتاحة لكل مخلوق؛ لهذا يلجأ الثعلب الـــضعيف إلى قوة الحيلة لديه؛ بينما يعتمد الأسد على مواجهة الفريسة دون تردد أو خـــوف. وتبقـــى القوة المادية تقف في طليعة الأدوات التي يستعملها الإنسان للحفاظ علـــى الحـــرية لقـــولـــه تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل تـــرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ (الأنفال 60/8) وقـــولـــه تعالـــى في خطابه إلى يحيى (عليه السلام): ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ (مريم 21/19).

2 ـــ **البعد الاجتماعي**: لا مراء في أن هناك اشتراكاً في مفهوم ارتقاء المقاومة عن الوطن والوجود بين الإنسان والحيوان. فالحيوان يدفع الأذى عن أسرته ومكانه الذي ينتسب إليه، بسائق غريزي يدل على نمط من المودة والألفة، بيد أن هذا الدفاع يتخذ لدى الإنسان أشكالاً راقية من ثقافة الوعي بالوجود والانتساب إلى المكان الذي يكتسب في بعده الاجتماعي مشاعر مرهفة وحارة. فالعلاقة العاطفية الاجتماعية التي تنشأ بين الأسر الإنسانية تختلف عن تلك التي تنشأ بين اللبوة وأولادها؛ أو بين النعام وفراخها، أو.. أي إن علاقة الارتباط بالمكان علاقة حب سامٍ مجبول بالذكريات الاجتماعية لمجموع الكتل البشرية التي ولدت ونشأت فيه، وتعاونت على الخير، وكوّنت لنفسها قوة خاصة لمواجهة كل أشكال الشر والأخطار. ومن ثم تتفاوت المكونات الاجتماعية بين مجموعة وأخرى تبعاً لطبيعة التربية الاجتماعية والعادات والتقاليد، والثقافة الإنسانية المتسامحة، والتاريخ الذي أصل قيم الاحترام للآخر.

---

[1] *انظر بذور الفتنة الطائفية في لبنان 1/ 30 ـــ 32.*

فإذا كانت المقاومة ضد الكوارث الطبيعية ضرورة وجودية فإنها تغدو في المفاهيم الإنسانية دفاعاً مشروعاً عن الذات والجماعة والأوطان والمقدسات والهوية والحقوق. فالعادات والتقاليد والأعراف المكتسبة تضاف إلى الشكل الطبيعي المألوف في المكان والزمان لتنتج نوعاً من التجانس في القيم والمبادئ، واستخدام القدرات التي يملكها المجتمع أو الدول... ومن ثم فإن العلاقات الاجتماعية المتجانسة والمتحابة ترفع درجة الالتزام بين أفراد المجتمع الواحد، ما يؤدي إلى مفهوم الواجب في مقاومة كل من يعتدي على أحدهم، وهذا ما تجلى من قبل في مفهوم الدفاع عن القبيلة، ثم الدولة والأمة... أي إن المحبة الاجتماعية تورث عقداً اجتماعياً للدفاع عن كينونتها تجاه كل من يؤذيها، ليصبح هذا الدفاع ممثلاً لنبل القيم وصفاء الروح وعظمة الصداقة والتعاون. ومن ثم فإن المقاومة ضرورة اجتماعية للحفاظ على الأرض والأسرة والعلاقات الروحية التي تنشأ بين أفراد المجتمع، كما نستشفه من حديث رسول الله: " من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد"[1]. وهذا الحديث يشير إلى ضرورة الدفاع عن القيم الاجتماعية التي تنشأ في مجتمع ما للحفاظ عليها وعليه على الرغم من وجود الأنماط الشاذة من أشكال التعامل الاجتماعي والأخلاقي، مثل الأنانية، والحسد والحقد؛ والنفاق والكذب... بيد أن مثل هذه الأنماط السلوكية تتحطم أمام الخطر الأكبر الذي يهدد المجتمع، والوطن بأكمله...

3 ــ البعد التاريخي ــ الثقافي: الفعل الوجودي فعل تاريخي ثقافي واجتماعي وروحي يتميز بخصائص تميز كل أمة من الأخرى؛ ما يجعل المقاومة تتمسك بالمواطنة والتزام الهوية القومية غير المنقطعة عن الصلة الإنسانية وهي في النهاية موقف يتخذه أصحابها من الحياة، وكل ما يحيط بها وفق الفعل المضاد.

ومن يتلمس تاريخ العرب القديم والحديث يدرك أنهم ليسوا هواة اعتداء على الآخر؛ وإنما كانوا على الدوام يدفعون عن أنفسهم الضيم والقهر والظلم

---

[1] الجامع الصغير 544/2 وانظر صحيح البخاري 179/3.

والغـــزو. فـــتاريخهم الوجودي أسس مفاهيم الإخاء والمسامحة والعفو والسلام ونـــشر المحـــبة والألفة قبل أي مفاهيم أخرى، ما جعله يكوّن خصوصية فريدة للمقاومـــة مـــن خـــلال الابتعاد عن القتل للقتل، والعنف للعنف، أو ظلم الآخر والاعتداء عليه[1].

هذا ما تجلى في شرائعهم التاريخية منذ العهد البابلي والسومري حتى العصر الحديث. وتشهد بذلك كله شريعة حمورابي، وقيم العرب في الجاهلية التي تعاظمت فيها مفاهيم إغاثة الجار، وحماية المستغيث ونصرة الضّعيف، على الرغم من وجود القبائل المتحالفة فيما بينها لرد الظلم عنها، علماً بأن العرب لم يكونوا يتقاتلون فيما بينهم على الماء والكلأ والأرض إلا من أجل البقاء. وإذا نشب القتال فيما بين عشائرهم وقبائلهم وقتل أحدهم الآخر ـــ لأنه ظلمه ـــ بكاه بكاء مراً. أي إن التفاعل الاجتماعي التاريخي الإنساني يجعله يندم على ما اقترفت يداه، ما يعني أن هذا التفاعل يستند إلى جملة العلاقات الروحية والثقافية التي قوّت مركزية التجاذب فيما بينهم. ولا شيء أدل عليه من قول قيس بن زهير العبسي الذي قتل حذيفة بن بدر الفزاري وأخاه (حملاً) ثم وقف على جثتيهما يبكيهما قائلاً[2]:

شـــفيت الـــنفس مـــن حَمَلِ بن بدرٍ وســـيفي مـــن حُذَيفَـــةَ قـــد شفاني

فـــإن أكُ قـــد بَـــرَدْتُ بهـــم غليلي فلـــم أقطـــعْ بهـــم إلا بَنانـــي

ولعل ما عرفت عندهم بالمنصفات الشعرية يثبت عظمة ما وصلوا إليه من القـــيم الإنسانية رحمة ورأفة وتسامحاً، إذ كان أحدهم يصف بطولة خصمه بمثل ما يصف بطولة قومه، كقول المفضل النكري[3]:

مـــشينا شـــطرهم ومـــشوا إليـــنا وقلـــنا: الـــيوم مـــا تُقْضَى الحقوق

وكـــم مـــن ســـيّد مـــنّا ومـــنهم بـــذي الطّـــرفاء مـــنطقه شـــهيق

---

[1] هذا ما سينهض به الفصل الرابع من هذه الدراسة.

[2] انظر كتابنا ((الرثاء في الجاهلية والإسلام/ ص81 ـــ دارمعد للطباعة، دمشق ـــ1991م.

[3] انظـــر الأصمعيات ـــ ص201-202 ـــ تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ـــ دار المعارف بمصر ـــ القاهرة ـــ ط4 ـــ 1976م.

ومَــنْ يــتعقب مثل هذه الظواهر في الأدب العالمي فلن يجد لها أثراً بينما هي شائعة في الأدب العربي ما يعني أن العرب لا يقدمون على القتل والاعتداء حباً بهما، وإنما وقع منهم ذلك بفعل مقاومة الظلم والاعتداء عليهم.

ثــم نَمَتْ مفاهيم المقاومة وتعددت بعد انبعاث الرسالة المحمدية، في إطار مقاصــد الــشريعة الخمسة وهي (حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل [1] ووفــق قــولــه تعالى: ﴿ كُتِب عليكم القتال؛ وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ (البقرة 216/2) وقوله تعالــى: ﴿ أُذن للــذين يُقاتلــون بــأنهم ظُلمــوا، وإن الله على نَصرهم لقدير﴾ (الحج 39/22) [2].

ثــم تطــوّرت مفاهــيم الدفاع عن الذات والوجود والوطن والهوية والثقافة والأمــة مــن خــلال الجهاد الذي فرض على المسلم درءاً للظلم والمفسدة، أو مقاومة للغزو والاستعمار وإذا كان لا بد من قتال العدو فإن الإنسان مأمور بأن يكــون قتاله دفعاً للشر والقتل، وليس سبيلاً للإيذاء لمجرد الإيذاء وهذا ما تجسَّد فــي وصــية الخليفة أبي بكر لجيش أسامة بن زيد حين توجه إلى قتال الروم، وممــا ورد فيها: " يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تُغلّــوا، ولا تغدروا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقــروا نخــلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقــرة ولا بعيراً إلا لمأكله. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعــوهم ومــا فرغوا أنفسهم لــه.. اندفعوا باسم الله"[3]، وما زالت فكرة الجهاد تكتــسب فكراً متجدداً إلى أن وصلت إلى العصر الحديث في حروب الاستقلال فغــدت مقاومــة ومحاربــة الاســتعمار وكل أنماط الغزو، كفاحاً تحررياً بكل الأســاليب المــتاحة الأدبية والثقافية والفنية والسياسية والعسكرية والإعلامية...

---

[1] *انظــر فــي أصــول الشريعة، لأبي إسحق الشاطبي ــ ج8/2 تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي ــ المكتبة العربية ــ صيدا ــ بيروت ــ 2004م.*

[2] *راجع ما أثبتناه في الفصل الأول حول فكرة الجهاد في العقيدة الإسلامية.*

[3] *جمهرة خطب العرب 187/1.*

ولعل التشبث بالأرض والدفاع عنها وجه آخر من المقاومة كما نجده عند سميح القاسم في قصيدته (خطاب في سوق البطالة)، ومنها[1]:

ربما أفقد ــ ما شئت ــ معاشي

ربما أعرض للبيع... ثيابي وفراشي

ربما أعملُ حجّارا

وعتالا

وكنّاس شوارع!!

ربما أخدم... في سوح المصانع

يا عدو الشمس... لكن... لن أساوم

وإلى آخر نبض في عروقي

سأقاوم.

فكل نمط فكري وثقافي وفني مقاوم يجسد حقيقة الأرض المعطاء، وإخلاص الانتماء إليها على اعتبار العلاقة الجوهرية الفاعلة بين الأرض والوجود والمصير من جهة، وارتباط المقاومة الفردية والجماعية بالمجتمع وهوية الأمة وثقافتها من جهة ثانية. لهذا يرى غسان كنفاني في كتابه (الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948 ــ 1968م) أن "الشكل الثقافي في المقاومة تحت الاحتلال ليست ــ أبداً ــ أقل قيمة من المقاومة المسلحة ذاتها"[2].

وهــو الشكل الثقافي المقاوم الذي أخذت تنتظم فيه المقاومة العراقية، حتى صــار هــناك ما يسمى بأدب المقاومة في العراق، ما يذكرنا بأدب المقاومة في فلسطين.

وإذا مــا انتقلنا إلى المكون الرابع فإننا لا نتغافل عن أنماط المقاومة الكثيرة ماديــاً ومعــنوياً ولاسيما ما يتعلق بإيجاد إعلام مقاوم متمرس بالمعرفة وخبير

---

(1) *الأعمال الكاملة ــ 1 / 91 ــ المجلد الأول ــ دار الجيل ــ بيروت ــ 1992م.*

(2) *انظر الآثار الكاملة ــ ص 203 ــ الدراسات ــ 1968م.*

بالتقنيات ومجبول بالثوابت الوطنية والقومية البعيدة عن كل أشكال الخنوع والاستسلام.

4 ـ البعد الوطني ـ القومي ـ الإنساني الحضاري:

اتضح لنا أن الفكر المقاوم عند العرب والمسلمين لم يكن مجرد رد فعل غريزي وعاطفي واجتماعي وتاريخي ضد الآخر ولم يكن اعتداء على هويته وثقافته ووطنه /محله الذي ولد فيه ونشأ وإليه انتسب، ولكنه كان يحمل في مكوناته بعداً إنسانياً وحضارياً وهو يمارس الدفاع عن وطنه وأمته.

ولعل هذا المكون قد نضج وارتقى في عهد الرسالة الإسلامية وتعاليمها الخيرة والإنسانية الفاضلة، فأكسبها خصوصية لا نظير لها في التاريخ البشري، سواء أكان ذلك في المقاومة الإيجابية أم السلبية، السياسية السلمية أم العسكرية والمادية. ولا شيء أدل على هذا كله من مقاومة الرسول الكريم لمشركي قريش، وصبره عليهم في (الطائف) و(مكة) وصولاً إلى (صلح الحديبية) و(فتح مكة) وانتهاء بما قام به الخلفاء بعده في العهد الراشدي والأموي والعباسي إبان الفتوحات العربية لبلاد فارس وما وراءها. وهنا نشير إلى ما جرى في فتح قتيبة بن مسلم لسمرقند وبخارى.. وحكاية خروج الجيش من سمرقند مشهورة. وكان قتيبة قد فتحها دون أن يعرض على أهلها ما يفرضه عليه دينه الإسلامي، فخرج الجيش بناء على فتوى القاضي الإسلامي، ما جعل أهلها يتقبلون الدين بكل محبة ورضا، ويصبحون دعاة فيه لنشره بين الناس. ولعل ذلك كله يثبت أن فكرة المقاومة في إطارها الوطني والإنساني الحضاري عند العرب والمسلمين تستند إلى مفاهيم روحية وأخلاقية وإنسانية لتحقيق حرية كل فرد منهم في الوقت الذي تحفظ وجود الآخر وتمتنع من أن تنال من سيادته واستقلاله؛ ما يجعلنا نفهم شيوع كلمة (السلام) بينهم وبين من يتلقونه عدواً كان أم صديقاً، إذ يستقبلونه بها صديقاً كان أم عدواً، ما يعني أن السلام الذي نشير إليه يختلف عن مفهوم خيار السلام الذي انحاز إليه العرب، باعتبارهم الطرف الأضعف في معادلة الصراع العربي ـ الصهيوني، ويخالف مفاهيم الاستسلام التي اغتالت كل المعطيات الإيجابية للمقاومة بما فيها ثقافة التطبيع، وإقامة

الــندوات والمؤتمــرات بــين المثقفــين العرب والصهاينة بحجة مبادئ الحرية والديمقراطية والانفتاح على العدو لتحقيق السلام[1].

إذاً، ظــل هــذا البعد يتعمق ويرتقي في النفس العربية، إذ أكد العصر الحديث والمعاصر ارتباط العربي بوطنه وأمته وقيمها، وهو ارتباط منفتح على الكون الإنساني دون أن نستثني بلداً عربياً؛ على حين أكد العصر الحديث أيضاً إصـــرار الغرب على استعمار الوطن العربي وتجزئته، كما يثبته الفكر الغربي منذ مطلع القرن العشرين، وهو الفكر الذي أسس لمشروع الشرق أوسطية الذي عــرف علـــى نحو واضح في المخططات التي أُعدّت للوطن العربي. فالضابط البحــري الأمريكـــي، والإنكليــزي الأصـــل، (ألفــرد ماهـــان) وضع نظريته الجيوســتراتيجية عام (1902م) وأكد فيها (تأثير القوة البحرية في التاريخ) ولا ســيما فـــي (الــشرق الأوســط) الذي استعمله في هذه النظرية. وكذلك أوضح الرئيس الأمريكي (روزفلت) عام (1903م) نظريته التوسعية في الوطن العربي إذ قـــال: "أيهـــا الأمـــريكيون احملوا عصا غليظة وسيروا بعيداً من أجل أمركة العالم"[2].

ثـــم بدأ تعميم مصطلح (الشرق الأوسط) الذي يختص بدول المنطقة بما فيه الــوطن العربي مع النشاط الصهيوني الساعي إلى إقامة الدولة اليهودية اللقيطة على أرض فلسطين وتقسيم أبناء العروبة إلى شعوب متباينة الأنظمة والمذاهب. ثـــم انتقل المصطلح إلى الدراسة العلمية فأصدر (هاملتون) سنة (1909م) كتابه بعنوان (مشاكل الشرق الأوسط).

ولا ننـــسى أن الـــزعيم الـــصهيوني (تيودورهرتزل) قد تحدث كثيراً عن الشرق الأوسط الذي تكون فيه الدولة اليهودية المزعومة قائدة فيه[3].

ثم استجابت المخططات الأوربية لكل تطلعات الفكر الغربي الاستعماري التي تعمل على مواجهة المشروع القومي العربي النهضوي وفي طليعتها ما عرف

---

(1) *انظر الفصل الرابع (ثقافة المقاومة بين السلام والاستسلام).*

(2) *انظر (الشرق أوسطية من المصطلح إلى المشروع السياسي) ـــ مجلة المعلم العربي ـــ وزارة التربية ـــ دمشق ـــ العدد (1+2) السنة 58 ـــ لعام 2005م ـــ ص 7 ـــ 14.*

(3) *انظر (الشرق أوسطية من المصطلح إلى المشروع السياسي) ـــ مجلة المعلم العربي ـــ وزارة التربية ـــ دمشق ـــ العدد (1+2) السنة 58 ـــ لعام 2005م ـــ ص 7 ـــ 14.*

بوثيقة (بنرمان) الصادرة سنة (1907م)عن اللجنة الأوروبية الاستعمارية المعروفة باسم (كامبل بنرمان) رئيس وزراء بريطانيا (1905-1908م). والمشكلة من سبع دول أوروبية. وهي قمة المخططات الأوربية الطامعة إلى تحقيق السيطرة على الأرض العربية، دون أن ننسى لحظة واحدة الأطماع السابقة لأوربا في مشرق الوطن العربي ومغربه منذ القرن التاسع عشر. ولعل كتاب (صفحات من الجهاد والكفاح المغربي) قد أرخ لذلك كله فأغنانا عن تكراره[1]. وقد وضعت تلك اللجنة وثيقتها التاريخية المرعبة التي رسمت السياسة الاستعمارية للوطن العربي وتفتيته؛ إذ أكدت هذه الوثيقة أن الوحدة العربية؛ ـــ إذا استمر الوعي القومي لدى العرب بالارتقاء كما هو عليه في القرن التاسع عشر ولا سيما بعد دعوة المفكر العربي نجيب عازوري ومعاصريه من مفكري الفكر القومي ـــ ستتحقق حتماً، علماً بأن إعلان (آيزنهاور) في (آب 1958م) جاء رداً على الوحدة السورية المصرية. ويمكن أن نذكر أبرز ما جاء في وثيقة (بنرمان): "في هذه البقعة الشاسعة يعيش شعب واحد تتوفر لـــه من وحدة تاريخه ودينه ووحدة لسانه وآماله كل مقومات المجتمع والترابط والاتحاد، وتتوفر لـــه في نزعاته التحررية وفي ثرواته الطبيعية، ومن كثرة تناسله كل أسباب القوة والتحرر والنهوض... وإن خطراً على الاستعمار إذا توحدت الأمة وإذا تقدمت صناعياً".

ويخلص تقرير اللجنة إلى ما يأتي:

1 ـــ "علـــى الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة وتأخرها وإقامةِ دويلات تابعة للدول الاستعمارية.

2 ـــ وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تأخر وجهل وضعف.

3 ـــ ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي، وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري قوي غريب يتمتع بالقوة على المنطقة، يحتل الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطها معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة".

---

[1] *انظر صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار ـــ ص 20 ـــ 46.*

4 ـ منع قيام اتحاد روحي أو ثقافي أو تاريخي بين أبناء المنطقة ومحاربة أي شكل من أشكال الوحدة.[1]

إذاً، ركــزت هــذه اللجنة على بنود أساسية لتنفيذ ذلك، وفي طليعتها إيجاد أنظمــة سياســية مــتجاورة متبايــنة فــي نظام الحكم، وإشاعة الفرقة الطائفية والمذهبــية بــين الــشعب العربي، والعمل على تدمير اللغة العربية. ثم اتخذت الوسائل الكفيلة بتنفيذ ذلك من قِبَل الدوائر الغربية.

وكانــت البداية إعلان اتفاقية سايكس بيكو (1916/5/16م) ثم وعد بلفور (1917/11/2م) ثم الاحتلال الأوروبي كالاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان الذي بــدأ باحــتلال الساحل 1918م ثم استكمل في عام (1920م). وقد فك الارتباط العــضوي بينهما وفق اتفاقية (سان ريمو) بإيطاليا في (5/5 /1920) ثم أصدر المفــوض الــسامي الفرنسي قانوناً آخر يقضي بتشكيل دولة مستقلة في الساحل منفــصلة عــن سورية ما أغضب الشعب ونادى باتحاد لبنان وسورية؛ كما في القول الآتي:[2]

طغت فرنسا فصبّت سوط نقمتها ... فــي اللاذقــية حتــى صار بركانا

مــا كان أغناكِ عنا لو فقهتِ إلى ... فــرض انــتدابكِ عــدواناً وأغــنانا

حاولت عزل سوريا وهل فصلت ... عــنها العــروبة ســوريا ولبــنانا

واســتمرت الإجــراءات الفرنسية بقطع أوصال سورية ولبنان[3]، وأخذت بوضــع دستور طائفي مذهبي معترف به للبنان عام (1923م). ولم تكتف بذلك هي وغيرها من الدول الاستعمارية الأوربية بل سارعت إلى خلق مشكلات لكل بلــد مــع الآخر، فألحقت (إسكندرونة) بتركيا، و (عربستان) بإيران، ثم خلقت مشكلات عرقية هنا وهناك لتظل النزاعات بين دول المنطقة متأججة. أما وزير المــستعمرات البريطانــي (ونستون تشرشل) فقد أنشأ في آذار (1921م) إدارة خاصة للشرق الأوسط مهمتها الإشراف الدائم على تنفيذ مفهوم (الشرق الأوسط)

---

(1) *انظر ظاهرة الإسلاموفوبيا ـ قراءة تحليلية ـ ص 47.*

(2) *جريدة الوحدوي ـ دمشق ـ تاريخ 2007/4/15م/ العدد 249.*

(3) *انظر بذور الفتنة الطائفية في لبنان 72 ـ 76.*

وتجسيده على أرض الواقع، وقد أوكل إلى هذه الإدارة مهمة الإشراف على شؤون (فلسطين والأردن والعراق). ومن ثم أنشئ في الحرب العالمية الثانية (قيادة الشرق الأوسط) ثم حددت ملامحه الإقليمية التي تعزز ضم الدولة اللقيطة إليه، ويضم (تركيا وقبرص وإيران والبحرين والكويت والعراق وسورية والأردن والإمارات واليمن) وفق (دائرة معارف العالم الأمريكية)، علماً بأن كل ما أشرنا إليه لا ينسينا ذكر مبدأ (ترومان) الذي ظهر عام (1947م) والتوجه الأمريكي لتوسيعه في (1949/1/20م)[1].

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية نشأ كيان صهيوني في فلسطين المحتلة عام (1948م) وبدعم غربي كما رتّب له في ضوء ما هو معروف للجميع. ولعل الأحداث التي وقعت في المنطقة قد وفّرت الظروف المناسبة لتنفيذ (مشروع الشرق الأوسط) وفق الرؤية الأوروبية والأمريكية والصهيونية، مثل الحرب العراقية ـ الإيرانية عام (1980م) وحرب الخليج الثانية وتدمير العراق عام (1991م) وانعقاد مؤتمر السلام في مدريد (10/30 ـ 1991/11/2م)، وعقد اتفاقية أوسلو في (1993/9/13م). فإذا أضفنا إليها انهيار الاتحاد السوفييتي الداعم للقضايا العربية تأكد لنا أن تنفيذ ذلك المشروع آخذ في التحقق[2].

وهاهوذا العراق يحتل من الجيش الأمريكي في (2003/4/9م) ثم قام المحتل الأمريكي بوضع دستور إثني عرقي طائفي مذهبي.

لذلك كله فُرضت المقاومة الوطنية والقومية على أبناء الأمة العربية؛ ما يعني أن المقاومة فرض عين عليهم جميعاً من أجل الحرية والكرامة، أياً كانوا فقراء أم أغنياء، ما داموا يحققون شرط الانتماء الأصيل الذي ينعم أهله فيه بوطنهم وبلادهم بالأمن والأمان والسعادة.

---

[1] *انظر الشرق أوسطية من المصطلح إلى المشروع السياسي ـ د. مجيدة بدور ـ ص 9 ـ 11.*

[2] *انظر الشرق أوسطية من المصطلح إلى المشروع السياسي ـ د. مجيدة بدور ـ ص 9 ـ 11.*

3 ـ المقاومة حرية وسيادة وكرامة:

لعل أبرز ما يميز الفكر المقاوم، ويحقق الجدوى الخيرة فيه أنه ما وضع إلا لحرية الإنسان وتحقيق كرامته واستقلاله ليكون في وطنه سيداً وسعيداً، منتجاً وبانياً، وفق سيادة الحق والكفاءة والقانون. ولن يتحقق له ذلك إلا إذا كانت لديه إرادة قوية تقف في ساحة المعركة صامدة للقضاء على كل ما يمكن أن يهدد الوجود الحر الكريم والهوية الذاتية الأصيلة. وحينما يخفت صوت المقاومة رسمياً وشعبياً فهذا يعني أن الفكر الدافع للمقاومة قد خفت في تأجيج العقول وتذكية المشاعر، ولم يعد قادراً على مجابهة صلف القدر والظلم والخبث والقتل، والاستعباد والاستعلاء، والعوَز والفقر، والاحتلال والتهجير، والتدمير. لهذا تصبح المقاومة في سبيل ذلك ذات اتجاهات سلبية وغير فاعلة على الصعيدين الداخلي والخارجي، الفردي والجماعي. ولعل الفطرة السليمة لارتباط المقاومة بالحرية والكرامة تذكرنا بحادثة عنترة المشهورة مع أبيه، إذ كان عبداً ذليلاً في قبيلته حتى أتاها غزو خارجي، فما أبه عنترة العبد المظلوم لما جرى لها لأن العبد لا يحسن إلا الحلْب والصرّ، فاستنجده أبوه وقال له قولته المشهورة: كر وأنت حر، فكرَّ منتصراً لحريته وقبيلته.

وتتجسد مقاومة الفساد والظلم، والاستبداد ومقارعة الغزو الخارجي لاحتلال الأرض وقهر الإنسان بكل أسلوب يتاح للإنسان ابتداء بالأسلوب الفردي والجماهيري الديمقراطي المادي وانتهاء بالأساليب السياسية والثقافية والأدبية والفنية والإعلامية و.. ويُصبح كل نمط فيها مشروعاً وفق مختلف الشرائع والقوانين الدولية. وهذا ما أكده قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (3214) تاريخ (1974م) الذي شرّع حق الشعوب بالكفاح المسلح من أجل نيل الحرية والاستقلال وحق تقرير المصير. ونرى أن مقاومة الاحتلال بكل الأشكال المتاحة للشعوب وما تحقق على الصعيدين الوطني والقومي يثبتان أن العرب لم يخرجوا من التاريخ، في الوقت الذي أثبتا كذب نبوءة بعض الباحثين الأمريكيين التي أصرت على مفهوم تفوق الجنس الآري التي تلاقي نظرية أبناء (الشعب المختار)، فالنظرة الغربية نظرة استعلائية عدوانية وعنصرية وهي لا تختلف عمّا يتضمنه التوراة والتلمود الذي أنتج نمطاً من البشر العنصريين الذين لا يرعون حقاً ولا ميثاقاً للآخر، فمنهجهم العنف والحقد وسلوكهم القتل

والتدميـــر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذّبوا وفريقاً يقتلون﴾ (المائدة 181/5).

فالـــيهود على اعتبار زعمهم بأنهم (شعب الله المختار) جسّدوا الإله ممثلاً لأهـــوائهم كما ذكروه على لسانه ــ سبحانه ــ في التوراة: "إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب"[1].

ومـــن ثـــم وجدنا (فرنسيس فوكوياما) يكتب كتابه المشهور (نهاية التاريخ والإنـــسان الأخيـــر)[2]، وفـــق تميّـــز الإنسان الغربي وكأنه صادر عن مشكلة العنـــصرية نفـــسها؛ ونحو ذلك موجود في كتاب (صدام الحضارات) لصموئيل هنتنغـــتون الـــذي أعلـــن فـــيه هزيمة الحضارة العربية، وكلاهما يرى أن ثقافة العولمة /الأمركة التي تقودها أمريكا قد غدت المنتصرة على غيرها[3].

وبـــناء علـــى مـــا تقدم فإن الإدارة الأمريكية المحافظة بقيادة جورج بوش الابن تسعى جاهدة إلى تزييف مقاومة الشعب العربي ونعتها بالإرهاب والعنف؛ ونعـــت أصحابها بالمارقين والمتمردين والإرهابيين الذين يهددون السلم الأهلي والبـــشري ســـواء كـــان ذلك في فلسطين أم لبنان أم العراق والسودان؛ بيد أن المقاومـــة الوطنـــية فـــي لبـــنان وفلـــسطين والعراق قد أكدت جوهر مصطلح (المقاومـــة) باعتـــباره مجابهة جوهرية وأخلاقية على الصعيد الذاتي والوطني والإنـــساني لكـــل محـــتلٍ غريب للأرض والإنسان. فهو مصطلح يحتفي بالمثل والحـــرية والكـــرامة علـــى عكـــس مـــا أرادت لـــه الإدارة الأمريكية اليمينية المحافظـــة، والـــصهيونية العالمية، والدوائر الاستعمارية التي طفقت تعمل على تـــشويه هذا المصطلح وإلباسه لبوس الغموض والتناقض. فقد جهدت في تغيير دلالـــته النفـــسية والاجتماعـــية والفكـــرية التاريخية والمعاصرة وفق ما عرفه العـــرب... لقـــد مارست خططها المنهجية والاستراتيجية لتشويه المصطلحات العديـــدة لتحـــركات الوطنـــية والنضالية بدءاً من مصطلح الإرهاب والتضحية وانـــتهاء بمفهـــوم الجهاد والاستشهاد، وما ناظرهما من مفاهيم الكفاح والنضال

---

(1) *سفر الخروج ــ الإصحاح 19 ــ آية 5-6.*

(2) *نشر في مركز الإنماء العربي ببيروت مترجماً سنة (1993م).*

(3) *انظر ترجمته للسيد طلعت الشايب ــ بيروت ــ ط 2 ــ 1999م، وراجع حديثنا عن ذلك في كتابنا (مشروع القومية العربية إلى أين 96 ــ 102).*

والممانعة والصمود والتصدي والفداء و.. لهذا فالإدارة الأمريكية اليمينية عملت جاهدة على دعم كل الأشكال الاستعمارية؛ إمبريالية واستيطانية، ثقافية وسياسية، اجتماعية واقتصادية، علمية وإعلامية، وتقنية لجعل الفعل المقاوم عن الوجود والحرية إرهاباً في وجه المحتل وقريناً للقتل.

فالإدارة الأمريكية المحافظة المتصهينة ما زالت منذ مطلع الألف الثالثة تقيم المؤتمرات والندوات وتشن الحملات الإعلامية لتزييف حقيقة مصطلح (المقاومة) وعدد من المصطلحات العربية، وتحميلها ـ ظلماً ـ الدلالة المعنوية لفلسفة الغرب التي تتركز حول العنف والقتل والاعتداء على الأبرياء. وهذا ما حدا بها إلى تعميق صلة المقاومة الوطنية بالقتل والاعتداء بعد أحداث (11/ أيلول/2001م)؛ ومن ثم ربطت بين مصطلح (الإرهاب) بدلالته الغربية وبين مصطلح (المقاومة) فشوّهت قيمتهما الإنسانية الشريفة، مستغلة القوة الإعلامية الجبارة وتقنياتها شرقاً وغرباً لغسل الأدمغة التي تربت على مفاهيم التحرر الوطني والقومي ثقافياً وحضارياً. وكانت إدارة بوش الابن تشوه مصطلح المقاومة وفق شعارات مزيفة باسم الديمقراطية والحرية، واستغلال الشرعية الدولية وحقوق الإنسان، وبخاصة حين قررت الدخول إلى صميم النسيج الاجتماعي والثقافي للشعب العربي لإقناعه بخطر المقاومة عليه باعثة في نفسه الشك نحوها[1].

ومن ثم فقبل أن تجيّش جيوشها لغزو أي بلد عربي أو مسلم فإنها تجيش الإعلام والفضائيات ثم تجيش العالم استجراراً لمشاعر أبنائه للوقوف في صفها، وتنفيذاً لأجندة صهيونية تجعل العالم يعادي العرب والمسلمين وتجعل نضالهم الوطني والقومي اعتداء على الآخر الصهيوني.

فالإدارة الأمريكية المحافظة ـ وفي إطار تبنيها للأجندة الصهيونية ـ قرنت الإرهاب بالعرب والمسلمين بعد (9/11) وصار الفدائي والمجاهد والمقاوم منهم إرهابياً انتحارياً يعتدي بجسده على المحتلين لأرضه والناهبين لثرواته والقاهرين لحريته، ولا يجوز له قتالهم ومقاومتهم ـ بزعمها ـ لهذا

---

(1) *انظر كتابنا: مشروع القومية العربية إلى أين 138-146*.

ركـزت تلـك الإدارة حربها في فلسطين والصومال والعراق والسودان ولبنان وأفغانستان لاستئصال الإرهاب من هذه الدول ـ كما تزعم ـ.

ولعـل أعظـم مـا يؤيد هذا تصريح الرئيس الأمريكي جورج بوش إبان مـواجهة المقاومـة الوطنية اللبنانية للعدوان الوحشي الصهيوني على لبنان بأن الإسـلاميين فاشـستيون منحـرفون وغير أسوياء، متجاهلاً ما يقوم به الكيان الصهيوني من تصرفات همجية لا نظير لها في التاريخ. أما الحر الشريف الذي ينظـر إلـى المقاومـة اللبنانية والفلسطينية بحياد ونزاهة فإنه يدرك أنها كانت تتـسامى على منطق التحريف والتشويه والاستسلام والتخويف و.. على اعتبار أنهـا أسـقطت مـن حـساباتها كل مفاهيم الخلط المشوّهة والمزيفة لمصطلح المقاومـة. فالمقـاوم إنـسان واع عاقل عارف بما يفعل وما يريد، ومدرك لما يملكـه عـدوه الـذي احـتل الأرض واغتصب العرض، ونهب الثروات باسم التحضر والتمدن وإشاعة الحرية.

وبهـذا كلـه فالمقاومة ليست تخلفاً واعتداء على الآخر مهما ابتليت الأمة بعـدد مـن أبنائها الذين عاشوا في حالة من انحراف العقل والنفس فانتهوا إلى التفكيـر اليائس والبائس والعاجز عن التفريق بين الحياة الكريمة والخنوع الذليل ومن ثم خلطوا بين المقاومة وبين العنف والقتل، والاعتداء على الأبرياء...

فـإذا كان الشر جِبِلّة لبعض النفوس الآدمية فإننا نجد أن عدداً من أرباب الدوائـر الأمـريكية خاصة والغربية عامة هم مَنْ يتصفون بكل صنوف الشر، لأنهم يمارسون كل مقومات السيطرة والاعتداء على القرار العالمي حين يتبنون مفاهـيم العنف والقتل المعروفة لدى الكيان الصهيوني خدمة لمصالحهم الذاتية. وكلـنا يعرف أن الكيان الصهيوني في تعاليمه الفكرية والدينية يقوم على مبادئ القـتل وإلغـاء الآخـر، لأنه مسكون تاريخياً ونفسياً بظلم الآخر وتعذيبه تعذيباً سادياً. فكل ما لدى هذا الكيان من سياسات ومبادئ لم تتسع إلا للقبح والكراهية، والكـذب والافتـراء، والخـبث والدهاء في نسج المؤامرات والانقضاض علٰى مـبادئ الشرعية الدولية. فهو يمارس الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني، ويلتذ بتدميـر الحجر والشجر بصورة شريرة لا نظير لها في التاريخ البشري دون أن يـستطيع القانـون الدولـي معاقبته. ولعل وصول (أفيغدور ليبرمان) اليهودي المتـشدد إلـى الحكـومة الصهيونية قد زاد الطين بلة وهو القائل:" إن تاريخنا

يبرهن على أن الشعوب ذات الثقافة والديانة المختلفة لا يمكن أن تعيش مع بعضها البعض".

وهذا يعني أن ليبرمان ليس إلا رمزاً رديئاً آخر للحكومة الصهيونية التي لا تتورع عن قتل الشعب الفلسطيني.

وما يدعو إلى العجب أن أغلب دول العالم انبرى إلى عقد الندوات والمؤتمرات لوضع يده على ظاهرة القتل والعنف الشائعة في كثير من بقاعه، وطفق يفتش عن سبب الإرهاب ودوافعه، وعن شيوع ظاهرة الكراهية في النفوس البشرية... وأطال البحث عن ذلك كله فما وجد إلا إجابة واحدة حاول أن يتناساها، وهي أن الكيان الصهيوني وإدارة بوش المحافظة هما من يخططان للقتل والكراهية وإشاعتهما بين الناس. فقد نجح كل منهما في جعل بعض المجموعات السكانية تقتل أخرى، إذ نرى أن قبيلة هناك تستأصل قبيلة هنا، وبلداً في الشرق يعادي الآخر في الغرب، ... لا لشيء إلا لأنهما ماضيان في تنفيذ ما يسمى مشروع الشرق الأوسط الجديد وفق سياسة الفوضى البناءة التي اعتمداها لذلك ثم أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية عن ولادته من القاهرة في بداية العدوان الصهيوني الوحشي على لبنان في (2006/7/12م). ومن ثم تمضي تلك المؤتمرات والندوات في توصيف ظاهرة القتل والإرهاب المنتشر في كل مكان ويجهد أصحابها في تمحيص الأفكار والآراء، وحينما تخلص تلك الجهود إلى تعريف للعنف والقتل والإرهاب، وتتبنى توصيات فاعلة ومهمة لقلع ظواهر الشر من العالم تنبري إدارة بوش المتصهينة لتمييع المسألة وتملأ العالم بالسجون بحجة مكافحة الإرهاب، فتراها تقذف إليها عدداً من أبناء الوطن العربي والعالم. ثم ترفض أن تطبق أياً من مفاهيم الإرهاب والقتل على جنودها الذين يرتكبون أشنع أنواع الجرائم بحق الإنسانية؛ كما رأيناه في العراق وأفغانستان. فهي تصدر القوانين الخاصة التي تجعلهم بمنأىً عن الملاحقة القضائية في بلادها وفي أي بلد آخر، لا يماثلها في هذا السلوك الإجرامي إلا الكيان الصهيوني.

ونحن نحس ونؤمن بأننا ننتمي إلى أمة ابتليت منذ وقت طويل بأنواع شتى من الاستعمار والاستعباد والظلم والقهر والعدوان منذ القديم، وأخيراً تركزت مجتمعة في أراضيها منذ مطلع القرن العشرين ابتداء بالاستعمار

الأوروبي؛ الفرنسي البريطاني خاصة، ووصولاً إلى الاستعمار الصهيوني العنصري الاستيطاني المدعوم بآلة الفتك الأمريكية المتوحشة، وانتهاء بالاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق، ما يعني أننا نعيش حالة من العدوان المنهجي الذي يمضي في القتل المستمر علينا، وحين ندافع عن أنفسنا نتهم بالإرهاب والعنف.

وإذا كنا قد عشنا حالة من الشعور بالعزة والكرامة إبان حرب الاستقلال، وشعرنا بالأمل في التحرر من التخلف والجهل والفقر على يد الحركات الثورية الوطنية والقومية، ولمسنا حالة الوعي بالحقيقة إبان انتصار تشرين أول/ أكتوبر لعام (1973م) ثم تجلّى نهوضاً نوعياً على يد المقاومة الوطنية في فلسطين ولبنان والعراق فإننا أيقنّا بأن الآخر المعتدي سواء كان صهيونياً أم غيره هو من يمارس كراهيته لنا وللبشرية والاعتداء على مبادئها الإنسانية والخلقية وسيادتها الوطنية.

فالصهاينة هم من احتلوا فلسطين؛ قتلوا قسماً من أهلها وشردوا قسماً آخر، وزرعوا الدمار والشر والكراهية في جنبات الأرض مدعومين بالاستعمار الغربي بكل أشكاله وبإدارة أمريكية محافظة ظالمة لذلك تراهم يرتكبون المجازر الجماعية الوحشية في أرضنا المحتلة بكل صلف، ودون مبالاة. وقد طفقوا يجربون مرة بعد مرة غزو لبنان/ المقاومة والشعب، ومارسوا شهوة القتل والإجرام والإبادة وتدمير البنى التحتية فما جنوا إلا الخيبة والهزيمة، وإن أشعلوا بين أبناء الوطن الواحد نار الفتنة. وهاهم أصحاب مشاريع الهيمنة القابعين في الإدارة الأمريكية المحافظة ومن معهم من الصهاينة والعملاء يمارسون نزواتهم المريضة وشهواتهم الإجرامية بتنفيذ مخططات قتل بعض الشخصيات اللبنانية، ومن أبرزها اغتيال وزير الصناعة اللبناني (بيير الجميل) في (2006/11/21م). وآخر هذه المسلسلات الإجرامية اغتيال النائب (وليد عيدو) يوم الأربعاء (2007/6/13م) في منطقة المنارة ببيروت ـــ في وضح النهار ـــ. وما يلفت الانتباه ويحير العقول أنهم يسارعون إلى تجييش القنوات الفضائية وعملائهم لإسناد التهمة إلى سورية، التي تعدّ الخاسر الأكبر بمقتل كل منهما. فالإدارة الأمريكية الداعمة لذلك الكيان العنصري البغيض ـــ والتي أمرت أساطيلها وطائراتها باحتلال أفغانستان والعراق؛ ومن قبلُ غزت

الصومال وزرعت الفتنة بين أبناء السودان حتى نشب القتال بينهم ــ ما زالت تزرع بذور الفتنة في لبنان بقيادة سفيرها (فيلتمان) لإيجاد شرخ دموي بين أبنائه، وتقف إلى جانب الشر الصهيوني بعد أن نجحت بوضع لبنان تحت الوصاية الدولية بقراري مجلس الأمن (1559) و (1701).

إذاً، مــن يــبذر الفتــنة في الأرض العربية ويمارس القتل للقتل، ويمارس الإرهــاب للإرهــاب؟ الجواب قد بات واضحاً لكل حرّ وشريف في العالم. وقد عــرفه كل عضو في مجلس الأمن حين رأى المهزلة الأمريكية وهي ترفع بكل وقاحــة حــق النقض يوم السبت (2006/11/11م) في وجه قرار عربي يُدين جــرائم الكــيان الصهيوني ومجازره في بيت حانون، ما جعل العالم يتقزز من موقــف إدارة بــوش، وسلوك سفيرها السابق (جون بولتون) في مجلس الأمن الــذي عُدَّ السفير الثاني للكيان الصهيوني في هذا المجلس. حقاً لقد صدق القول على كل من الكيان الصهيوني وإدارة بوش: إذا لم تستح فاصنع ما شئت ما دام العالم عاجزاً عن ردّ ظلم هذه الإدارة، وإيقاف مجازرها المنتشرة في كل مكان.

4 ـ المقاومة ومشروع الهيمنة الأمريكية والصهيونية

هكــذا تكــشفت يوماً بعد يوم حقيقة الأحداث التي أثبتت ــ دون شك ــ أن إدارة بوش الابن أرادت أن تجعل العالم كله في مواجهة حركات نضال التحرر الوطنــي والقومــي ومقاومتها الشريفة للمحتل ما جعلها تخطط لحربها المعلنة على العرب والمسلمين باسم مكافحة الإرهاب.

لهذا انقضّت على سيادة الدول وهيمنت عليها ــ بعد أن غدا عدد من الأنظمة العربية الرسمية محمَّلاً بإرث من السلبيات ــ وراحت تسرق ثرواتها باسم الحرية والديمقراطية، مُلبسة أعمالها العدوانية صفة الشرعية الدولية باعتبار سيطرتها على الهيئات الدولية، ما أوقع هذه الشرعية في أزمات متتالية نتيجة سيطرة الإدارة الأمريكية عليها ولا سيما في ما يتعلق بقضايا العرب والمسلمين.

ولعــل القــرارات الدولية في هذا الشأن أعظم من أن يشار إليها منذ نشوء الكيان الصهيوني سنة (1948) وصدور قرار عودة اللاجئين رقم (194) تاريخ (1948/12/1م) الــذي لــم يــنفذ حتى الآن دون أن ننسى لحظة واحدة ما قاله

الـــصهيوني (ناحـــوم ســـوكوف) فـــي خطابه للمؤتمر الصهيوني الماسوني في (كالـــسبارد) يـــوم (1922/8/27م) ونشرته صحيفة (نيويورك تايمز) في اليوم التالـــي: "عصبة الأمم فكرة صهيونية خلقناها نحن بعد كفاح دام خمساً وعشرين سنة".

وفـــي معرض الحديث عن ذلك كله نشير إلى فرض الإدارة الأمريكية كل مـــا يحقـــق مـــصالحها، سواء تمثل بتدجين النظام العربي الرسمي، أم بخفوت الـــصوت الـــشعبي، حتى بات انتشار القوات الأمريكية أمراً واقعاً في الأرض العـــربية، وبـــات التدخل في الشؤون الداخلية للحكومات والدول أمراً لا يماري فـــيه أحـــد كمـــا يتضح للناس جميعاً من تنصيب حكومة أفغانية أو عراقية عن طـــريق انـــتخابات معلبة فاقدة لكل الشروط الموضوعية. وهي ــ اليوم ــ تقف مـــساندة بعـــض اللبنانيـــين الـــذين اختاروا الوقوف إلى جانب الدوائر الغربية والأمـــريكية، تحـــت مـــزاعم الـــسيادة الوطنية ما أدَّى بهم إلى التنكر لسورية ودورهـــا القومـــي النبـــيل في لبنان. ولا شيء أدل على هذا من مواقف النائب اللبناني وليد جنبلاط ــ وما أكثرها ــ وهو الذي التقى النائبة الصهيونية كوليت أفيـــتال فـــي فرنـــسا يوم الاثنين (2006/8/28م) على هامش اجتماع للحزب الاشـــتراكي الفرنـــسي. وقـــد صرحت هذه النائبة بأن السيد وليد جنبلاط أظهر عـــداءً عظـــيماً لـــسورية ونظامها ولحزب الله وقائده، وكشف عن نفاق وكذب وتدجـــيل لا نظير لـــه عند السياسيين، وفق ما نشرته جريدة (الشرق الأوسط) فـــي (2006/8/29) وصـــحف أخرى (كالنور) و(الوحدوي 2006/9/1م) إثر ذلك التاريخ.

فالنائب جنبلاط وأمثاله من اللبنانيين والعرب يقامرون على القوة الأمريكية الفائـــضة في مختلف المجالات وهيمنتها على المنظمات الدولية بما فيها مجلس الأمن الذي صار أداة بيدها، بمثل ما يقامرون على القوة الصهيونية لنزع سلاح حـــزب الله ــ باعتباره يمثل وجهاً شريفاً من وجوه المقاومة الوطنية ــ وكأنهم لـــم يدركوا ما قالته صحيفة هاآرتس بأن "إسرائيل كلب صيد أمريكي فقد جدواه" وتأكـــد ذلـــك باعتراف وزيرة خارجية الصهاينة (تسيبي ليفني) بأن أي قوة في الأرض لا تستطيع نزع سلاح حزب الله.

ويبدو لي أن انكشاف المشهد الأمريكي ـ الصهيوني سياسياً وعسكرياً وأخلاقياً لم يقنع العديد من السياسيين العرب بأن الصورة قد انقلبت لصالح المقاومة الشعبية الوطنية والقومية والإنسانية فما زالوا ينظرون إلى الواقع العربي والدولي نظرة أحادية ويعتقدون بأن هناك دولة قوية واحدة في العالم وقوة واحدة أخرى في المنطقة تملك السلاح النووي والأسلحة الفتاكة العمياء التي زودتها بها الإدارة الأمريكية التي تملك أعتى قوة على وجه الأرض، ما يعني ـ في زعمهم ـ أن المقاومة مغامرة؛ والعين لا تقاوم المخرز. ومن ثم علينا أن نفتش عن حلول بمعزل عن استخدام السلاح الذي لم يجرّ علينا وعلى بلادنا إلا الويلات والدمار، ومن ثم يعرضون لما جرى في لبنان نفسه إبان العدوان الوحشي عليه في (2006/7/12م) وكل من في تيار (14 شباط) يصرح به يومياً في الإذاعة والصحافة والقنوات الفضائية، كما جرى في مقابلة أجرتها القناة اللبنانية (ل.ب.س L. B. C) مع النائب أكرم شهيب، بتاريخ الثلاثاء (2007/4/10م)..

ونرى أن صمود المقاومة الوطنية اللبنانية بقيادة حزب الله وتشبث الشعب بأرضه في الجنوب وصمود المقاومة العراقية على يد الشرفاء وتمسكهم بأرضهم وصمود الشعب الفلسطيني وإيصاله منظمة (حماس) إلى السلطة عن طريق انتخابات ديمقراطية قد أحيا روحاً جديدة في المنطقة لمواجهة المشروع الأمريكي الصهيوني؛ هذا المشروع الذي أخذ يخطط لتوجهات جديدة في المنطقة من أجل استمرار وجوده والقضاء على كل مقاومة له. ومن أبرزها أنه بات يزرع الموت والدمار في أي أرض يطؤها مستعملاً الأسلحة الفتاكة والمحرمة دولياً، وفي الوقت نفسه يزرع الفتنة الطائفية والمذهبية والعرقية، ويجعل الأخ عدواً لأخيه لا يتورع عن قتله، فالمشروع الأمريكي يزرع كل ما من شأنه التفرقة والاقتتال بين أبناء المنطقة. لكن الشعب العربي قد خيّب ظن المحتل الأمريكي والصهيوني وهزم مخططاته حين تشبث بأرضه ولم يغادرها، بل قبض عليها بالدم والإصرار على الانزراع في ذراتها، ما جعل ذلك المشروع الأمريكي الصهيوني يتراجع؛ ولابد له أن يسقط أمام إرادة أبناء الأمة وذلك كله يعني أن حرية العربي والمحافظة على وجوده وهويته وانتمائه

لا ينفصل عن ثقافته وموروثاته التي تؤكد وجوده الفاعل الحر والكريم لمقاومة أي ثقافة قاهرة مهما تزيَّت بالأقنعة المخادعة.

وعلى الرغم من ذلك نقول: هناك فجر جديد على الصعيدين العربي والدولي في المنطقة بإحياء ثقافة المقاومة وفكرها؛ وهي الثقافة التي جعلت القوة الأمريكية تخفق في تطبيق مشروع الشرق الأوسط الجديد، وفي إعادة صياغة العالم على أساس سياسة الفوضى الخلاقة كما مارستها في أفغانستان والعراق[1].

فالإدارة الأمريكية تحاول تفتيت الدول العربية من خلال تجزئة المجزأ، وزرع السجون في الأرض العربية والعديد من دول العالم لزج المناضلين فيها، على الرغم مما تكبدت في العراق من خسائر فادحة؛ إذ خسرت حتى (7/1/ 2007م) ما يزيد على (3500) قتيل فضلاً عن الجرحى من جنودها.

والدليل على ذلك انفضاض حلفاء الإدارة الأمريكية ــ المحافظة ــ وانصداع أمرهم حين انكشفت لهم أغراض هذه الإدارة في أفغانستان والعراق ولبنان؛ بل إن بريطانيا ــ وهي أكبر حلفائها ــ قد أدركت خطأ رئيس وزرائها (طوني بلير) بتبعيته للسياسة الأمريكية. وبرز ذلك حين أقدم ستة وزراء عماليين من حكومته على الاستقالة؛ وازداد الضغط عليه حتى حدَّد يوم (5/31/ 2007م) موعداً لاستقالته، تعقبها ستة أسابيع لحملة انتخاب زعيم جديد لحزب العمال البريطاني يوم (2007/7/26م) ثم أعلن صراحة في (2007/2/21م) عن سحب القوات البريطانية من العراق. وها هو ذا يرشح يوم الجمعة (5/11/ 2007م) وزير المالية (غوردن براون) لتزعم حزب العمال ورئاسة الوزراء ويدعمه لشغل المنصبين، وقد جرى كل ذلك، فرحل (بلير) وجاء (براون) رئيسا للوزراء رسمياً في (2007/6/27م)، بعد أن حظي ــ هو الآخر ــ بإشادة الإدارة الأمريكية اليمينية المحافظة بقيادة جورج بوش الابن.

---

[1] انظر كتابنا (مشروع القومية العربية إلى أين ــ قسم: إخفاق المشروع الصهيوني؛ وسقوط ما يسمى بدعوات الحرية 221 ــ 230).

5 ـ المقاومة الوطنية اللبنانية وثقافة الوعي بالوجود الوطني

لــيس هــناك شك في أن العدوان الوحشي الصهيوني الذي بدأ على لبنان /المقاومــة مــنذ (12 /7/ 2006م) قــد أدى إلى نتائج كبرى على الصُّعُد كلّها داخلية وخارجية، محلية وعربية، إقليمية ودولية.

وقــبل أن نــشير إلى أبرزها يمكننا ــ هنا ــ أن نثبت أن المقاومة الوطنية اللبنانية بقيادة حزب الله قد حققت مكونات المقاومة المشار إليها سابقاً، إذ أكدت من خلال مبدأ التربية المنهجية العلمية تلك الأركان في نفس كل مقاتل، وزودته بعقــيدة وطنية قومية إنسانية تنبثق من عقيدة روحية سامية؛ ما حقق لها بصدقها وإخلاصــها تنمية معرفية وبدنية، علمية وتقنية على الصعيد الفردي والجماعي وخلــق لــديهم المــبادرة الرائعة لمواجهة أي موقف معقد، وربطت بين الفعل الوطنــي المقــاوم والفعل الشعبي، والفعل القومي المقاوم والإنساني ما يثبت أن مــواجهة العدوان الصهيوني ــ الأمريكي الهمجي إنما تنبجس من أصالة الهوية والانتماء بأبعادها المتعددة وطنياً وقومياً وإنسانياً.

ولعــل من أهم تلك النتائج التي اتضحت محلياً وعربياً وإقليمياً أن الصراع العربــي الــصهيوني صــراع وجود لا نزاع حدود، على اعتبار أن المشروع الــصهيوني مــشروع عنصري استيطاني استئصالي وتدميري يخالف كل القيم النبــيلة والــشرائع الأخلاقــية والمواثيق الدولية الإنسانية، فهو مشروع لا يقبل الآخــر إلا إذا كــان عبداً تابعاً وذليلاً في الوقت الذي يسعى إلى ابتلاع الأرض وتدنــيس العــرض ما يعني أن حزب الله ومَنْ معه مثّل القدرة على نشر الفكر المقــاوم بــين العــرب ليــصبح مشروعاً قومياً حضارياً بعيداً عن الطائفية أو المذهبية.

ثم تأكد لنا ولكل عاقل في العالم أن الحرية والكرامة نتيجة طبيعية للمقاومة الــشريفة والإرادة الصلبة لكل شعب أياً كان عدده وعدته. فالقيمة الفُضلى التي أسسها أبطال المقاومة اللبنانية تتمثل في أن العدد القليل الخبير الواعي والعارف بقدرته وقدرة عدوه ومكامن ضعفه والمدرب جيداً يمكنه أن يجترح المعجزات، وأن يتــصدى لآلــة المــوت، إذ أعلن للعالم كله، أن الإنسان أقوى من الدبابة والجــرافة، وأن العربــي قادر على استيعاب أعقد التقنيات، والتعامل معها في

أعقــد الظــروف. فالعــدوان الــصهيوني الحاقد أراد اجتثاث المقاومة الوطنية اللبنانــية بــدعم سافر من آلة الموت الأمريكية الجبارة والمتطورة وبمروق عدد من الدول الأجنبية وصمت عدد آخر وارتباك مواقف بعض الدول العربية. لهذا كــان مسلسل الإبادة الجماعية للبشر، والحجر والشجر خلال (33) يوماً إرهاباً وحــشياً لا مثيل له في التاريخ، كما ظهر للقاصي والداني؛ إنه مسلسل إجرامي مخيف، لكنه أثبت في الوقت نفسه أن الأحرار والشرفاء في لبنان قد التفوا حول المقاومة؛ ما أدهش العالم كله وأذهل الكيان الصهيوني الذي امتلأت نفوس قادته وشــعبه بكــراهية اللبنانيــين، كمــا امتلأت بالحقد المدمر للبنان، فقد كان فوق التــصور؛ إذ تجــاوزت عمليات القتل والإبادة كل حدود العقل والمنطق؛ فقتلت آلــته العمــياء مــا يزيد على (1182) من الأبرياء أطفالاً ونساء وشيوخاً، كان بيــنهم نسبة (40%) من الأطفال، وجُرح ما يزيد على (4) آلاف، وهجّر مئات الآلاف ودُمــرت البنى التحتية برمتّها لكن الحياة تولد من قلب الدمار؛ وعلينا أن نجعــل ذلك الدمار الوحشي مادة سياسية وقانونية وثقافية لإدانة الكيان، وأسياده بــدل أن نتباكــى علــى الخراب، صحيح أنه عدوان وحشي تدميري لكنه كان يــسعى إلى فرض القوة الصهيونية وتصفية حزب الله من جهة؛ وإركاع العرب تحت أقدامها من جهة أخرى.

إذاً؛ انكشفت حقيقة القوة الهمجية الصهيونية، فالشعب العربي لم يعد يخاف هــذه القوة، إذ صفعتها المقاومة اللبنانية صفعة قوية، في الوقت الذي أدرك أن الأنظمــة العربية قد أخذت تخسر كل حظوة لها عند أمريكا بعد أن عجزت عن مواكــبة الــتحولات الكبــرى فــي هــذه الحــرب. ومن ثم سقط خيار السلام الاســتراتيجي علــى اعتــبار أن حجم التنازلات فيها قد ارتفع إلى درجة غير منطقية..

وعلــى الرغم من ذلك نرى أن تلك الصفعة لا تعني الانتصار الكامل على القــوة الــصهيونية، ولا تعني الهزيمة المطلقة للجيش الصهيوني ولا سيما حين أســرعت الإدارة الأمــريكية بمساعدة أوربية عامة وفرنسية خاصة إلى انتشاله من حالة الهزيمة الشنعاء التي أصيب بها؛ إذ عملت أمريكا وفرنسا على إصدار مجلــس الأمــن للقــرار (1701) في (12 /8/ 2006م) الذي انحاز إلى جانب الــصهاينة كمــا في مادتيه (14) و (15) وحمّل لبنان /المقاومة المسؤولية عن

شـن تلـك الحرب. وكذلك تضمن عدداً من الأفخاخ بما فيها الحديث عن إيقاف العملـيات العدائـية بـين الطرفين المتقاتلين لأن القوة الصهيونية المتوحشة لم تـستطع النيل من المقاومة وحزب الله. فالكيان الصهيوني لم يحقق أهدافه كلها، علـى الـرغم مـن تفوقه العجيب في تدمير البنى التحتية للبنان وقتل الأبرياء والمدنيـين، مـا جعـل الـصحف الإسرائيلية تركز على مفهوم هزيمة الجيش الـصهيوني باعتـبار أن نتائج هذه المعركة لم تؤدّ إلى النجاح الكامل للأهداف التي تعهّد الكيان بإنجازها وبسرعة قصوى.

مـن هـنا نـرى أن العدوان لم يتوقف ولن ينتهي على الأمة، وهو يظهر بأشـكال شـتى كإثـارة الفتنة القاتلة بين أبناء الأمة، كما حدث في مخيم (نهر الـبارد) حين لجأ العدو الأمريكي الصهيوني إلى تنفيذ ما يعرف بالخطة (ب). ومن ثم تورط الجيش اللبناني في قتال شرس مع ما يسمى منظمة (فتح الإسلام) قتالٍ خسر فيه حتى تاريخ (2007/6/16م) ما يزيد على (80) قتيلاً، و (400) جـريح بعـد قـتال دام (27) يوماً حتى هذا التاريخ، دون أن يعرف أحد يوماً يتوقعه لنهاية هذا الاقتتال الدامي... على اعتبار أن الإدارة الأمريكية قررت أن يكـون لبـنان بعـد العـراق مفتاحاً لما يعرف بسياسة (الفوضى الخلاّقة) في المنطقة، وهي سياسة ربما تمتد إلى سورية والسودان وإيران.

ولعـل القـراءة الدقـيقة في تقرير (سيمور هيرش) يكشف لنا عن فداحة صـناعة الفتنة التي تنفذها تلك الإدارة بهدف تفتيت الدول العربية إلى مذهبيات وطوائـف وعـرقيات[1]. ولهذا نتوقع بأن الحروب القادمة ستكون صعبة وأشد ضـراوة وقـسوة على الأرض والإنسان وفق ما تشير إليه الأحداث، علما بأن القـوات الأمريكية والصهيونية أجرت مناورات مشتركة لمدة أربعة أيام اعتباراً من (2007/5/14م) في صحراء النقب المحتلة.

وإذا كنا نحتفل بنصر المقاومة الوطنية اللبنانية في حرب تموز (2006م) فلأننا لم نتعوّد مثل هذا النجاح من قبل ــ على حلاوة النصر الجزئي الذي ذقناه في حرب تشرين ومثله حلاوة خروج الجيش المحتل الصهيوني في (25/ 5/ 2000م) من جنوب لبنان ــ فللمرة الأولى تسقط المعادلة الصهيونية

---

[1] انظر مجلة إلى الأمام ــ (العدد 2356 – نيسان /2007م) – ص 24 –25.

الحربية مع العرب. فقد ذاق الصهاينة طعم الموت المر نوعاً وعدداً في ساحة الحرب وفي داخل الكيان، كما شاهدنا بأم العين وللمرة الأولى ــ أيضاً ــ كيف تحترق دبابة (الميركافا) التي عُدّت عند الكيان الصهيوني بيت الأمن والأمان، وكيف تغرق البارجتان (ساعر 5 /5 وساعر 5 /4) بصواريخ الأبطال الميامين، وطالما كان يفتخر بدباباته وبوارجه. أما مشاهدتنا للصواريخ التي ضربت العمق الصهيوني فهي الدليل الحقيقي على سقوط نظرية الأمن الإسرائيلي التي كان يعمل عليها خلال عقود طويلة؛ فصواريخ المقاومة الباسلة والتي بلغت (4000) صاروخ ودكّت تحصينات العدو ومواقعه تُعدُّ ردة فعل قوي على ما ارتكبته طائراته ودباباته وبوارجه من أعمال إجرامية طالت الأرض والإنسان والحياة. ولما ردَّ المقاومون بذلك أكدوا أن بإمكان العرب أن يصلوا إلى عمق العدو، وأن يرعبوه كما أرعب الأطفال والنساء والشيوخ حين رماهم بكل شره وحقده، فالرعب يقابل بالرعب، وإن لم تعادل قوة المقاومة قوة العدو المتغطرس. وفي هذا المقام لا ننسى أن نشير إلى أن إحدى طائرات المقاومة الإسلامية قد اخترقت النظام العسكري والتكنولوجي المعقد للكيان الصهيوني، ونقلت صوراً للعمليات التي يعدّها في منظومة (أبولو) ما جعله يجن جنونه، على حين تيقنا ــ نحن العرب ــ بأن اختراق تحصينات العدو أمر ممكن وليس مستحيلاً، كما كنا نتخيل ونتوهم.[1]

فالدولــة اللقــيطة تعرضــت وتتعرض لأزمات شتى على مختلف الصُّعد سياســياً وعــسكرياً وأخلاقــياً ومالــياً، إذ كشفت حرب المقاومة اللبنانية مدى الــضرر الــذي يلحــق بالعدو، بل أوضحت أنه يعيش في مستنقع متلاطم من الفضائح.

وكانت دولة الكيان الصهيوني قد حاولت تقليص التكاليف العسكرية لحساب إصلاح الرفاهية الاجتماعية، بعد أن كانت تمثل الدولة الجيش والجيش الدولة وترتكب أبشع الجرائم، ظناً منها أن مجازرها الوحشية الجماعية ستكسر إرادة الشعب الفلسطيني. لكنها شرعت تخطط لعدوان واسع على لبنان تعوّض فيه عن هزيمتها في (25 /5/ 2000م)؛ ثم نزلت تحت رغبة إدارة بوش الابن يوم

---

(1) انظر الفصل الرابع مما يأتي (سقوط الأسطورة) ص 141.

(2006/7/12م) فنفذت عدواناً شرساً وهمجياً على لبنان قبل الوقت المضروب لـــه على اعتبار ما كشف عنه (أولمرت) في (2007/2/1) أمام لجنة شكلها الكيان الصهيوني برئاسة (إلياهو فينوغراد) في (2006/9/18م). وقد أفاد بأن الحرب خطط لها في الدوائر الصهيونية منذ شهر كانون الثاني (2006م) واتخذ قرارها في آذار لعام (2006م) وتمت مراجعتها في نيسان وأيار؛ من أجل تطبيق القرار رقم (1559) القاضي بنزع سلاح المقاومة اللبنانية. ثم جاء أسر الجنديين الصهيونيين في عملية (الوعد الصادق) سبباً مباشراً للعدوان الصهيوني ــ الأمريكي على لبنان. وطفق الجيش الصهيوني يدمر كل شيء تدميراً منهجياً وفق مبدأ الأرض المحروقة، ويرتكب المجازر الوحشية الجماعية دون رادع من ضمير أو أخلاق لزرع الخوف في نفوس الناس، وجعلهم ينقلبون على المقاومة، ويُغَشُّون عيون العالم عما يحدث في داخل الكيان الصهيوني نتيجة ضربات المقاومة الشديدة التي استمرت حتى الدقيقة الأخيرة؛ ضربات طالت العمق الصهيوني وتركت فيه أثراً عظيماً بمثل ما أثبتت جملة من الحقائق على الأرض عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، وأظهرت للدنيا كلها أن القوة الصهيونية المتغطرسة لسنوات طويلة قابلة للاهتزاز والإصابة بزلزال كبير ما جعل لجنة فينوغراد توصي باستقالة أولمرت لهزيمته في تلك الحرب وترمي وزير دفاعه (عمير بيرتس) ورئيس أركان الجيش السابق (دان حالوتس) بشظاياها، وكان الغرض من إنشائها التستر على نتائج الحرب في الداخل الصهيوني، كما توصل إليه تقريرها الذي عرفته الأوساط السياسية يوم الخميس (2007/5/10م).

ويمكن أن نشير إلى عدد من الفضائح التي وقعت على مستوى الكيان الصهيوني:

1ـــ رئـــيس الدولـــة (موشيه كاتساف) خضع للتحقيق بتهمة الفساد والتحرش الجنـــسي بالموظفات وإقامة علاقات جنسية مع اثنتين منهن بالإكراه. وهاهو ذا قـــد تعـــرض لضغط كبير فقدّم استقالته، ثم انتخب الكنيست يوم الأربعاء (2007/6/13م) شـــمعون بيريـــز رئيساً للكيان. لقد انتخبه مكافأة لـــه على الجـــرائم التـــي ارتكـــبها بحق العرب في فلسطين ولبنان؛ فليس هناك إنسان ينـــسى ارتكابـــه للمجـــزرة الوحـــشية والهمجية في قرية (قانا) اللبنانية عام

(1996م)، وذهــب ضــحيتها ما يزيد على (100) لبناني أكثرهم من النساء والأطفال.

2ـــ رئيس الوزراء (إيهود أولمرت) وزوجته (عاليزا) تعرضا للتحقيق بتهمة تلقي رشوة نتيجة بيع عقار استفادا منه لشراء شقتهما الفاخرة.

3ـــ وزير العدل (حاييم رامون) ـ وهو أحد أعضاء حزب كاديما الذي يرأسه أولمرت ـ قدّم استقالته نتيجة تأكد التحرش الجنسي بموظفة حكومية.

4ـ رئيس أركان جيش العدو (دان حالوتس) باع حقيبة أسهم في البورصة إبان نــشوب الحــرب لزيادة ثروته، ثم قدم استقالته أخيراً، كإحدى أهم نتائج تلك الحرب.

5ـ رئيس كتلة كاديما البرلمانية (أفيغدور إسحقي) متهم بالفساد المالي.

6ـــ عــزل قائد القوات الصهيونية في الشمال الجنرال (آدم) والمعركة دائرة، وهو ما لم يحصل في تاريخ المعارك.

7 ـ هناك لجان عديدة تقوم بدراسة أسباب هزيمة الجيش، وتدمير دبابة (الميركافا) وتقليص عدد الدبابات في المعارك وفق ما جرى في جنوب لبنان.

8ـــ هاهوذا (عمير بيرتس) يخسر رئاسة حزب (العمل) يوم الأربعاء (6/13/ 2007م) لــيحل (إيهود باراك) محله، ثم يحل محلّه أيضاً في وزارة الدفاع، علــى اعتــبار أنــه لم يكن مؤهلاً لرئاسة الحزب في الوقت الذي أخفق في حرب (تموز – 2006م) باعتباره وزيراً للدفاع.

9 ـ ويمكن أن نثبت تأثير هذه الحرب في نفوس بني إسرائيل كما عبرت عنه قــصيدة (ميــثاق الــنار) لحاييم نحمان بياليك من (سلسلة ألف كلمة وعشرة آلاف) تألــيف (أهــارون روزين ـــ ص 38 ـــ ترجمة فؤاد أبو زريق)، إذ كانــوا يــسترجعون فــي بدء حرب تموز على لبنان هذا المقطع من قصيدة (بياليك)[1]

---

[1] *الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام 41 ـــ 42.*

على قمة نبو

أمام الشمس المقبلة

منظر رائع كوجه ملاك الحرب

يقف يهو شوّع بن نون يصيح

على رأس جيشه العظيم

صوته كالسهم يخرج مليئاً قوة، بأساً.

كلامه يتأجج كالشعلة، كالنار

والصحراء المخيفة، الصحراء الخاليه

تردد خلفه: "إسرائيل قم رث"(!!)

أمـــا في نهاية تلك الحرب فقد أخذوا يرددون هذا المقطع من قصيدة (ميثاق النار) للشاعر نفسه:

"اهتاجت بحار اللهب طوال الليل، وامتدت ألسنة اللهب فوق جبل (موريا)، الـــنجوم انبجـــست مـــن الـــسماء المشوية، هل داس الله كرسيه وفتت تاجه إلى شظايا، هل مزق الله الرداء الأرجواني وألقى مزقه للريح، وكان خوف الله على الجـــبال البعـــيدة إنه بجلاله هادئ ورهيب يجلس على كرسي من نار في قلب اللهـــب، لباســـه ضرام أرجوان، ومسند قدميه جمر متأجج، أحاطت به النيران وهـــو هـــادئ ورهـــيب يجلس واضعاً ذراعيه على قلبه ... يوسع دائرة اللهب بنظرة عينيه ويؤجج الحريق بحركة جفنيه.

هللوا لله راكضين محترقين ــ هللوا لله رقص لهب ونار".

وحين نتحدث عن الكيان الصهيوني بكل أبعاده فإننا لا نقلل من قدرته ومما يمتلكه من أسلحة متطورة كانت سبيله إلى قتلنا، ولا نقلل من حجم الدمار الذي لحق بلبنان أرضاً وشعباً ولكننا نقر في آن معاً بأن المقاومة الوطنية بقيادة حزب الله أسقطت هيبة الصهيونية الأسطورة، وأظهرت حقيقة المشهد السياسي والعسكري من الداخل.[1] فقد وقع خلاف حاد في حكومة أولمرت، وتصاعد

---

(1) انظر ما يأتي (ص 141) قسم سقوط الأسطورة.

هذا الخلاف بينه وبين وزير دفاعه (عمير بيرتس) ورئيس أركانه (دان حالوتس) وكل منهم يتهم غيره بأنه وراء هزيمة الجيش الصهيوني في لبنان على الرغم من صدور القرار الظالم لمجلس الأمن رقم (1701) الذي انتصر للصهيونية وابتز الدول الكبرى لحساب الدولة اللقيطة لتحقيق أغراض صهيونية أمريكية على حساب لبنان (الشعب والمقاومة والتراث الحضاري). وظل الخلاف محتدماً حتى سقط (حالوتس) وقدّم استقالته ثم سقط من بعدُ وزير الدفاع كما أشرنا سابقاً. ولا ننسى في هذا الشأن اتهام (نتن ياهو) رئيس حزب الليكود لأولمرت بأنه عاجز عن إدارة حكومة الكيان الصهيوني، وكان أداؤه ضعيفاً في الحرب الأخيرة ما يجعل حكومته تسير إلى الانهيار الحقيقي، ولا سيما أن هذه الحرب قد كلفت الكيان ما يزيد على ستة مليارات من الدولارات موزعة على العديد من القطاعات الاقتصادية، فقد أكدت الإحصائيات الصهيونية أن الخسائر اليومية للاقتصاد الصهيوني كانت تتراوح بين (90 مليون دولار) وبين (110 ملايين دولار)، فضلاً عن الخسائر في الصادرات الصهيونية عما كانت عليه في عام (2005م)، علماً بأن السيادة قد أصيبت بالشلل التام. وكما هي العادة فإن الإدارة الأمريكية والدوائر الغربية سارعت إلى إنقاذ الكيان الصهيوني من الانهيار، فقدمت أمريكا وحدها دعماً مباشراً لهذا الكيان مبلغ ملياري دولار تحت زعم أنه صمد في حربه ضد الإرهاب في لبنان. إن ما حدث على صعيد الكيان الصهيوني نتيجة البطولات الرائعة للمقاومة يُعد قضية حيوية تتعلق بكل جزئية من حياتنا الوطنية والقومية وتؤكد جدواها في واقع لا يعرف فيه العدو الأمريكي ــ الصهيوني إلا لغة القتل والدمار، واستئصال الآخر؛ كونه من الأغيار. وقد التقط أبناء الأمة العربية هذه الحقائق حين أدركوا التحولات الكبرى الناشئة عنها، فراحوا يعبرون عن طموحاتهم في السيادة والاستقلال والحرية والكرامة؛ وتيقنوا بأنه لا يجوز لهم أن يبقوا حُرّاساً للخوف والخيبات المتتالية، والسلبية القاتلة باجترار مشاهد المأساة والإحباط الذي يؤسسه إعلام العدو والفضائيات الدائرة في ركابه، وعليهم التخلص من أشكال التفكير البائس الذي يعقد أمله على الحكام العرب.

ولهــذا علينــا أن نعدّ العدة لحرب قادمة وشرسة على الصعد كلها سياسية واقتــصادية، نفــسية وثقافــية، علمــية وتقنية، مدنية وعسكرية في الجو والبر

والبحـــر؛ لأن الكـــيان الصهيوني ما قام إلا على القتل وشرب دماء الأبرياء من الأطفـــال والنساء والشيوخ واغتصاب الأرض والعرض وتدمير الحجر والشجر مـــستغلاً ضــــعفنا وتمزقنا. وهو ما يزال يتوعدنا بذلك ولا سيما أن أي ضعيف مـــثل (إيهـــود أولمـــرت) سيحاول الهروب إلى الأمام، وسيقدم على شن حرب جديـــدة ليـــستر إخفاقـــه الـــسابق الذي أكده تقرير لجنة (فينوغراد)؛ وفيه اتهم (أولمـــرت) بالتقصير والعجز... وهذا كله لا يعمينا عن النشأة التاريخية للنفسية الـــيهودية الهمجـــية العدوانية منذ القديم. فالكيان الصهيوني كيان همجي دموي وعنـــصري متغطـــرس لا يرى في الأغيار إلا عبيداً لــــه، أما أن يكونوا نداً له فهـــذا مـــن المحال في مفاهيمه التاريخية والمعاصرة. ففي سفر يشوع ما يفيدنا صراحة بتاريخ زعمائهم البشع والعنصري؛ إذ جاء فيه: "ولمّا فرغ بنو إسرائيل مـــن قـــتل جمـــيع سكان العيّ في الصحراء وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جمـــيعهم بحد السيف عن آخرهم، رجع جميع إسرائيل إلى العيّ وضربوها بحدّ السيف. وكان جملة من قتل في ذلك اليوم من رجل وامرأة اثني عشر ألفاً جميع أهـــل العـــيّ، ولـــم يـــردَّ يشوع يده التي مدّها بالحربة حتى أبسل جميع سكان العـــيّ... وأحـــرق يـــشوع العـــيَّ وجعلهـــا تل ردمٍ إلى الأبد ضراباً إلى هذا اليوم"([1]).

هذا ما أسسه يشوع لأتباعه الذين جاؤوا بعده؛ وما زال هذا المنهج مستمراً إلى أن جاءت العصابات اليهودية العنصرية المسلحة إلى فلسطين وزرعت فيها القـــتل والتهجيـــر للجنس العربي، وهي التي أسست جيش الدفاع الصهيوني بعد نـــشوء الكيان الآثم (1948). ونشير إلى بعض العصابات العسكرية التي تسللت إلـــى فلـــسطين مـــنذ وقـــت مبكر (هاشومير: الحارس 1909م، وفرقة البغالة الـــصهيونية 1915م، والفـــيلق الـــيهودي 1915-1916م، والهاغاناه 1921م، والبيـــتار 1923م، والإرغـــون 1931م، وشـــتيرن 1937م، والجدناع 1939 واللواء اليهودي 1939-1945م، والبالماخ 1941م[2].

---

[1] *سفر يشوع ــ الإصحاح الثامن ــ آية 24 وما بعدها. راجع ما تقدم 27 ــ 29 وانظر ما يأتي الفصل الرابع حاشية (21) وما قبلها.*

[2] *انظر الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية ــ د.هيثم الكيلاني ــ مركز دراسات الوحدة العربية ــ بيروت ــ ط1 ــ 1991م ــ ص87.*

وهـــذا يعني لنا أن نرص الصفوف لخلق اللحمة الوطنية الفاعلة، وأن نجهد لإســـقاط كـــل الاتفاقـــيات والمعاهـــدات التـــي كـــبلت الأنظمة العربية بالكيان الـــصهيوني، وأن نعمل على إغلاق السفارات العربية لدى هذا الكيان الغاصب والعنـــصري، والالتزام الحقيقي والفاعل باتفاقية الدفاع العربي المشترك وإزالة هـــشاشة الموقـــف العربـــي وتخاذلـــه وعجزه على اعتبار أن المقاومة الوطنية اللبنانـــية الباسلة قد حسنت صورة العرب لدى الآخر، فصاروا أكثر احتراماً في نظره، وتأكد عنده أنهم كبقية البشر يملكون من الشجاعة والعقل والعلم ما يملكه الآخر.

وبـــناء على ما سبق يمكننا تلخيص جدوى المقاومة بما انتهت إليه الحرب الأخيرة:

أولاً ـ يجب أن تصبح ثقافة المقاومة أصلاً للعلاقة الصحيحة بين أبناء الوطن والأمة لأنها السبيل الوحيد والصحيح لمواجهة العدوان كيفما كان شكله ولونه. وقد كفلته الشرائع والقوانين والأخلاق؛ ابتداء بتبني مقاطعة البضائع الصهيونية والأمريكية وقطع النفط عن الكيان وانتهاء بتأسيس الوعي الثقافي والسياسي والروحي الكامل للأمة التي تعرف ما لها وما عليها، وتدرك أن دولة الكيان إنما هي دولة عنصرية إرهابية تقوم على إلغاء الآخر تستمد قوتها من قبل القوة الأمريكية والدوائر الغربية الاستعمارية، وبعض الدول الأخرى التي رأت أن مصالحها تكمن في الصمت عن جرائم هذه الدولة المارقة. وإذا كانت دولة الإرهاب الصهيوني قد استفادت من الوضع العربي المتردي فإن بإمكان العرب هزيمتها إذا عرفوا كيف يوفرون الأسباب لذلك.

ومن ثم علينا الالتزام بخيار المقاومة فكراً وممارسة وتبني الوسائل والسبل الكفـــيلة بـــنجاحها رســـمياً وشعبياً؛ وأبرزها تشكيل جبهة شعبية وطنية وقومية مقاومـــة ومتسلحة بالوعي والعلم والتقنية والصبر والعقيدة والإرادة ومستندة إلى معـــرفة الآخـــر معـــرفة تامة، ودارسة لزوايا قوته وضعفه. هذا ما علمتنا إياه المقاومـــة الوطنية؛ علمتنا أن ننتصر على نفوسنا وضعفنا وخوفنا وجهلنا. وهذا ما ينبغي أن نفجره في ذاتنا ونحن نلجأ إلى خيار المقاومة والسلام.

ثانـــياً: دك آخـــر المقولات والتوصيفات والنعوت التي تصف جيش العدو الـــصهيوني بأنه القوة التي لا تقهر، فقد أثبتت المقاومة الوطنية اللبنانية في كثير

مـن المعـارك أنهـا كانت سيدة المعركة، وسيدة الصمود وسيدة الكرامة، كما أثبـتت للعـالم كله أن معركة الجنوب اللبناني واحدة من المعارك الكبرى التي تضاف إلى معارك المقاومين في فيتنام حين انتصر الفيتناميون على الأمريكان، وفـي روسـيا حـين انتصر الروس على نابليون بونابرت، وفي فلسطين حين انتـصر مقاومـو الانتفاضـة الفلسطينية على جيش العدو الصهيوني ولا تزال معركتهم الوطنية مستمرة.

ثالـثاً: كـشفت أحـداث حرب تموز في لبنان أن المجتمع الدولي مجتمع عاجـز، ومتردد، وضعيف، ومختزل لعدد محدود من الدول الكبرى التي تتحكم بمقالـيد الـشعوب وتطلعاتهـا، وهـي دول محكـومة بالمقولات والتوجهات الـصهيونية. ويتبدى ذلك من خلال ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية من تجنـيد لكـل الهيئات والمنظمات الدولية، وخصوصاً مجلس الأمن الدولي، من أجـل استصدار القرار (1701) الذي وضع من أجل إنقاذ الكيان الصهيوني من هـزيمته العـسكرية المحققـة، الأمر الذي جعل قادة الكيان يتشدقون بانتصار سياسي بعدما أخفقوا في تحقيق أي انتصار على الأرض.

رابعـاً: أوضحت نتائج حرب تموز أن الوضع الرسمي العربي يعاني من مـشكلات بالغة الحدة والتعقيد، ولا سيما حين أذعن للترهيب والترغيب من قبل الإدارة الأمريكية، على حين أن بعض الأنظمة العربية أبدى عجزه وضعفه في معـركة مـصيرية تعني الأمة العربية جمعاء. فالنظام العربي الرسمي لم يكن بالحـال المرضـية إذ ظهر ــ غالباً ــ مفارقاً لآمال شعبه وطموحاته، ومتحالفاً مع السياسة الأمريكية.

خامـساً: أوضـحت حـرب لبنان أن الأمة العربية أمة حية بعدما تفاعلت وتضامنت مع المقاومة اللبنانية من المحيط إلى الخليج. وهو موقف يؤكد الفجوة الكبيـرة المرعبة بين الأنظمة الرسمية العربية وشعبها. وهذا ما يتطلب مراجعة وطنـية على كل المستويات والصعد لتعزيز الجبهات الشعبية الداخلية لمواجهة كـل المشاريع العدوانية الصهيونية والأمريكية المراد فرضها على المنطقة، كما يـتطلب مـراجعة قومـية لتعزيز الجبهات القومية وفق معاهدة الدفاع العربي المـشترك ومقاطعـة البـضائع الصهيونية والأميركية، وقطع النفط عن الكيان الصهيوني وسحب ممثلي السفارات العربية من دولته المزعومة.

سادســاً: أوضحت نتائج الحرب أيضاً أن أي رهان على القوة الخارجية، ومــنها الــولايات المتحدة الأمريكية، هو رهان خاسر وباطل ذلك لأن الولايات المــتحدة الأمريكية تعمل وفق مصالحها ووفق مصالح ربيبتها (إسرائيل). فهما تــسعيان معــاً لتــشكيل فــرق من العملاء الذين يعملون لصالحهما في المنطقة العــربية وأنهما معاً غير معنيتين بأية توجهات وطنية أو قومية تخالف الأهداف الأمريكية والصهيونية.

سابعاً: أكدت الحرب الأخيرة أن الصراع مع الكيان الصهيوني هو صراع وجــود لا صــراع حدود، وأن التناحر ما بين المشروعين العربي والصهيوني إنمــا هــو تناحر ما بين الحق والباطل، والمظلوم والظالم، والضحية والجلاد، والخير والشر.. وأن الكيان الصهيوني لا يفهم إلا لغة المقاومة.

ثامناً: أسقطت نتائج الحرب الأخيرة كل مقولات السلام، وخيارات السلام لأن الكــيان الصهيوني لا يريد السلام ولا يملك أي مشروع لإقامته، ولا يسعى إليه ما دام يمتلك القوة الغاشمة التي توفرها له الولايات المتحدة الأمريكية، وأن الــسلام فــي عــرف الصهاينة هو احتلال للأرض، ودوس لكرامات الشعوب، وسحق للإرادات، وتدمير للمقاومة الشعبية الوطنية.

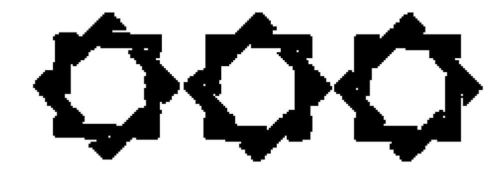
تاســعاً: أسفرت المعركة الوطنية في جنوب لبنان عن العديد من المشاريع الاســتعمارية العدوانــية التــي خططــت الإدارة الأميركية لتنفيذها في المنطقة بوســاطة أداتهــا العدوانية (إسرائيل) ومنها العمل على إقامة شرق أوسط جديد بــرعاية أمــريكية وعزل سورية وتصفية دورها الوطني والقومي في المنطقة العــربية، وضرب إيران وإضعافها للحدّ من دورها الإقليمي في المنطقة، وخنق حــركة المقاومة الوطنية، في فلسطين المحتلة وشل حركتها. وقد تجلى هذا في الفتنة القاتلة بين الأخوة الفلسطينيين، إذ نشب القتال بين منظمتي (حماس وفتح) كــان آخره القتال المر الذي اشتد في غزة بين (10 –2007/6/16م) وأدى إلى ســيطرة (حمــاس) علــى غزة، على حين سيطرت (فتح) على الضفة الغربية، وأخــرجت (حمــاس) من مقراتها. هكذا تمزقت الدولة الفلسطينية قبل أن تولد، وتحــول القــتال المقــدس إلــى قتال مدنس ووسخ ترك أثره البشع في القضية الفلــسطينية بــرمتها، وأوقع النفس العربية في إحباط لا يقل عن إحباط هزيمة حزيــران، التــي تمــر ذكراها الأربعون، والقتال جار بين الأشقاء. لقد حققت

أمــريكا والدولة اللقيطة بأيدي أبناء القضية ما عجزت عنه في الواقع، فأحداث غــزة كــسرت نفــسية الشعب الفلسطيني وهو الذي صَمَد أمام الآلة العسكرية الوحــشية للكــيان الصهيوني. وكذلك عملت الإدارة الأمريكية والصهاينة على تصفية المقاومة الوطنية في لبنان ولا سيما (حزب الله) وإلحاق لبنان بالمشروع الــصهيوني بربطه باتفاق سياسي جديد شبيه باتفاق 17 أيار السيئ الذكر. ومن ثــم ضــغطت الإدارة الأمريكية الصهيونية على إصدار القرارات التي ساعدتها علــى تــشويه المقاومة الوطنية اللبنانية بوصمها أنها مقاومة مذهبية شيعية، ثم وضــعت (حزب الله) على قائمة الإرهاب، وراحت تثير الفتنة الداخلية في لبنان لإيجــاد الأعــداء الداخليين الذين يحرصون على نزع سلاح (حزب الله).. وما زالــت سياســة الفتــنة التي يقودها السفير الأمريكي في لبنان مستمرة من أجل الإيقاع بين اللبنانيين.

عاشــراً: أكدت نتائج المعركة الوطنية في لبنان أهمية الوحدة الوطنية في لبنان أولاً و في الوطن العربي ثانياً، فقد كانت الوحدة الوطنية اللبنانية، والجبهة الــشعبية العــربية والإسلامية، وجبهة الأحرار في العالم السند الحقيقي للمقاومة الباســلة، الأمــر الذي جيش لحضور شعبي وطني صادق في العديد من بلدان العــالم فــي الشرق والغرب معاً، فقد كانت الشعوب هي المؤيد الأول للمقاومة الشريفة، وهي المقياس الحقيقي لشريعة المقاومة ووطنيتها.

حادي عشر: أكدت نتائج الحرب الأخيرة أن العدالة لا تحققها قرارات الأمم المتحدة التي تتحكم بصياغتها وإعدادها وإصدارها الإدارة الأمريكية خدمة لربيبتها (إسرائيل) وأن ما يحقق العدالة هي الشعوب المطالبة بحقوقها المغتصبة، والمتمسكة بإرادتها الوطنية الرافضة لليأس والاستسلام والخضوع لمنطق القوة الأمريكي ــ الصهيوني في المنطقة. ويبدو أن هذا الاتجاه بدأ يظهر في العديد من دول العالم وبأشكال شتى في فنزويلا وكوريا وكوبا وإيران، بل في أوربا والصين وروسيا. فهناك إرهاصات تدل على التململ الكبير من الهيمنة الأمريكية على العالم، ولا سيما ما ظهر في مؤتمر الأمن المنعقد في (ميونيخ)، مطلع (شباط ــ 2007م). وفيه قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين: (الاستقطاب الأحادي الأمريكي غير مقبول، بل إنه صار مستحيلاً في عالم اليوم".

وبـــناء علـــى مـــا تقدم كله نقول: علينا نحن الأدباء والكتاب والمثقفين أن نـــستلهم انتـــصار المقاومـــة فـــي لبنان وفلسطين والعراق إرادة وصبراً، إيماناً وصـــدقاً، معـــرفة وخبـــرة لتشكيل حياتنا وإرادتنا الحرة وفق حراسة المروءة والـــدفاع عنها، وأن نخلق ثقافة إبداع متمسكة بإرادتها، ثقافة ترتقي إلى مستوى الحـــدث النوعي لبطولات المجاهدين الأحرار، والكشف عن المجازر الوحشية الجماعـــية لآلـــة الـــبطش الصهيونية المدعومة بآلة القتل الفتاكة المصنوعة في أمـــريكا والمرســـلة إلـــى قتل أطفالنا ونسائنا، ومحو هويتنا وثقافتنا إذ لا تتحقق الجـــدوى مـــن أي مقاومة إن لم تُبْنَ على فكر واعٍ وخلاق، فكر نضالي وطني يلتزم بالإنسان الحر والكريم ويتفانى بالدفاع عن ثوابته الوطنية والقومية.



الفصل الثالث:

انتفاضة الأقصى، أبعاد ونتائج وآفاق

1 ـ مدخل

2 ـ أبعاد الانتفاضة

3 ـ نتائج الانتفاضة

4 ـ آفاق الانتفاضة

الفصل الثالث:

انتفاضة الأقصى : أبعاد ونتائج وآفاق

مدخل:

قـد يقول قائل: إن الحديث عن انتفاضة الأقصى التي اندلعت شرارتها إثر تدنـيس أرئـيل شارون للأقصى الشريف يوم دخله في (2000/9/28م) لم يعد جديـداً ... فقد جرت فيها كثير من أقلام الدارسين ووقفوا عند أبعادها ونتائجها .... وحـين ذهـب غيـر واحد من تلك الأقلام إلى التشكيك بجدوى المجابهة المـسلحة للفلـسطينين والعـرب، لاختلال الموازين العسكرية والدولية، لصالح العـدو الاسـتيطاني الـصهيوني ومن ثم الاحتلال الأمريكي للعراق وغيره ... وأخـذ التفاضـل بـين أسلوب المقاومة المسلحة وأسلوب المقاومة السلمية بكل أشـكالهما يجري على الألسنة هنا وهناك ولاسيما أنه قد سقط فيها ما يزيد على خمـسة آلاف شـهيد وأكثـر من (40) ألف جريح وسجين فإن باحثين كثيرين ومفكـرين عديـدين مـا زالوا يرون أن المقاومة المسلحة ستبقى السبيل الوحيد للدفاع عن الوجود الكريم ولتحرير الأرض والإنسان.

ومـن هـنا أرى أن العلاقـة علاقة وجودية بين المخلوق عامة وبيئته أو مجالـه الحـيوي كمـا يقال في عالم الحيوان .. فالحيوان – أياً كانت قدراته – يلتـصق غريـزياً ببيئـته ويدافع عنها، لكن علاقة الإنسان بالمكان تتخذ أشكالاً راقية من الانتماء والتفاعل لما أودعه الله فيه من سر إعمار الأرض[1] وتسخير كـل شيء لخدمته في الوقت الذي حرم الله على الإنسان قتل أخيه الإنسان ... لكـن بني إسرائيل كانوا على الدوام أعداء المحبة والإنسانية، لهذا خصهم الله – سـبحانه وتعالى – بحكم النهي عن القتل الذي استمرؤوه بحق البشرية فقال: «

---

[1] *راجع ما تقدم52 وما بعدها.*

مــن أجــل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنمــا قــتل الــناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً، ولقد جــاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك لمسرفون » (المائدة 32/5)، فتعالــيمهم فــي التوراة والتلمود وغيرهما تثبت عنصريتهم، وهمجيتهم في سفك الدماء وبراعتهم في الغدر والخداع والتعامل بالربا و .... [1] ومن ثم فإن الحكم واضـــح فــي بني إسرائيل الذي قدّسوا القتل والفساد في الأرض، إذ كان واجب البــشرية دفــع أذاهم وشرورهم أينما وجدوا ... وليست انتفاضة الأقصى التي دخلت عامها الخامس في (2004/9/28م) إلا شكلاً من أشكال مجابهة الاحتلال و القــتل، (والقــتل أنفى للقتل) كما قيل على ألسنة عرب الجاهلية. وليس هناك مــراء فــي أن هــذه الانتفاضة قد تراجعت وتيرتها على نحو ما في نهاية هذا العام، ثم تغيّر وجهها في عام (2005م)؛ لكنها ستبقى حدثاً تاريخياً يفرض على الباحث تحليله وبيان مالـــه وما عليه.

فدخـــول شارون حرم المسجد الأقصى ليس مجرد زيارة مباحة في مفهوم الــشرع الإســـلامي، وإنمـــا رســـالة صهيونية مبنية على معتقدات كاذبة تؤمن بتأسيس مملكة إسرائيل وبناء هيكل سليمان المزعوم بعد هدم الأقصى الشريف، ولا ســيما أن عـــدداً مـــن الــصهاينة العنـــصريين قد صرحوا بأن الطائرات الإســـرائيلية ستقوم بذلك بعد أن أخفقت عملية الأنفاق المحفورة تحته، ولم تفلح بهدمـــه، أو إثـــبات أي صلة لليهود به فضلاً عن ارتباط فلسطين اسماً وتاريخاً بالــشعب الفلــسطيني كما دلت عليه المكتشفات والآثار[2]. ما يعني التنكر لكل قـــرارات الأمـــم المتحدة المتعلقة بالقدس المحتلة والإجراءات المتعلقة بها ومنها القـــرار رقـــم (252) تاريخ (1986/5/21م) ونصه كما يأتي: " دعوة إسرائيل إلى إلغاء جميع إجراءاتها لتغيير وضع القدس.

---

[1] انظـــر – مـــثلاً – أســـطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية 28-32 واليهود – عقائد وتاريخ اجرامي 68 وما بعدها و109 وما بعدها و217 وما بعدها، والمشروع الصهيوني والسلام الإسرائيلي – حقائق ووثائق – 60 وما بعدها.

[2] انظـــر مثلاً – الموسوعة الفلسطينية 219/1 -222و274/3-277 والمشروع الصهيوني 382 وأبعاد القضية الفلسطينية 130-132 وانظر حاشية (41) مما يأتي.

إن مجلس الأمن، إذ يستذكر قراري الجمعية العامة، رقم 2253 (الدورة الاستثنائية الطارئة ـ5) الصادر في 4 تموز (يوليو) 1967، والقرار رقم 2254 (الدورة الاستثنائية الطارئة ـ5) الصادر في 14 تموز (يوليو) 1956،

وقد نظر في كتاب ممثل الأردن الدائم رقم (S/8560) (341) حول الوضع في القدس وتقرير الأمين العام رقم (S/8146)، (342) وقد استمع إلى البيانات التي ألقيت في المجلس، وإذ يلاحظ أنه منذ تبني القرارات المذكورة أعلاه، فقد اتخذت إسرائيل المزيد من الإجراءات والأعمال التي تتنافى مع هذه القرارات، وإذ يذكر الحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل، وإذ يؤكد رفضه الاستيلاء على الأراضي بالفتح العسكري:

1 ـ يأسف على فشل إسرائيل في الامتثال لقرارات الجمعية العامة المذكورة أعلاه.

2 ـ يعتبر أن جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية، وجميع الأعمال التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس، هي إجراءات باطلة ولا يمكن أن تغير وضع القدس.

3 ـ يدعو إسرائيل بإلحاح إلى أن تبطل هذه الإجراءات وأن تمتنع فوراً عن القيام بأي عمل آخر من شأنه أن يغير وضع القدس.

4 ـ يطلب من الأمين العام أن يقدم تقريراً إلى مجلس الأمن حول تنفيذ هذا القرار".

لهذا كله كانت انتفاضة الأقصى التي فاجأت العالم كله بما فيه الصهاينة، بعد أن تهيأت لها العبر والدروس من الانتفاضتين السابقتين: انتفاضة الحجارة لعام (1987) التي اوقفتها محادثات أوسلو ومعاهدتها في (1993/9/13) وانتفاضة النفق سنة (1996) التي أوقفتها محدثات واشنطن في (واي ريفر) سنة (1998)[1].

لقد رجح للشعب الفلسطيني في الداخل وفي منافي الشتات أن المجابهة المسلحة هي السبيل الوحيد والأخير لمقاومة غطرسة الإبادة الوحشية الصهيونية المنظمة وبخاصة إثر الاخفاقات السياسية المتلاحقة للسلطة الفلسطينية التي وضعت

---

[1] *انظر المشروع الصهيوني 357 و 371.*

كـــل قـــراراتها فـــي السلة الأمريكية خاصة والأوربية عامة، .... فكانت الانتفاضة وسيلته الوحيدة التي يملكها أمام القتل والتهجير [1] والإلغاء والوجود ...

2 ـ أبعاد الانتفاضة:

لقـــد أدركـــت انتفاضة الأقصى بحكم وضعها التاريخي والوطني والقومي والاجتماعي والسياسي والفكري أن قدرها الحتمي يتجلى في الدفاع عن الوجود والمـــصير، بعـــد أن تركزت في أبعاد كثيرة تعد في طبيعتها نتائج في آن معاً ومنها :

1- أعـــادت الانتفاضـــة الـــزمن الوطنـــي والقومي كله ودفعة واحدة إلى الـــوراء، فأكـــدت أن الصهاينة يريدون فلسطين أرضاً بلا شعب، لأنهم يطبقون تعالـــيم التلمود وكتاب (الكابلاه) أي (الرعب والإرهاب) بحق السكان الأصليين لفلسطين، ويرون أن أرواح هؤلاء الفلسطينيين نجسة على حين أن أرواحهم من روح الله ... لأنهم شعب الله المختار[2].

لهـــذا مارسوا من قبل عمليات الإبادة الجماعية، وفق أحط المعتقدات التي يؤمـــنون بها ليصلوا إلى أهدافهم، وإقامة دولتهم المزعومة من الفرات إلى النيل كما صرح بها ذات يوم وزير الدفاع السابق (موشي دايان) لصحيفة (الجيروزلم بوســـت) في (1967/8/10م) إذ قال : ((إذا كنا نملك التوراة وكنا نعتبر أنفسنا كـــشعب تـــوراة فإنـــه يجب أن نملك الأرض التوراتية، أرض القضاة والشيوخ والقـــدس والجلـــيل وأريحـــا وأمكنة أخرى)). إن موشي دايان ومن ثم شارون يطبقون ما جاء في سفر التكوين رقم (13-14-15-17) إذ روى السفر الخامس عشر أن الرب عقد مع ابراهيم عهداً يقول : ((لنسلكَ أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير)) أي الفرات[3]. أنهم يرون قتل الأغيار جزءاً من قرابين مقدمة للإله الذي يرعى عظمة مستقبلهم السعيد[4].

---

[1] انظر أسطورة هرمجدون 233.

[2] انظر أسطورة هرمجدون 236-240 وأزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير 222-223.

[3] الموســـوعة الفلـــسطينية 592/1 وانظـــر المـــشروع الصهيوني 69 و 418 و أسطورة هرمجدون 225 و 277-288 وأزمة فلسطين 198.

[4] انظر أسطورة هرمجدون 184.

فالانتفاضة كانت تتحرك في صميم هذه المفاهيم التي آمن بها الصهاينة وتتشكل فيها أبعادها المتعددة ... ولا سيما ما يتعلق بالصحوة الفكرية ......

2- شكلت الانتفاضة صحوة فكرية فاعلة في داخل فلسطين وبلاد العرب والإسلام والعالم كله لفهم حقيقة الكيان الصهيوني، وتجلت هذه الصحوة دراسات وأبحاثاً كثيرة حين خاضت غمار المجابهة علانية. ولا شيء أدل على هذا من تصريح أو بيان غابريل ماركيز الذي رفض جائزة نوبل للآداب لكيلا يقترن اسمه باسم مناحيم بيغن وارئيل شارون شاربي الدماء[1].

فكثير من المثقفين والمفكرين والأدباء الشرفاء لم يكونوا قادرين على اقتحام ساحة الانتفاضة واكتشاف أسرارها والوقوف إلى جانب المستضعفين في الأرض لولا إدراكهم لما يجري في الأرض المحتلة من إبادة جماعية للشجر والحجر والبشر ولولا أنهم عاشوا حقيقة هذا البعد من الصحوة الواعية ...

3- مارست انتفاضة الأقصى مبدأ التحام القوى السياسية الداخلية ولا سيما قيادات الانتفاضة على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والدينية ... فقد اتفقوا جميعاً على التحرر الوطني في إطار تعزيز الهوية الفلسطينية العربية والإسلامية ... ثم انتقل اتفاقهم إلى تعاون فاعل ومثمر على صعيد المجابهة العسكرية بكل الوسائل ... وهذا البعد لم يتوافر لانتفاضة الحجارة سنة (1987م).

4- عاشت انتفاضة الأقصى مفاهيم الشهادة الراقية، فلم يكن الاستشهاد هواية ولا انتحاراً لسبب ذاتي أو اجتماعي وإنما هو دفاع مشروع عن الوجود والحياة فأطفال الحجارة كبروا ونضجوا نتيجة المعاناة الطويلة لممارسة العدو الوحشية في تجويع البطون واستمرار الحصار وتجريف الأرض وتهديم البيوت على العجائز والنساء والأطفال ... لم يكن لهذا الطفل خيار إلا الدفاع عن وجوده وحياته ولا يضيره أن يموت في سبيلهما وعلى أرضه. فكذّب مقولة موشي دايان : الكبار يموتون والصغار ينسون وتنتهي قضية الشعب الفلسطيني ....

ومن ثم فكل طفل كان يتمنى أن يعيش طفولته كبقية أطفال العالم وأن يمارس حياته بهدوء وأمان، وأن يحظى بأقل التعليم والمعرفة دون قهر أو ذل أو قتل أو إغلاق لمدرسة ... لكن الصهاينة أعداء الطفولة والإنسانية لم يتركوا له شيئاً، حتى الحلم بوطن محدود قتلوه في نفسه وسرقوه من مخيلته ....

---

[1] انظر مجلة الأسبوع الأدبي – عدد 932-13/11/2004م – ص 1 و 5.

فلـو أحصينا ما قامت به إسرائيل، وفق العديد من الإحصاءات، ولا سيما إحصاءات الأمم المتحدة، وأقوال مبعوثها (تيري لرد لارسن) لرأينا – منذ بداية الانتفاضة – ما يأتي:[1]

أ- قـتلت مـا يزيد على (3700) فلسطيني فيهم (652) طفلاً و(242) امرأة منهن من سقطن شهيدات في أثناء الذهاب إلى المشفى ...

ب – جـرحت مـا يزيد على (44022) شخصاً، جراحات كثير منهم خطرة وأخـرى عطلـت حـياة الجرحى الطبيعية ولا سيما أنها تستخدم الأسلحة المحـرمة دولـياً كما تستخدم طائراتها وصواريخها استخداماً غير قانوني ولا شرعي ...

ت – كمـا أسرت ما يزيد على (15000) أسير في سجون لا تليق بالبشر مع الـتعذيب والعقـوبات القاسـية المحرمة دولياً كما في المادة الخامسة من الإعـلان العالمي لحقوق الإنسان لعام (1948م) والمادة السابعة من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام (1996م) وغيرهما ...

ث – إنها قتلت (30000) من رؤوس البقر والأغنام والماعز ....

ج- إنها قلعت ما يزيد على (10000) شجرة ....

ح – إنها دمرت (570) منشأة فلسطينية ....

خ – صادرت (20815) دونماً لصالح الجدار العنصري فقط، فضلاً عن مئات الآلاف المصادرة من قبل لبناء المستوطنات وغيرها[2].

د – إنهـا فـصلت العمال الفلسطينيين، فأوجدت أزمة عطالة وبطالة زاد عدد العاطلـين على (260) ألفاً، فضلاً عن سياسة التهجير للعرب بأشكال شتى مرعبة[3].

فإسـرائيل ظهـرت بكـل وضوح أنها دولة إرهابية إجرامية خارجة على القانـون الدولي، والشرائع السماوية والإنسانية .... فهي لم تكتف بإيقاف التنمية

---

[1] *انظر مثلاً – المشروع الصهيوني 454.*

[2] *انظر الاستيطان الاستيطاني [محاضرات في الاستيطان الصهيوني] -37-40 و 51 – 58 و 60 – 74 و 99 – 103 والمـشروع الـصهيوني 465-505 واليهود عقائد وتاريخ اجرامي 512-518.*

[3] *انظر المشروع الصهيوني 201-205*

الفلسطينية حتى بلغت خسارتها ما يعادل (15) مليار دولار فتراجع القطاع الزراعي بنسبة (75%) عما قبل والقطاع الصناعي بنسبة (65%) فازداد عدد الفقراء حتى بلغوا مليوني نسمة لا يزيد إنفاق أفضل واحد فيهم علىدولار واحد باليوم ... وإنما عمدت بكل وحشية وهمجية إلى قتل بشع بحق الفلسطينيين .... إنها تمارس القتل المنهجي والاغتيال المنظم الفردي والجماعي، لأن ((القوة تأتي قبل الحق، وبغير القوة لا يقتلع شعب من أرضه)) كما قال هرتزل[1].

إن إسرائيل تمارس إرهاب الدولة مستعملة الآلة العسكرية الأمريكية كالسيارات المفخخة وطائرات الفانتوم والأباتشي والقذائف المسمارية و .... والجداول كثيرة وطويلة كلها تثبت جرائمها ومجازرها التي لم يسلم منها طفل ولا امرأة ولا ضعيف ولا عاجز فضلاً عن اغتيالات الموفدين الدوليين وغيرهم:[2].

أ- اغتيال المهندس يحيى عياش في مطلع عام (1996م) بوساطة هاتفه النقال ....

ب - استهدفت الشيخ صلاح شحادة في (2002/7/23م) فقتلت (28) شخصاً بريئاً غالبيتهم من النساء والأطفال والشيوخ.

ج - اغتيال ستة أشخاص منهم نضال فرحات (2003/2/16م) عن طريق تفخيخ طائرة لاسلكية (لعبة أطفال) وتفجيرها عن بعد.

د - اغتيال محمد العبيدات في بيت لحم يوم (2002/10/13م) بوساطة تفجير هاتف عمومي.

هـ - قتل (17) قيادياً من منظمة حماس وجرح كثيرين آخرين معظمهم من الأطفال و النساء يوم (2003/3/20م) حين فجرت سيارة عند مدخل مخيم النصيرات.

و- محاولة اغتيال عدد من الفلسطينيين فكانت الحصيلة جرح أربعين شخصاً جراح بعضهم خطيرة في أيلول (2004م) في ميدان الياسين شرقي الشجاعية حين ضربته بالصواريخ من طائرات الأباتشي وغيرها ...

---

[1] *محاضرات في الصهيونية 66.*

[2] *انظر مثلاً – اليهود عقائد وتاريخ اجرامي 306 – 311 و 315-318.*

ز- اغتيال محمود أبو طوالبة يوم (2004/3/23) حين وجهت طائرة اسرائيلية صواريخها إليه برفقة شيخ المجاهدين المرحوم أحمد الياسين.

ح- اغتيال شيخ المجاهدين أحمد الياسين وهو خارج من صلاة الفجر يوم (23/ 2003/10م) حين وجهت الطائرات صواريخها إليه وهو مقعد في كرسيه.

ط - اغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي يوم (2004/4/17م) حين قصفت الطائرات النفاثة الإسرائيلية منزله بالصواريخ الموجهة.

ي - اغتيال عز الدين الشيخ خليل وسط دمشق في حي الزاهرة بسيارة مفخخة فجرت عن بعد بوساطة العملاء والخونة يوم (2004/9/23م).

إن قائمة الإجرام طويلة وأسماء الشهداء كثيرة فقد حاولت اغتيال السيد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس في الأردن سنة (1997م) ولكن الله أمد بعمره، على حين اغتالت ما يزيد على (400) شخصية قيادية بكل الوسائل التي تملكها وبشكل منظم ومخطط له دون أن يردعها قانون دولي، أو بقايا من ضمير إنساني فالقتل عند قادة إسرائيل يعادل وجودهم كما قالت غولدامائير ((أنا أقتل، فأنا موجودة))[1].

ويمكن أن نشير إلى أسماء آخرين من الشهداء الذين اغتالتهم إسرائيل ومنهم (جمال منصور وجمال سليم ومحمود أبو هنود ومهند الطاهر وابراهيم بني عودة ونصر جزار وأيمن حلاوة ومهند أبو حلاوة وياسر رزوق وحسين عبيات وثابت ثابت وأحمد ريحان ورائد نزال وناصر عويس وأبو علي مصطفى قائد الجبهة الشعبية).

إن قادة الحركة الصهيونية يتبارون في ارتكاب المجازر الوحشية الجماعية وكذلك هم أطفالهم الذين يتلذذون بقتل العرب إذ تقول تلميذة يهودية صغيرة ((تستبدّ بي رغبة جامحة لقتل العرب جميعاً))، ثم يُشرِّعُ حاخاماتهم ذلك كله[2].

وبناء على ذلك كله يتساءل المرء: لم تصر دولة الكيان الصهيوني المدعومة بقرار الفيتو الأمريكي وآلته العسكرية على ارتكاب إبادتها الجماعية بحق الفلسطينيين؟ والجواب لا يكمن -فقط- في التخلص من أكبر عدد،

---

[1] *محاضرات في الصهيونية 66 انظر الإيديولوجية الصهيونية 128/2.*

[2] *محاضرات في الصهيونية 66 وانظر المشروع الصهيوني 72 وما بعدها.*

وإرعابهم لإكراههم على الهجرة والاستيلاء على أملاكهم واستجلاب يهود العالم بـدلاً مـنهم ... وإنمـا يكمن – أيضاً- في خلط الأوراق بين مفهوم الإرهاب والمقاومـة وإيهـام العـالم بما تتبناه من مخططات القتل والشر بعد أن كشفت انتفاضـة الأقـصى زيف ما تقوله، وخداعها المستمر لكي تتنصل من كل قرار دولي فهي تتبنى سياسة القتل العشوائي لأهداف منها :

1- إظهار إسرائيل بصورة الدولة الشرعية المعتدى عليها مما تطلق عليه (الإرهـاب) الفلسطيني والعربي والإسلامي مستغلة اعتراف الدول بها في هيئة الأمـم المـتحدة، بما فيها الدول العربية والإسلامية ولا سيما بعد قراري مجلس الأمن (242) و (338).

فهـي تظهـر للعـالم أنها لا تمارس عملية القتل المنظم والتدمير المنهجي وإنمـا تقوم بتخليص العالم الحر من الإرهابيين وشرورهم لأنهم يهددون السلام العالمـي والعالم الغربي المتمدن ... ولهذا وجب التخلص من هؤلاء الإرهابيين فـي إطـار الـدفاع عن الذات وعن السلام وقد نجح شارون المجرم في ربط محاربـته للفلـسطينيين تحت اسم الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (2001م) بمكافحـة أمريكا للإرهاب في أفغانستان على الرغم من أنه من عتاة الإرهابيين كدولته الخارجة على القيم والشرائع والقوانين.

2- إظهـار القـدرات العـسكرية الفائـضة عند الصهاينة لزرع الرعب والخـوف في نفوس الشعب الفلسطيني وقادته ... فهذه الآلة العسكرية المتفوقة قـدرة وتقانـة يمكنها النيل من رموز المقاومة و الوصول إليها أينما كانت .... لهذا عمد الصهاينة إلى أمرين اثنين:

الأول : القـيام بـضربات وقائـية واستباقية عسكرية بالطائرات النفاثة بطيار ومـن دون طـيار، وبطائرات الأباتشي، وبالصواريخ والقذائف المسمارية وغيرها ... ونفـذت ذلك مسوغة إياها بالدفاع عن الذات، وفي إطار مظلة مكافحة الإرهاب الدولـي، ... إنهـا تـنفذ مجازرها الجماعية وإبادتها الوحشية تحت هذا الشعار ... وهـذا مـا تمارسه أمريكا في أفغانستان والعراق ... مستغلة هيمنتها على المحافل الدولية، وسيطرتها على الإعلام والاتصالات والفضائيات ....

الثانـي: شراء ضعاف النفوس من الفلسطينيين والعرب ومن باعوا أنفسهم للـشيطان وخانـوا أوطـانهم وعقـيدتهم ... فجندت إسرائيل عدداً منهم فكانوا مرتـزقة مخلـصين يـنفذون أوامـرها فـي ظل مبدأ الترهيب والترغيب ...

واستطاعت أن تجند نحو (6000) عميل، وبهذا أحدثت شرخاً كبيراً وقاتلاً في بنية المجتمع الفلسطيني ثم العربي.

3- المحافظة على الروح المعنوية للصهاينة، وتحريرهم من عقيدة الخوف والرعب والاضطراب والقلق والأمراض النفسية الأخرى التي استشرت فيهم وتعاظمت في أنماطهم السلوكية، ومن ثم قتل الروح المعنوية المتصاعدة التي بدأت تتعزز لدى الفلسطينيين والعرب وتدفعهم إلى الأمل والمستقبل.

4- فرض الصيغ الأمنية الخاصة بها لإنجاز عملية السلام / التسوية أو ما يسمى بعملية وقف إطلاق النار للتنصل من القرارات الدولية، ولاسيما قرار حق العودة رقم (194) تاريخ (1948/12/11م) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة والقاضي فيما تضمنه من قرارات بالسماح للاجئين بالعودة إلى ديارهم بعد انقضاء محنتهم ... وعدم تقسيم القدس وفق أي نظام بما فيه القرار رقم (186) تاريخ (1948/4/14م) القاضي بتعيين وسيط دولي لحماية المواقع المقدسة... وقبله القرار (181) تاريخ (1947/11/29م) الذي قضى في بنده الثالث بتقسيم القدس وفق نظام حكم دولي يرأسه مجلس وصاية علماً أن اليهود آنذاك لم يشكلوا نسبة سكانية تزيد على (8%) ولا يملكون من الأرض إلا (5%)[1].

وبهذا كانت إسرائيل تهدف من عملياتها الإجرامية، واغتيالاتها المنهجية إلى كسر التشبث بالأرض والعودة إليها. وهي في آن معاً تهدف إلى تفريغ فلسطين المحتلة من السكان حين تجبرهم وحشيتها على التهجير مرة أخرى إلى الأردن أو إلى أي مكان آخر، ومن ثم تنقلب على خارطة الطريق وهي الخديعة *الكبرى لإدارة بوش الابن في الوقت الذي نتساءل: كيف يمكن لجائع، أو ذليل* مقهور، أو إنسان استوى لديه الموت مع الحياة ألا يثور على جلاديه، ومغتصبي الحياة من أخوته أو أبنائه، أو أقربائه ؟.

---

[1] انظر الموسوعة الفلسطينية 552/1 و 557 و 359/3- 362 وحق العودة بين القرار 194 ووثيقة جنيف 39-44 والمشروع الصهيوني 197و 206-210 وأزمة فلسطين 145-148.

3 ـ نتائج الانتفاضة:

فـــي ضوء ما تقدم، وفي ضوء الواقع العربي والدولي، وفي ضوء معاناة الشعب الفلسطيني وقيمه ومبادئه ولا سيما المفاهيم الدينية – وهي أصل راسخ في نفسية الفلسطيني وثقافته – نرى أن انتفاضة الأقصى حققت نتائج باهرة في صـــميم معادلة الوجود والحياة والتفاؤل بنيل الحرية وهي نتائج تنبثق من الأبعاد السابقة وأبرزها:

1– أظهرت الانتفاضة أن الكيان الصهيوني دولة إجرامية إرهابية لا تقوم إلا علـــى قتل الأغيار، والتلذذ بسفك دمائهم. فالصهاينة يرسمون خطط الاغتيال والقـــتل الجماعـــي والتهجيـــر والتفـــريغ للفلسطينيين من أرضهم. ومن ثم فإن الانتفاضـــة أبـــرزتهم بـــأنهم أعـــداء السلام مهما تقولوا بأنهم لم يجدوا شريكاً للـــتفاوض معه في السلطة الفلسطينية ... لقد اتضح للعالم كله أن إسرائيل تريد تدميـــر البنـــية الاجتماعـــية والأســـرية للشعب الفلسطيني ومن ثم تدمير البنية الوطنـــية والقومية، فلا يتذكر إلا الموت والقتل والتدمير والتصفية التي تمارسها آلة الدمار الوحشية ...

إنـــه التاريخ يكرر نفسه كما تصوره كتبهم لتعزيز الرعب في نفوس الناس وكمـــا أظهـــروه في شخصية يوشع بن نون التي اصطنعوها مثلاً لهم في القتل والـــدمار والفـــساد فالصهاينة يزعمون أن فلسطين –ويسمونها يهودا – سقطت بالدم والنار وستنهض بالطريقة نفسها[1].

2– أثبـــتت الانتفاضة أن وعي أطفال فلسطين في كل مكان قد ازداد عمقاً فـــي هويـــتهم إذ تعلـــق الطفل بأرضه وخبر معالمها الجغرافية بكل تفاصيلها، هضاباً وجبالاً، سهولاً ووديانا، أنهاراً وطرقات، صحارى وغابات، قرى ومدناً ... غدا الطفل الفلسطيني مسكوناً بحب فلسطين و ما يجري على ثراها، فشرع يتمنـــى أن يكـــون أحـــد أبطالها المناضلين ولو كان طالباً جامعياً أو مهندساً أو محامـــياً أو .... أخـــذت أحلام العودة تكبر في نفسه ويرجو أن ينقل إلى ترابها ولو رفاتاً بعد أن كان هذا الحلم محصوراً بكبار السن من أبناء النكبة ...

3– أثبـــتت الانتفاضـــة للعـــرب وللعالم كله أن المقاومة الشعبية المنظمة والمـــوحدة هـــدفاً ووسيلة تعد السبيل الأمثل للتحرير مفيدة من تجارب الشعوب

---

[1] انظـــر الإيديولوجـــية الـــصهيونية 2/69–70 و 94–95 والمشروع الصهيوني 61–72 والموسوعة الفلسطينية 1/592 وما بعدها.

المكافحـــة الأخرى. وحين تعلقت المقاومة الشعبية بالكفاح المسلح بكل أنماطه لم تهمـــل الأشـــكال الأخرى .... في الوقت الذي أدركت أن العمل الشعبي المقاوم إنمـــا هـــو عمل تراكمي أساسه الإرادة والصبر والصدق والإخلاص، والتسلح بالعلم والمعرفة والتقنية وكل ما تحتاجه معركة التحرير.

4- قـضت الانتفاضـــة على عامل الرعب والخوف والقلق، والاضطراب وكـــل عجـــز تمكن في النفوس من آلة البطش الصهيونية ومجازرها الجماعية البـــشعة، ونقلته إلى نفوس الصهاينة وصفوفهم على الصعيد المدني والعسكري، فقـــد أدت روح الجهـــاد – على مستوى الكيان الصهيوني – ولا سيما العمليات الاستشهادية إلى نتائج مهمة منها:

أ – دفعـــت كثيراً من الصهاينة إلى التفكير مجدداً بحقيقة الهوية الصهيونية أهي حقيقية أم مزيفة ؟.

ب – ازدادت الهجـــرة المعاكـــسة مـــن فلسطين المحتلة إلى الخارج، إذ وصـــل عـــدد الذين غادرها حتى منتصف عام (2004م) نحو مليون مهاجر[1] وبهـــذا لـــم يعـــد شـــعار (الوطن الآمن) أو (الدولة العبرية الآمنة) صحيحاً ولا حقيقـــياً، لأن الـــشعور بالأمن تراجع إلى حد كبير ... علماً أن الصهيوني الذي أتـــى إلـــى الأرض المحتلة تحت زعم التوراة بالأرض الموعودة كان يعتقد بأنه سيعيش بهدوء وطمأنينة لأنها من دون شعب[2] ولهذا وحده – تجري محاولات الـــصهاينة الحثيـــثة للقـــضاء على الانتفاضة مستغلين الوضع الدولي والضعف العربي.

ج – ازدادت معـــدلات الجـــريمة ومحـــاولات الانتحار فضلاً عن انتشار الأمـــراض النفـــسية والاجتماعية ... فالمجتمع الصهيوني أصبح مأزوماً وغير قـــادر علـــى مجابهـــة المشكلات اليومية التي خلقتها الانتفاضة له ... بل غدا الصهيوني – تحت مزاولة الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني – متبلد المشاعر، يمـــارس الإرهـــاب والجريمة على أبناء هويته بكل انتماءاتهم ... ولا سيما من يهود أفريقيا وآسيا ...

---

[1] *انظر الموسوعة الفلسطينية 4/523-525 وأزمة فلسطين 145-198 وراجع ما تقدم 92-94.*

[2] *انظر الموسوعة الفلسطينية 1/181-183 و 4/516-523 والمشروع الصهيوني 273.*

د- ازداد عـدد الفقراء والجوعى في المجتمع الإسرائيلي ولم يعد كثير من أبـنائه قادرين على تغطية النفقات المنزلية والشهرية ... ففي عام (2003م) - مـثلاً - لوحظ انخفاض متزايد في مستويات الحياة وظهر هذا على ألسنة الناس ... ولا سـيما أن عملـية التنمـية قـد تراجعت، فأصيب الاقتصاد الإسرائيلي بخسائر بلغت نحو (10 مليارات) دولار.

صحيح أن المقاومة لم يكن هدفها تهديد المنشآت الاقتصادية الإسرائيلية بيد أن اسـتمرار الأزمـات الداخلية سكانياً واجتماعياً وإصابة التنمية بهزات كثيرة ... قد أدى إلى زيادة عدد الجوعى والفقراء ...

هـ - أسقطت الانتفاضة مفهوم الأمن القومي، ومفهوم القوة الإسرائيلية المتوحـشة التـي لا تقهـر ... فالعمليات الاستشهادية أعادت صياغة المفاهيم الأمنـية بمثل ما أعادت صياغة الأنماط السلوكية الحياتية للصهاينة ... ثم ازداد الانقسام داخل المؤسسة العسكرية، فقد امتنع (27) طياراً عن تنفيذ أوامر أرئيل شـارون فـضلاً عـن امتـناع كثير من الصهاينة عن الانخراط في الجيش أو الخدمـة في الضفة الغربية وقطاع غزة ... إذا أهملنا الإشارة إلى فرار عدد من أفراد الجيش من الخدمة.

ولمـا زادت المـشكلات المتـنوعة في المؤسسة العسكرية زادت معدلات تـدريب المستوطنين في الوقت الذي زادت الانتقادات الموجهة إلى شارون وإن لـم يـوجد منافس حقيقي له حتى الآن في الكيان الصهيوني بما في ذلك حزب العمل الذي سعى إلى الإئتلاف معه لتشكيل الحكومة لأهداف محددة ....

و- نقلـت الانتفاضـة المعـركة إلـى داخل البيت الصهيوني فالعمليات الاستـشهادية جعلـت ساحتها أرض فلسطين كلها بما فيها الأرض المحتلة منذ عـام (1948م) فلم يعد الكيان الصهيوني قادراً على منع المقاومة من الوصول إلـى تـل أبيب أو غيرها مما كان يظنه أنه بأمان وسلام ... ومن ثم لم يعد - أيـضاً - يقـرر مـوعد الهجوم أو تجنبه على ما يملكه من آلة همجية وتقنيات مـتقدمة ... فالمـبادرة انـتقلت إلى الاستشهادي فهو الذي يقرر زمان العملية ومكانها ...

هكذا أثبتت عمليات الاستشهاد بكل قوة واقتدار أن عملية الخوف والرعب صـارت لـصيقة بـنفوس الصهاينة، ولا سيما حين شاركت المرأة الفلسطينية بعملـيات استـشهادية، أذهلت العدو وأرعبته، ووضعت الوطن الفلسطيني على

عتـبات النصر مصداقاً لحديث الرسول الكريم (ﷺ) ((نصرت بالرعب مسيرة شهر ...))[1].

ومن هؤلاء الشهيدات :

1- وفـاء ادريـس عمـرها 26 سنة من مخيم الأمعري وهي أول من قام من النساء بعملية استشهادية في (2001/1/28م) أدت إلى قتلِ صهيوني واحد وجـرح (140) آخـرين ... فأحـدثت عمليـتها رعـباً كبيراً في نفوس الإسرائيليين، بدليل زيادة التدابير الأمنية المشددة ....

2- داريـن أبـو عيـشة طالبة تدرس الأدب الإنكليزي وقد فجرت نفسها عند حاجز شرطة في الضفة الغربية يوم (2002/2/27م).

3- آيات الأخرس عمرها 18سنة فجرت نفسها بالقدس الغربية فقتلت اثنين من الصهاينة في (2003/3/29م).

4- عندلـيب طقاطقة فجرت نفسها في القدس الغربية فقتلت ستة من الصهاينة في (نيسان /2002م).

5- نورا شلهوب استشهدت عند أحد الحواجز ولم تستطع تنفيذ العملية.

6- هـبة عـازم دراغمة قتلت ثلاثة وجرحت العشرات في أحد الملاهي يوم (2003/5/19م).

7- المحامية هند جرادات قتلت اثنين وعشرين صهيونياً في (2003/10/4م).

8- ريم صالح الرياشي وهي أم لطفلين وأول استشهادية من غزة فجرت نفسها عـند معبر (إيرنز) فقتلت أربعة صهاينة وجرحت العشرات يوم (1/14/ 2004م).

9- زيـنب علـي عيسى فجرت نفسها يوم (2004/9/22م) في مجموعة من الصهاينة ...

ولـو قـام أحد منا بعملية إحصائية لعدد من قتل من الصهاينة حتى مطلع (2004م) لوصـل إلـى (979) قتـيلاً و(11356) جـريحاً مقابـل (4319) جريحاً من عام (1947م) إلى عام (2000م).

---

[1] *لسان العرب – نصر.*

5- طـورت الانتفاضـة خططهـا وأنظمتها الداخلية، في الوقت الذي طورت آلـيات العمليات الجهادية والأسلحة المحلية الفردية، فأنتجت قذائف القسام وابتكرت الأنفاق الملغمة .....

وبهـذا كلـه تـنوعت أشكال المقاومة ولا سيما العسكرية وهي أشكال لا تنفـصل عن المقاومة السياسية والاقتصادية شعبياً وحزبياً ورسمياً محلياً وعربياً ودولـياً ... ولا سـيما مـا يتعلق بالجدار العنصري الذي حكمت محكمة العدل الدولية في لاهاي ببطلانه.

6 – ازداد دعـم الجمعيات المحلية والعربية والإنسانية لحق الشعب الفلسطيني فـي تقرير مصيره واستقلاله وفق مبادئ الشرعية الدولية وقراري مجلس الأمـن رقم (242) تاريخ (1967/11/22) ورقم (338) تاريخ (10/22/ 1973م)[1].

وكذلك ازداد دعم الحكومات ولا سيما الغربية الأوربية لهذين القرارين وطفقت الجمعـيات وبعض الحكومات تقدم المساعدات الغذائية والطبية والإسعافات والأدوات اللازمة للمستشفيات فضلاً عن الأطباء ...

ولعـل فيما تقدم من نتائج التصعيد الفلسطيني والعربي وعلى صعيد الكيان الـصهيوني فقـد أثبتت مع الصحوة العربية قدرة فهم طبيعة الكيان الصهيوني العنـصري مـن قـبل أحرار العالم وارتباط هذا الكيان بتعاليم وعقائد شرعية شـريرة مجسدة في التوراة والتلمود وكتاب (الكابالاه) وفتاوى الحاخامات: لعقة الـدم الإنـساني، فهـذه العقائد عززت همجية الجنرالات وشهوتهم إلى الإبادة الجماعـية وعمقت خبث الساسة وكراهيتهم للبشرية ...[2] إن الكيان الصهيوني مجتمع مأزوم بالعنصرية وشرورها إنه حاقد على القيم والمبادئ والشعوب ....

وهاقـد مضى على الصراع العربي الصهيوني ما يزيد على 55 عاماً من المجابهـة ولم يفلح العرب في تخطي الواقع الدولي المجسد بهيئة الأمم المتحدة التـي أصـدرت قراراتها معترفة بالكيان الصهيوني كما في القرار (46) تاريخ (1948/4/17م) القاضـي بوقـف العمليات العسكرية والقرار السابق الصادر

---

(1) انظر الموسوعة الفلسطينية 320/1 – 321.

(2) انظـر المشروع الصهيوني 72–74 واليهود عقائد وتاريخ اجرامي 83 وما بعدها و 132 وما بعدها و 159 وما بعدها والموسوعة الفلسطينية 346/3–355.

أيضاً عن مجلس الأمن رقم (181) تاريخ (1947/11/29م) القاضي بتقسيم فلسطين والقدس بين الفلسطينيين واليهود ...

ولما تحولت حماية الصهاينة من الانتداب البريطاني ثم أوربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأخذ التحول الديمغرافي شكلاً مرعباً في توطين المهاجرين في فلسطين على حساب أصحابها ... وخاضت الدول العربية مع الكيان الصهيوني عدة حروب منها حرب (1956م و 1967م و 1973م) فضلاً عن حرب (1948م) وعن المقاومة المسلحة المستمرة للشعب الفلسطيني بانتفاضات متكررة منذ ثورة فلسطين (1936م-1939م) وتشكيل كتائب الجهاد المقدس في عام (1947-1948م) بقيادة عبد القادر الحسيني ثم انطلاق شرارة العمل الفدائي في (1965/1/1م) ... نقول: لما كان ذلك كذلك لجأ عدد من الفلسطينيين والحكومات العربية إلى اعتماد سياسة المقاومة السلمية .... ثم أخذت تتشكل في نفوس كثير من الناس مفاهيم التفاضل بين المقاومة المسلحة والمقاومة السلمية .... ثم طفق كثير منهم في صميم مظاهر العجز العربي – يميل إلى المساومة وتبني استراتيجية السلام كخيار وحيد .... [1]

لهذا كله جاءت المؤتمرات العديدة، ابتداء بمدريد عام 1991م ومروراً باتفاقات أوسلو (1993/9/13م) واتفاقية وادي عربة عام (1994م) وقبلها كلها اتفاقية كامب ديفيد في (1979/3/26م)[2] ملبية لتبني مفهوم السلام .

ولا مراء في أن انتفاضة الأقصى قد كشفت ألاعيب الكيان الصهيوني والتفافه على أي قرار دولي لإقامة السلام فخارطة الطريق التي تبنتها اللجنة الرباعية ممثلة بالأمم المتحدة والولايات المتحدة وأوروبا وروسيا تحولت إلى خطة شارون في فك الارتباط ومفهوم غزة أولاً وفق الانسحاب الأحادي من قبل إسرائيل عندما لم تستطع أن تحدث حرباً أهلية فلسطينية [3].

ولا مراء أيضاً في أن الرئيس الفلسطيني الذي قتلته إسرائيل بالسم في يوم الجمعة (29/ رمضان/ 1425هـ /2004/10/12م) لأنه رفض التنازل النهائي عن القدس وقد وقع هو الآخر في فخ التسويات الإسرائيلية والجلوس إلى طاولة

---

[1] *انظر الموسوعة الفلسطينية 150/1-96 واليهود عقائد وتاريخ اجرامي 319-371.*

[2] *انظر الموسوعة الفلسطينية 625/3-632 والمشروع الصهيوني 371.*

[3] *انظر حق العودة بين القرار 194 ووثيقة جنيف – 28-33 ولا سيما فيما يتعلق بخارطة الطريق.*

المفاوضات برعاية الولايات المتحدة المنحازة إلى إسرائيل ... على الرغم من نجاح خططه بالانتقال من خارج الأرض المحتلة إلى داخلها ...

وبناء على ذلك بدأ سؤال كبير يراود كثيراً من الناس شرقاً وغرباً ولا سيما أهل الفكر والثقافة والسياسة: ما مصير انتفاضة الأقصى، وقد تسلم محمود عباس رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية وهو أحد مهندسي اتفاقات السلام مع زميله رئيس وزراء السلطة الفلسطينية أحمد قريع والواصف للمقاومين بالقتلة والإرهابيين [1]؟.

ما الآفاق التي ستنتهي إليها هذه الانتفاضة ومن ثم الشعب الفلسطيني والعربي برمته ؟! وما قدرتها على الاستمرار في ضوء ذلك كله وقد أخذت الأصوات تعلو هنا وهناك بإنهاء عسكرة الانتفاضة ؟! وما حقيقة هذا المصطلح؟!

وهذا كله ينقلنا إلى الحديث عن الآفاق المستقبلية:

آفاق الانتفاضة :

ليس هناك عاقل يشك في أن انتفاضة الأقصى التي دخلت عامها الخامس في (2004/9/28م) قد لاقت عمليات إضعاف كثيرة من الداخل والخارج نتيجة ضغوط شتى ومزاعم عديدة ومتنوعة .... فجرت مساومات حثيثة لاسقاط مفهوم المجابهة العسكرية واللجوء إلى المجابهة السياسية ... لهذا بدأ عدد من قادة السلطة الفلسطينية يدعون بصراحة إلى إنهاء عسكرة الانتفاضة بحجة انجاح العمل السياسي.

ونعتقد بأن قيادات الانتفاضة بكل تياراتها قد تجاوزت ذلك كله حتى الآن بحنكة عالية وقدرة كبيرة على المناورة ولم تقع في أي شرخ داخلي .... وأظهرت أن أي عمل مقاوم ينبغي أن يظل إنجازاً وطنياً وقومياً، شعبياً وعربياً وانسانياً ... ولا سيما أن مقاومتها للاحتلال الاستيطاني الصهيوني دخل في صميم معادلة الوجود والحياة فضلاً عن مفاهيم العقيدة الدينية التي كفلت حق الدفاع عن الذات.....

---

[1] انظر حق العودة بين القرار 194 ووثيقة جنيف 33 في ما قاله محمود عباس في بيانه، وما قاله المؤتمرون في شرم الشيخ .... ثم استحضر التصريحات الكثيرة له حول انهاء عسكرة الانتفاضة ثم نزع سلاح المقاومة وفق ما بيناه للمرحلة الراهنة.

لهـــذا فـــإن تاريخ المجابهة منذ الوعد المشؤوم لبلفور في (1917/11/2م) وثـــورة البـــراق فـــي (1929/8/23) وحتى انطلاق انتفاضة الأقصى (9/28/ 2000م) قـــد أكـــد اســـتحالة عيش الضحية مع القاتل، وعزز عمليات الصمود والـــصبر والإرادة لاستنهاض القدرات والانتفاض على الجلاد الغازي الغاصب لـــلأرض والحـــياة القـــائم علـــى التعـــصب العنـــصري التلمودي الاستعماري الاستيطاني الوحشي[1].

ونـــرى أن انتفاضـــة الشعب الفلسطيني قد أصبحت طقساً تقليدياً على مر الـــتاريخ ولهذا قد تخبو يوماً أو تتوقف ولكنها تغدو ناراً تحت الرماد تتأجج إلى أن يحـــين زمانهـــا فتتوقد من جديد على أيدي المناضلين الشرفاء لهزيمة الشر الموجـــود في العالم والمتجسد بالكيان الصهيوني ... ولهم من سجلهم التاريخي المثل الأكبز منذ اليبوسيين – سكان القدس – وحتى اليوم ومنه :[2].

1- لقـــي الإســـكندر المقدوني الأكبر مقاومة مسلحة حين غزا منطقة غزة ثم عكا.

2- اندحـــر الـــصليبيون علـــى أسوار عكا بعد أن نزعت شوكتهم في معركة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي سنة (583/هـــ /1187م).

3- انهـــزمت علـــى أرض فلـــسطين / أرض الرباط والجهاد/ جيوش هولاكو الجرارة.

4- انهزمت على أسوار عكا سنة (1799م) مدافع نابليون ومكائده.

إنهـــا سلـــسلة تاريخـــية طـــويلة من مقاومة الغزاة والطامعين التي انتهت بالاحـــتلال الأوربي للوطن العربي وديار الإسلام فكانت فلسطين والأردن ومـــصر والـــسعودية وغيرها من نصيب الانتداب البريطاني وذلك نتيجة اتفـــاق (ســـايكس بـــيكو) الذي تبودلت وثائقه في (9-1916/5/16م) بين بريطانيا وفرنسا وفيه أثر كبير للصهيونية[3]

---

[1] *انظر الموسوعة الفلسطينية 1/415-418 و 614.*

[2] *انظـــر الموسوعة الفلسطينية 1/150-196 و 2/248-250 و 3/290-305 و 368 و 389 و 398 و 4/609 و 611 و 625 والـــيهود عقائـــد وتـــاريخ إجرامي 506-512 والصهيونية غير اليهودية 108.*

[3] *انظر الموسوعة الفلسطينية 2/534 والصهيونية غير اليهودية 169-171.*

ثـم حلـت أوربـا مشكلتها بوجود اليهود على حساب العرب الفلسطينيين وظهـرت مـساندتها لليهود بأنماط عديدة ... ومن ثم ظهرت المقاومة بأشكال شـتى ... لأن مقاومـة الاحتلال والغزو والاستلاب مشروع في السنن الكونية وفـي الدسـاتير والتشريعات الدولية وقوانينها ... فإذا كان الوطن العربي يمثل قلـب العالم فضلاً عما تختزنه أرضه من خيرات طبيعية وبشرية، فإن فلسطين تعـد واسطة العقد لهذا القلب ... هذه الواسطة التي انفرد بها الوحش الصهيوني ليفـتك بها بممارسات شاذة وهمجية، على حين طفق عدد من العرب والمسلمين يعمدون إلى التطبيع معه أو مهادنة رغباته.

مـن هـنا يـصبح التساؤل عن آفاق الانتفاضة وتجلياتها ضرورة حتمية لاسـتمرارها حتـى تحقـيق الأهداف المنشودة ويمكن أن تتجلى تلك الآفاق بما يأتي:

1- التمـسك الـثابت بالوجود والأرض باعتبارهما حقاً شرعياً إلهياً ودينياً .... ورفـض الاعتراف بأي قانون دولي يتعارض مع الحق الإلهي في الوجود أو يـنال مـن قدسية الرجوع إلى أرض الأجداد في سياق وطن حر وكريم لا يرضخ للابتزاز والاستسلام.

فـإذا كانت نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - المادة الثالثة - قد كفلت لكل فرد حق الحرية والأمان الشخصي في إطار حق الحياة، فتطابقت مع الحـق الإلهـي فإن من حق الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية الدفاع عـن وجـودها، ومقاومـة أي شكل من أشكال الاعتداء والاحتلال ومقاومة كل أنماط التطبيع الثقافي والاقتصادي[1].

فالقوانـين الدولـية التي تجسدت خلال تاريخ البشرية تفرض ضمان حياة الـشعوب فـي العـيش الحر الكريم، وإقامة التوازن الحيوي المعبر عن العدل والحـق الإلهي في العيش لئلا تطغى دولة على أخرى بما تمتلكه من قوة فائضة ... وعلـى الأمم المتحدة والهيئات الاقليمية ألا تصبح أدوات تسخر بأيدي الدول القـوية للـسيطرة على الدول الصغيرة والشعوب المستضعفة وهي التي نصت قوانيـنها على حق تقرير المصير ومشروعية النضال الوطني للشعوب المحتلة

---

[1] *انظر الموسوعة الفلسطينية 2/250-262.*

كمـا فـي قـرارات الجمعية العامة كالقرار رقم (2625) والقرار (3314) و(3236)[1].

2- التـربية الوطنية القومية وربطها بالعمق الإسلامي والإنساني وتجسيد انتفاضـة الأقـصى بها ، أي محاولة تطبيق مفهوم المثل العربي القائل: خيامنا منفـصلة وقلوبـنا مـتحدة ... وتـبدأ عملية التوحيد من الداخل بالالتفاف حول المقاومـة وتطويـر آلـياتها وأدواتهـا وأنماطها فكل ما في الوطن يبرز عملية التجمـيع لا التفـريق ... وبهـذا ينزع الإسفين الذي دقه الصهاينة وأمريكا بين المـسلمين والمـسيحيين مـن عرب فلسطين ... ومن ثم تتعمق الصلة بالعرب والمـسلمين خارجها، وقد أدركت - منذ وقت مبكر- منظمة المؤتمر الإسلامي هـذا الاتجاه منذ نشأتها في (22-1969/9/25م) نتيجة إحراق المسجد الأقصى من قبل غلاة الإجرام الصهيوني في (1969/8/21م).

فقد اجتمعت في الرباط بدولة المغرب (25) دولة عربية وإسلامية في أول دورة لها للتشاور والتعاون والتنسيق والتوحد وتلاحم المواقف لصيانة المقدسات وحماية القيم الروحية والخلقية من السقوط ...

ثـم أرسـت الـدورة الثالـثة في (25-1981/1/28م) في مكة المكرمة بالـسعودية أول استراتيجية كاملة للعمل الاسلامي والحفاظ على مقدسات القدس وعـدم تمزيقها وجاءت الدورة الرابعة في (16-1984/1/19م) لتدعم القضية الفلـسطينية باعتـبارها جوهر الصراع العربي الصهيوني وتنفيذ قرارات لجنة القـدس ... ثـم أكدت الدورة الخامسة في الكويت (26-29/ك1987/1م) دعم القـرارات الشرعية الدولية وقضية القدس والسلام العادل والشامل وعقدت تحت عنوان (دورة التضامن الأسيوي) ...

أما الدورة التاسعة (12-2000/10/13م) فقد عقدت تحت شعار (انتفاضة الأقصى الشريف) فأدانت جرائم الصهيونية إدانة شاملة واسعة ...[2].

ثـم إن التـربية الوطنية القومية الإسلامية الإنسانية تعني الثقة بكل موقف للآخـر فـي إطـار الانتماء وعدم الاتهام والتخوين، فالوحدة الداخلية وتعميق صـلتها بالـوحدة العربية والإسلامية ثم أحرار العالم الشرفاء أساس آفاق العمل المـستقبلي للانتفاضـة ... فالحاجـة إلى التوحد ودعم المقاومة أينما وجدت -

---

[1] *انظر الموسوعة الفلسطينية 553/1-555.*

[2] *انظر السابق 333/4-336.*

وبكـــل الأشـــكال والوســـائل – واجـــب ديني وإنساني يستند إلى الحق الإلهي والتـــشريعات والقوانـــين الدولـــية فـــي حـــق الحياة والوجود ... وهذا يتطلب الاســـتمرار بالحـــوار الحر والديمقراطي بين أبناء الوطن لإيجاد علاقة عضوية صحيحة بينهم، ثم بينهم وبين البعد العربي.

3- الوعـــي والخبـــرة والحـــنكة في التعامل مع الشرعية الدولية وقوانينها ســـواء أكان ذلك في قرارات الأمم المتحدة ومنظماتها أم في قرارات المنظمات الاقليمية وعلى المستويات كلها دولاً وجمعيات وأحزاباً ... فما زلنا نعاني حتى الـــيوم من تفسير كلمة واحدة في القرار (242). ثم إن القوانين الدولية كاتفاقية (جنـــيف) لعام (1949م) -مثلاً- تلزم مادتها رقم (136) باتخاذ عقوبات جزائية علـــى كـــل من يأمر أو يشارك في التصفيات الجسدية أو الإعدام خارج القانون ... ويلـــزم كـــل طـــرف متعاقد بملاحقة المتهمين وتقديمهم للمحاكم مهما كانت جنسياتهم ... فإذا ما تحلى الشعب الفلسطيني والعربي بالوعي والخبرة والحنكة حصن نفسه من القوانين التي يتلاعب فيها الصهاينة والامبراليون كما يشاؤون.

لذا من حق الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية أن تقاضي الدول المعـــتدية والأفـــراد المتوحشين وفق القوانين الدولية، فمثلاً جاء في بروتوكول جنـــيف المؤرخ في (مايو/أيار/989م) وفي المادة العاشرة مقاضاة أولئك وحق الدفاع عن الوجود والحياة من قبل المعتدى عليه[1].

ولما كانت الأمم المتحدة مرجعية دولية لحل النزاعات الدولية وفق قراري الجمعـــية العامة (2625) و (3314) كان على العرب والمسلمين استغلال ذلك أحـــسن اســـتغلال بكـــل حنكة ووعي ودراية، ولاسيما أن إسرائيل هي الدولة الوحـــيدة فـــي العـــالم التي أُنشئت بقرار من هيئة الأمم المتحدة ثم غدت الدولة الوحـــيدة الخارجـــة عن قراراتها وقوانينها بما فيها قرار التقسيم في (11/29/ 1947م) ووعد بلفور المشؤوم في (1917/11/2م)

4- دراســـة آلـــيات الـــتعامل مع الغرب وأمريكا ودول العالم وفهم اللغة والأســـاليب التي تمارسها كل دولة إزاء الصراع العربي الصهيوني ... ويحتاج هـــذا إلـــى قـــيام القـــيادات العربية والمثقفين والمناضلين بحملة مدروسة موثقة بالأدلـــة التاريخية والقانونية والعلمية والموضوعية لكشف المغالطات التاريخية التي وقعت فيها هذه الدول ... ولا سيما حين ربطت الولايات المتحدة الأمريكية

---

(1) *السابق 2/250-261.*

وبعـــض الـــدول الأخرى إثر أحداث (2001/9/11م) بين العرب والإسلام من جهـــة وبـــين الإرهـــاب من جهة أخرى ... وقد أطّرت إدارة بوش الابن /هذه الادارة اليمينـــية المتـــصهينة كثيـــراً مـــن دول العالم في هذا الاتجاه مستغلة أوضاعها الداخلية كما هي حرب الشيشان في روسيا.

ولهذا فإن هناك عدواً واحداً - كما تزعم - قد ظهر بعد سقوط ما عرف بالاتحاد السوفييتي. وهو يتجلى بالإرهاب الدولي الذي تلصقه تلك الإدارة بالعرب والمسلمين ــ خاصة ــ زاعمة أنهم ينالون من العالم الحر والديمقراطية والتقدم ...

وحـــين استمالت إدارة بوش بعض الحكومات العربية، منصاعة لموقفها درءاً لدفـــع تهمة الارهاب عنها فإن أرئيل شارون قد نجح في تضليل كثير من دول العالم حـــين ربـــط المقاومة الفلسطينية بمفاهيم الارهاب الدولي الذي يقف العالم كله ضده ... فادعـــى أن الفلـــسطينيين مـــسؤولون عـــن الارهاب الذي يوجهونه نحو الدولة الديمقـــراطية الوحـــيدة في المنطقة إذ قال لبوش الابن في زيارة لواشنطن : ((إن ما حـــصل للولايات المتحدة تعيشه إسرائيل يومياً ... إنها معركة واحدة ضد الارهاب تجمـــع بـــين إسرائيل وأمريكا والعالم الحر)) ... وكان إيهود باراك قد قال من قبل لإذاعة (B.B.C) ((الدين الإسلامي دين ارهاب))[1].

ولهـــذا كلـــه يـــستوجب على العرب والمسلمين والشرفاء في العالم أفراداً ودولاً وأحـــزاباً مواصـــلة دعم المقاومة الفلسطينية والعمل الفوري على إيقاف التطبـــيع الـــذي يجري باتجاهات متنوعة مع الصهاينة وتفعيل المقاطعة الشاملة لإسرائيل وأمريكا وكل دولة تعادي القضايا العربية.

5- اســـتثمار الانجازات العديدة التي قدمتها انتفاضة الأقصى لكشف ما تتبناه دولة الكيان الصهيوني من مبادئ وسياسات إبادة وحشية جماعية منظمة ... مثل:

أ - تعرية مقولة ربط المقاومة بالإرهاب ولا سيما الارهاب الدولي الذي تقوده الـــولايات المـــتحدة ومن ثم كشف زيف ما تقوم به إدارة بوش المتغطرسة والمتـــصهينة، التـــي تـــريد السيطرة على العالم تحت اسم (النظام العالمي الجديـــد - العولمة)[2] ، ومحاربة الديكتاتورية والتخلف في المنطقة العربية والإسلامية وإشاعة الحرية والديمقراطية فيها...

---

(1) انظر دوائر الخراب : الاستشراق والعنصرية الصهيونية 264.

(2) انظـــر الموسوعة الفلسطينية 1/183-192 والمثقف العربي وآفاق الواقع 52 وما بعدها، والثقافة القومية وتداعيات العولمة 78-82.

ب – الـــرد على خرافة المقولة التاريخية حول الأرض الفلسطينية الخالية من الـــشعب وأرض الميعاد، فالشعب الفلسطيني ثابت الجذور تاريخياً وواقعياً في فلسطين، على حين أن الصهاينة مجموعات غازية طارئة عليها، فعلى الرغم من تدفق الهجرات اليهودية إلى فلسطين حتى عام (1948م) لم يزد عـــدد الـــيهود الصهاينة على (65000) ألف يهودي على حين كان تعداد الفلسطينيين (1415000) ثم جاءت نكسة حزيران (1967/6/5م) فطردت إســـرائيل (465) ألف فلسطيني من الضفة والقطاع ... لكنها لم تستطع أن تمـــنع ازدياد عدد السكان الفلسطينيين الأصليين داخل الأرض المحتلة عام (1948م) وإن فرضـــت علـــيهم الجنسية الإسرائيلية أو تمنع ازدياد سكان الـــضفة والقطاع إذ أصبح عددهم عام (1967م) نحو (1400000) ثم بلغ عام (2002م) (3.5) مليون، وفي الجزء الشرقي من القدس وحده (220) ألـــف فلـــسطيني فضلاً عن أن إسرائيل أبعدت (1.5) مليون فلسطيني بين عـــام (1967–2004م) منهم (265) ألف شاب[1]. وبهذا كله كانت المرأة الفلسطينية تمثل القنبلة الديمغرافية السكانية في وجه الصهاينة لكشف زيف الأرض الخالـــية فدولة الكيان الصهيوني سعت جاهدة إلى تغيير الخارطة الـــسكانية لفلـــسطين بل لبنان أيضاً وقد خطط لذلك كله، إذ كتب ديفيد بن غوريـــون في (1948/5/21م) في يومياته عن لبنان: ((إن تفوق المسلمين فـــي هـــذا البلد مصطنع ويمكن أن يقلب بسهولة على أن تقام في هذا البلد دولة مسيحية سيكون نهر الليطاني حدها الجنوبي))[2].

إن خطـــط الـــصهاينة واضـــحة فـــي احـــتلال جنوب لبنان وتغيير الخارطة الديمغـــرافية على حين كانوا واثقين من تغييرها بفلسطين المحتلة مستندين إلـــى الهجـــرات المتتالـــية لليهود إلى فلسطين وممارسة الإبادة الجماعية الوحشية للفلسطينيين، وهو ما يمارسه شارون يومياً ... ضد سكان الضفة الـــذين بلغوا (2300000) عام (2002م) كما بلغ عدد سكان غزة ما يزيد

---

[1] *انظر الموسوعة الفلسطينية 1/181-183 و 239-241 و 583-587 و 591-599 و 4/ 516-523 وأبعاد القضية الفلسطينية 17-19 و 35 وأزمة فلسطين 182-189و 208-209 والإيديولوجـــية الصهيونية 2/70-71 والصهيونية غير اليهودية 270 والاستيطان الـــصهيوني 90-92 وأسطورة هرمجدون 170واليهود عقائد وتاريخ إجرامي 291 وما بعدها و489-492.*

[2] *أزمة فلسطين 129.*

علـــى (1200000) فلـــسطيني فيكون المجموع كما قلنا (3.5) مليون فإذا كـــان الاستيطان مخططاً له منذ عهد بعيد بمشاريع كثيرة ومدروسة[1] فإن الواقع الفلسطيني قد نال منه.

ج - الـــرد على خرافة (شعب الله المختار) على اعتبار أن اليهود المتصهينين إنمـــا يجسدون قمة النزعة العنصرية نحو البشرية ... وعلى الرغم من أن الجمعـــية العامـــة ألغـــت قرارها (3379) تاريخ 1975/11/10 الذي عد الـــصهيونية شـــكلاً مـــن أشـــكال العنصرية، فإن عنصرية بني صهيون متأصـــلة، وهـــي تعـــد خطـــراً على البشرية كلها، لأنها تمثل قمة التمييز العنـــصري فـــضلاً عن كونها عقيدة استعمارية توسعية. ما جعل الدارسين يـــربطون بيـــنها وبين النازية الهتلرية خاصة[2]. فخطرها لن ينحصر في المنطقة العربية إذا حققت أطماعها فيها بل سينال العالم كله.

د- اســـتغلال الجـــرائم الصهيونية البشعة في ارتكاب الإبادة الجماعية الوحشية ومـــصادرة الأراضـــي وجرف المزروعات بحجج أمنية واهية - كما هو الحـــال فـــي إقامة الجدار العنصري الذي سبقت الإشارة إليه وإلى جرائم الـــصهيونية - لفضح كل ما تقوم به إسرائيل من ممارسات همجية منظمة باعتبارها دولة خارجة عن القانون والشرعية الدولية.

هـــ - فضح كذبة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى ولا سيما ما يتعلق بخـــرافة حائط المبكى (طوله ثلاثون متراً) وهو جزء لا يتجزأ من الجدار الغربـــي للحـــرم القدســـي الشريف (طوله مئة متر وعلوه عشرون) وهو المعروف بحائط البراق...[3].

وقـــد أكـــدت حفـــريات الـــيهود أنفـــسهم بطلان مزاعمهم حتى صرح العالم الإسرائيلي في الآثار (إسرائيل فلنكشتاين) في (آب) لعام (2004م) بأنه لا صـــلة لليهود بالجدار وأن الهيكل خرافة توراتية وكان عالم الآثار اليهودي

---

[1] *انظـــر الموسوعة الفلسطينية 1/219-235 والاستيطان الصهيوني 81-98 والصهيونية غير اليهودية 267-272 وأسطورة هرمجدون 116-123.*

[2] *انظـــر الموسوعة الفلسطينية 1/219-235 والاستيطان الصهيوني 81-98 والصهيونية غير اليهودية 267-272 وأسطورة هرمجدون 116-123.*

[3] *انظـــر الموسوعة الفلسطينية 1/219-222 و 2/136 وأسطورة هرمجدون 128 وراجع حاشية (2) ص 90.*

(بنيامــين مــازار) قد كتب مثل ذلك في تقرير له أصدرته الجمعية الأثرية الإسرائيلية سنة (1971م)[1].

و – القــيام بحملة واسعة ومدروسة لوضع حد لاستغلال مفهوم العداء للسامية وكــشف المغالطــات الــسياسية والدينية للربط بين المسيحية واليهودية[2] وكــشف عملية استغلال مفهوم الحرية والديمقراطية. فقد راج استعمال هذا المفهــوم للسيطرة على الآخرين، على الرغم من أنه لا يمثّل إلا ديمقراطية الذئاب[3].

6- الــسعي الجــاد لتأصــيل الثقافة العربية والإسلامية في إطار الحداثة الإنسانية وكشف الأضاليل الكبرى حول التراث العربي والإسلامي ولا سيما ما يــتعلق بالجهــاد، أو المقاومــة ... فالتراث ممتد فينا وجزء لا يتجزأ من دورة الحضارة الإنسانية في الماضي والحاضر والمستقبل ... وعلينا ألا نخضع تحت أي تــصور معاد لعملية تغيير تمارس قسراً على ثقافتنا ومناهجنا وعاداتنا .... فتــراثنا لم يكن يوماً منغلقاً على الآخر، ولم يمارس عليه عمليات القهر والتبعية والاستلاب كما يحدث لنا مع الغرب اليوم....

وهــذا كلــه يدعــونا إلى الإعداد الثقافي الكافي لأبناء الأمة وربطه بالحق الإلهــي والطبيعــي فــي الــدفاع عن الوجود والحياة مهما طال الزمن ... إن المخطــط الصهيوني الامبريالي الغربي والأمريكي ليس وليد اللحظة الراهنة في القــضاء علــى كــل ما هو عربي وإسلامي، إنه نتيجة جهود تاريخية وفكرية واجتماعــية وسياســية وعــسكرية طــويلة ومستمرة ومركزة ... لأن العرب والمــسلمين وحــدهم من يملكون نظرية متكاملة الثقافة، ومتوازنة بين الرغبات الماديــة والــروحية ... ولهذا كله فإن الحضارة الغربية برمتها- وإن أحرزت انتــصارات شتى في مجالات متعددة، مادية غالباً- حضارة مادية جسدية تعلي مــن قيمة الإنسان الأرضي المتفوق، وهو ما تتبناه الصهيونية عينه، على حين تدهــورت القيم الروحية والخلقية بشكل لا نظير له ... داخل الكيان الصهيوني بمــثل تدهــورها في المجتمع الغربي الذي يشجع المنحرفين فيه، كما فيه ولاية كاليفورنيا -مثلاً- التي كثر فيها الشواذ ...

---

[1] *انظر مجلة فلسطين المسلمة – مقال (محمد جمال القدسي) – عدد أيلول 2004م.*

[2] *انظــر الموســوعة الفلسطينية 531/2 والإيديولوجية الصهيونية132/2-133 وأسطورة هرمجدون 37-66 والصهيونية غير اليهودية 60-64 و 116 و 146 و 169 و 244.*

[3] *انظر المشروع الصهيوني 80.*

7- إيـلاء الإعـلام والتقنـيات المـتقدمة والفـضائيات العناية القصوى وتـسخيرها لكـشف أضاليل اليهود والإمبريالية، وما تمارسه على شعبنا داخل الأرض المحـتلة ... وألا يصبح مشهد الدماء مشهداً مألوفاً تتبلد عنده المشاعر والأذهان ....

إن محاولـة كسب الرأي العام الدولي لا يتم إلا بالقيام بعمل إعلامي فكري مـنظم وفاعـل في المحافل كلها مستفيداً من كل نظم المعلومات المستحدثة ... فالعـرب أصحاب حق، على حين أن المحتل الصهيوني غاصب ومعتد ... في الـوقت الذي ينبغي أن تمارس فيه أجهزة الإعلام والصحافة والمنابر الحرة في المؤتمـرات والـندوات كـشف المـشاريع الاستسلامية التي تؤدي إلى ضياع الأوطان والثروات والكرامة والحرية ...

8- اتخـاذ القدوة الحسنة في القيادة: إن القيادة الحكيمة والواعية والصادقة والمناضـلة المتشبثة بالثوابت الوطنية والقومية دون احتكار لسلطات القيادة في المقاومـة وغيرها تغدو قيادة شعبية ودولية ولا سيما إذا كانت ممثلة لمؤسسات الحرية والديمقراطية ... وفي إطار دورات تشريعية تكفل تنمية الكوادر القيادية والمنافسة المستمرة فيما بينها لتظل القدوة الحسنة مستمرة ....

إن مـثل هـذه القـيادة التـي تنفـتح بتوازن فاعل على الحوار الداخلي والخارجـي، وعلى قيادات النضال التحرري تعد القدوة الحسنة للمقاومة ... هذا يعنـي أن الانـشغال بالرموز التاريخية للقادة قد ذهب إلى غير رجعة، وذهب معه التنازع على سلطتها وصلاحياتها وقيادتها لعملية البناء والتحرير والمقاومة ... فالوطن والأمة ينبغي أن يعزز مفهوم القدوة الحسنة، في الوقت الذي يدفعان أبناءهما إلى الاحتذاء بها وتمثّلها....

إن سـد الخلـل فـي الـوحدة الوطنية الداخلية باتخاذ القدوة الحسنة يقوي النـزوع الإنـساني الحر لدى المقاومين والمواطنين على السواء ويعمق صلتهم بمحـيطهم العربـي والإسلامي والدولي ... ويمنع من نفوسهم دوافع انقضاض أحدهم على الآخر.

ولهـذا لا يضير هذه القدوة أن تمارس بصدق مفهوم الديمقراطية والحرية فـي الانتخابات المباشرة من قبل الشعب، لأن تاريخها النضالي وسلوكها القويم سـيجعلها أبـداً القـدوة المرجوة على أن ينظم الدستور سنوات عملها في إطار المنافسة الحرة النزيهة على القدوة الحسنة لخير الوطن والمقاومة.

ومــن ثم تنتهي – وإلى الأبد– مزاعم فقد العرب للديمقراطية ... وهذا هو الدافــع للغــرب عامة وأمريكا خاصة للقيام بمهمة إرساء الديمقراطية للشعوب المغلــوبة علـــى أمرها، كما هو حاصل في العراق، وكما حصل في أفغانستان ودول أخـــرى كثيـــرة من قبل ... إذ تدخلت أمريكا مباشرة في شؤونها وقلبت حكوماتها ... وأخذت تمارس مفاهيم الحرية و الديمقراطية التي تعزز مصالحها وتضمن ولاء الحكومات التي تنتجها ....

9- اتخاذ الحركات المناضلة للاحتلال، وكذلك الأحزاب والشعوب في كل مكـــان وزمان رمزاً وقدوة للسير على طريقها في التحرر من المحتل الغاصب ســـواء أكانـــت حركات سلمية كما فعل غاندي، أم حركات مسلحة وهي كثيرة وآخرها ما قامت به المقاومة الوطنية في لبنان بقيادة (حزب الله) ...

وهذا يفرض على الشعب الفلسطيني خاصة والعربي عامة التحلي بالإرادة والصبر والعزيمة التي لا تلين أمام جبروت القهر و الظلم والفتك الوحشي للآلة العسكرية القاتلة ...

وأخيـــراً نقول: إن ممارسة النضال التحرري لا تكون بنت ليلة وضحاها، فدرب الكفاح الوطني والإنساني درب طويل وشائك ومليء بالألغام والتضحيات ... ومـــا شعب فلسطين ببعيد عن هذا السبيل ... فهو الذي توارث النضال جيلاً إثـــر جـــيل، فـــإذا صارت الانتفاضة عنده طقساً عقيدياً، فلأنه مازال يدافع عن وجـــوده .... وكـــان المـــسيري قـــد قال : ((وبما أن الهجمة الصهيونية على الفلـــسطينيين كانت بهذه الشراسة فالمقاومة العربية أخذت أشكالاً واضحة أيضاً ... فالفلـــسطينيون لـــم يكن أمامهم سوى رد الهجوم الذي شن عليهم دفاعاً عن أراضـــيهم وحقـــوقهم القومـــية ضد المستعمرين الصهاينة. ومثل هذه المقاومة الحقيقـــية والعمـــيقة لهـــا – بلا شك – أبعادها الأخلاقية المطلقة، حيث إنها في النهاية تأكيد لكرامة الإنسان ولإرادته في مواجهة العنف والقهر المادي، إلا أنها – مـــع هـــذا – ليـــست غيبـــية. فهـــي تضرب بجذورها في الواقع الاجتماعي والتاريخي، وتعبر عن نفسها من خلال أشكال سياسية وعسكرية مألوفة[1].

وســـتظل أرض الجهـــاد والرباط خزاناً لانتفاضات جديدة فيما لوخمد أوار انتفاضـــة الشعب الفلسطيني لأمر ما، ولا سيما بعد موت الرئيس ياسر عرفات، ومجـــيء محمـــود عـــباس ... الذي أصرَّ على إنهاء مفهوم عسكرة الانتفاضة

---

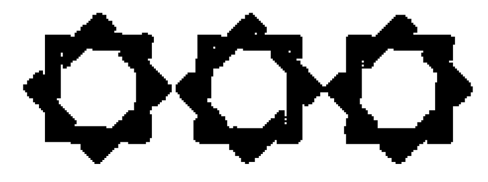
[1] *الإيديولوجية الصهيونية 132/2.*

ونزع سلاح المقاومة وإيلاء التسوية السلمية مكانتها الدولية، على حين يتلاعب الـــصهاينة بكل عملية للسلام. ولهذا نرى أن أي مقاومة للشعب الفلسطيني إنما هـــي صــــرخة مدويــــة للدفاع عن الكرامة والوجود والمقدسات ورفض ملموس للقهر وحياة القيد والذل والتجويع والتهجير والتشريد، والقتل الوحشي ....

وســـتظل انتفاضــــة الأقـــصى وكـــل مقاومـــة أتت بعدها معجزة الشعب الفلـــسطيني الـــبطل الصامد باعتبارها غدت طقساً يتعبده إلى أن يحقق انتصاره في الحرية والحياة تحت الشمس ... مصداقاً لقوله تعالى : « الذين أخرجوا من ديـــارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله .... ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » (الحج / 40/22).

وهـــذا يعنـــي أن ثقافـــة المقاومة إنما هي ثقافة وجود ودفاع عن الكرامة الإنـــسانية، والـــسيادة الوطنـــية والقومية، وهي تتخذ أساليب شتى، لتصل إلى تحقيق الأمن والطمأنينة للبشرية.

ومن هنا يتساءل أحدنا: أين تقع ثقافة السلام من ثقافة المقاومة؟ وما الفرق بينها وبين ظواهر الاستسلام؟ هذا ما يتناوله الفصل الرابع والأخير.



الفصل الرابع:

ثقافة المقاومة بين السلام والاستسلام

1 ـ كلمة لابد منها.

2 ـ تاريخ عملية السلام.

3 ـ مفهوم السلام والاستسلام بين ثقافة المقاومة والعولمة.

4 ـ سقوط الأسطورة واحتضار الخرافة.

ثقافة المقاومة

بين السلام والاستسلام

1 ـ كلمة لابد منها:

ليس للثقافة تعريف واحد عند الدارسين قديماً وحديثاً، ولكن أي تعريف لها كـان يـشتمل على دلالة الحذق والمهارة والفهم. ولعل أشهر تعريف سار بين الـناس تعـريف (تايلـور) ومفاده أن الثقافة مجموع المعارف والعلوم والآداب والفـنون والخبـرات والتكـيفات والمهارات والعادات والأخلاق والقوانين التي يكتسبها المرء..[(1)]

وباختصار نرى أنها كل مدخلات الذهن البشري وتحويلها إلى سلوك؛على اعتبار أنها نمط مستمر من الأنساق في الذاكرة البشرية.

وللـثقافة أنـواع وتجلـيات باعتـبارها أنـساقاً من القيمة والتقنيات عند الـشعوب[(2)]، فمن أنواعها الثقافة الوطنية والقومية والإنسانية؛ والفنية والأدبية والعلمـية، والـسياسية والاجتماعـية والاقتـصادية والعسكرية والثقافة التراثية والحديثة، والرجعية والتقدمية، و... وثقافة الاحتراف والمهنة و...

[(1)] *انظر المعجم الأدبي ــ جبور عبد النور ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ 1984 ــ ط 2 ــ ص 81.*

[(2)] *انظـر قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور ــ ايكه هولتكرانس ــ ترجمة د. محمد الجوهري ود. حسن الشامي ــ دار المعارف ــ ط 2 ــ ص 149 ــ 153).*

وفي هذا المقام وضعنا ثقافة السلام في مفهوم الوعي التاريخي الفردي والجماعي لإدراك التمثل الثقافي. لذا لم ننسَ لحظة واحدة الدعوات المتكررة للمؤتمرات الثقافية العربية التي وصلت إلى نتائج طيبة في البحث عن سياسة عربية ثقافية موحدة تجمع شتات أبناء الأمة من أجل مواجهة التحديات والأخطار التي تحيق بثقافة الأمة وهويتها مثل (مؤتمر عمان 1967م) و(طرابلس الغرب 1979م) و(بغداد 1981) و(الجزائر 1983) و(تونس 1985م).

ولعل مقومات التغيير التي كونت الخلفيات التاريخية السياسية في كل قطر عربي كانت وراء عدم التجانس في معالجة عدد من القضايا الفكرية والثقافية والسياسية، و... وفي مقدمتها ما يتعلق بمفهومي السلام والاستسلام باعتبارهما أصبحا متداولين في عملية السلام المتعثرة بين العرب والكيان الصهيوني منذ وقوع النكبة سنة (1948م). ولكي يتضح لنا ذلك كله لابد من كلمة تؤرخ لعملية السلام التي تعثرت في المنطقة لأن أوراق هذه العملية قد اختلطت في الأذهان عند العرب وعند رعاتها بظاهرة الاستسلام إما عمداً وفق ما أثبتته الأحداث وإما جهلاً بحقيقتها.

2 ـ تاريخ عملية السلام:

يزعم عدد من الحكام العرب والمثقفين والسياسيين أن الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال راعية لعملية السلام الحقيقي وفق الخطة التي تضعها الإدارات الأمريكية، ولا سيما إدارة بوش الابن التي أعلنت عن إقامة التسوية السياسية في إطار الدولتين، علماً بأنها أكثر دول العالم تأثيراً في المنطقة؛ فلا عجب أن يمتثلوا لكل ما تصدره، فمنهم من يرى فيها أنها ما زالت ترغب في ذلك وفق قانون العرض والطلب، ما يجعلهم يترقبون منها كل جديد أو تغيير؛ ومنهم قسم آخر يرى أنها لا تريد إلا أن تشيع في المنطقة روح الاستسلام والذل والخنوع ودوام التخلف والتجزئة فهي تجيد سياسة التهدئة والخداع، وتعمل على صياغة الأفكار المبتذلة، والتأكيدات القابلة للتفسيرات العديدة والمصبوغة بصبغة المجاملة حتى اختلط مفهوم السلام بالاستسلام؛ بدليل تراجعها عن خارطة الطريق التي دعت إليها ودعمتها؛ وهاهو ذا موقفها يتطابق مع موقف الكيان الصهيوني في إبقاء المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية، التي يقطعها /500/ حاجز، فضلاً عن التكنات العسكرية. ثم إن الإدارات الأمريكية المتعاقبة تدير شؤونها السياسية والثقافية والاقتصادية و..

فـي إطـار مـصالحها مع غيرها. وهي تلجأ إلى المهادنة والمراوغة تبعاً لما يفرضه الموقف المستجد مع هذه الدولة أو تلك وفي كل موقف كانت تسعى إلى إضـعاف إرادة أي دولـة، وتجعلهـا تستجيب للمنطق الأمريكي المتطابق مع المـنطق الـصهيوني. ولعل هذا المنطق هو الذي جعل الإدارة الأمريكية تسعى إلـى سياسة الاحتواء لبعض الدول العربية ولاسيما مصر، فتقدم لها المساعدات المالية. وكان جمال عبد الناصر قد رفض تلك المساعدات وفق تلك السياسة، ما أدى إلى حدوث العدوان الثلاثي المشهور ضد مصر عام (1956م).

ثـم أعلـنت الولايات المتحدة (نظرية الفراغ) التي أنتجت مبدأ (آيزنهاور) عـام (1957م) وهـي تركز على تقديم المساعدات لدول المنطقة، وتبيح لنفسها التدخل العسكري المباشر في المنطقة لمواجهة الخطر الشيوعي، كما زعمت.

وأيّاً ما يكن رأينا في هذا الشأن فعلينا أن نسترجع تاريخ عملية السلام وما قدمـته الإدارات الأمـريكية لها، فما من أحد ينسى قرار مجلس الأمن (242) تـاريخ (1967/11/22م) الـذي ينص على الآتي: " إقرار مبادئ سلام عادل ودائـم في الشرق الأوسط. إن مجلس الأمن، إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضـع الخطر في الشرق الوسط، وإذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أراض بواسـطة الحـرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولـة في المنطقة أن تعيش فيه بأمن، وإذ يؤكد أيضاً أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة 2 من الميثاق.

1 ـ يؤكد أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق كلا المبدأين التاليين:

أ ـ سحب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض احتلتها[1] في النزاع الأخير.

ب ـ إنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب واحترام واعتراف بسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة، واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة.

2 ـ يؤكد أيضاً الحاجة إلى:

أ ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

---

[1] النص الفرنسي يقول من الأراضي المحتلة des Territores Occpués.

ب ـ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ج ـ ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح.

3 ـ يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص للذهاب إلى الشرق الأوسط كي يقيم ويجري اتصالات مع الدول المعنية بغية إيجاد اتفاق، ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لنصوص ولمبادئ هذا القرار.

4 ـ يطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن حول تقدم جهود الممثل الخاص في أقرب وقت ممكن.

تبنى المجلس هذا القرار، في جلسته رقم 1382، بإجماع الأصوات".

ولا يختلف عنه القرار رقم (338) لعام (1973م) وفيه نقرأ ما يأتي : " يدعو مجلس الأمن جميع الأطراف في القتال الدائر، إلى وقف كافة أنواع إطلاق النيران والانتهاء الفوري لكل نشاط عسكري في مدة لا تتجاوز 12 ساعة بعد لحظة إقرار المجلس لهذا القرار وذلك في المواقع التي يحتلونها الآن.

ويدعو مجلس الأمن كل الأطراف المعنية إلى البدء فوراً، بعد وقف إطلاق النار. في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 242 (1967) بجميع أجزائه.

يقرر مجلس الأمن أن تبدأ المفاوضات فوراً، وفي وقت واحد مع وقف إطلاق النار، بين الأطراف المعنية تحت الإشراف الملائم، بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط". ولكن الصهاينة لم ينفذوا منهما شيئاً، بل سارعوا إلى تأسيس جمعية خاصة باسم (من أجل السلام في الشرق الأوسط) عام (1968م) بغية تنفيذ رؤيتهم التي تحقق مصالحهم. ثم راحت الأحزاب الصهيونية تقدم مشروعاتها التي تبتلع الأرض المحتلة عام (1967م) وتزيد مساحتها، كما تؤكده وثيقة (حزب العمل) الصادرة عام (1970م) وتشدّد على إقامة اتحاد بين (دولة الكيان الصهيوني وفلسطين ولبنان والأردن) على غرار اتحاد (البينلوكس) الذي ضمّ (هولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ)، مركزة على أهمية تحقيق السلام للشرق الأوسط.

ثم جاءت حرب السادس من تشرين الأول لعام (1973) لتنتشل النفس العربية من آثار هزيمة حزيران، ولتؤكد أن الولايات المتحدة بإداراتها المتعددة ـ منذ إدارة جيمي كارتر إلى إدارة ريغان وجورج بوش الأب ثم إدارة بيل

كلنتون وأخيراً جورج بوش الابن ـــ قد حمَت الكيان الصهيوني وأنقذته من هزيمة محققة في حرب تشرين، ووقفت حارسة لهذا الكيان ضد انتفاضة الحجارة الأولى في (1987م) والثانية (2000م) ودعمته في غزو لبنان غير مرة آخرها العدوان الهمجي عليه في (12/ 7/ 2006م). وهي ما تزال تلعب على المصالح والامتيازات والاستحقاقات القادمة. لذلك وعَدت العرب بحل مشكلة الشعب الفلسطيني، وإقامة سلام عادل وشامل في المنطقة. ولمّا كانت غير صادقة في أي وعد قطعته على نفسها لأن هذه الوعود لا تمثل شيئاً في ميزان الحياد والنزاهة المبدئية الراسخة، ولا تقع في إطار الرغبة التلقائية للإنسان الحر على اعتبار أن أي عملية تسوية سياسية لا تطابق الأجندة الصهيونية غير مقبولة فإنها أغرت الرئيس المصري السابق أنور السادات بوعود شتى وشجعته على عقد اتفاقية (كامب ديفيد) سنة (1979م) مع الكيان الصهيوني برعاية الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر). فكان لها ما أرادت ولا سيما حين كسر المقاطعة العربية لهذا الكيان بزيارته المشؤومة إلى القدس التي ما تزال أسرارها غامضة حتى الساعة، على الرغم من النصائح التي وجهت له بعدم إنفاذها.

فالإدارة الأمريكية لم تهدف بهذه الاتفاقية إلى القضاء على منجزات حرب تـــشرين فقط وإنما كانت تسعى من خلالها إلى تصفية القضية الفلسطينية، وقتل عملـــية الـــسلام الحقيقـــي فـــيها، وإدامـــة احتلال الكيان الصهيوني للأراضي العـــربية... وهذا كله ما دفع المفكر المرحوم إدوارد سعيد ـــ الأمريكي الجنسية ـــــ إلـــى التصدي للإدارة الأمريكية باعتبارها إدارة منافقة مخادعة منحازة إلى القـــتلة، ومعاديـــة للحـــق العربي، وللمعذبين في الأرض... ثم كانت تسعى إلى تفتـــيت أي نمـــط مـــن أنمـــاط الـــوحدة الوطنية والقومية وكانت تحمي الكيان الـــصهيوني المتمرد على القرارات الدولية مثل قرار مجلس الأمن رقم (446) تـــاريخ (22 /3/ 1979م) الـــذي نـــص على المطالبة بوقف بناء المستعمرات الاســـتيطانية، وعلى (إسرائيل) "أن تمتنع من اتخاذ أي عمل قد يؤدي إلى تغيير الوضـــع القانوني والطابع الجغرافي، أو أي عمل قد يؤدي إلى التأثير الملموس فـــي التركيبة السكانية للأراضي العربية المحتلة سنة (1967م) بما فيها القدس، وأن تمتـــنع بشكل خاص عن نقل مجموعات من سكانها المدنيين إلى الأراضي العربية".

وحين كانت قرارات الهيئات الدولية تطالب باحترام حق الشعب العربي الفلسطيني كان الكيان الصهيوني يمعن في عنصريته وغطرسته وتحديه للمجتمع الدولي.

وإذا كان الشعب العربي قد تنبَّه لمخاطر اتفاقية كامب ديفيد فقاومها بسبل شتى؛ وأوله الشعب المصري الشقيق، فإنه استطاع التمييز بين مفاهيم السلام ومفاهيم الاستسلام، فرفض سياسة الاستسلام للأمر الواقع وللقوة الأمريكية كما رفض مفاهيم التطبيع التي تبنتها تلك الاتفاقية وكذلك تنبهت الشعوب الإسلامية للمخاطر الصهيونية، وفي طليعتها الشعب الإيراني، الذي حضن الثورة الإسلامية الإيرانية يوم (1979/2/11م) بقيادة الإمام الخميني (رحمه الله)، ومن ثم طردت السفارة الصهيونية وأحلّت مكانها سفارة لفلسطين وتبنّت يوم الجمعة الأخيرة من رمضان يوماً عالمياً للقدس. ولم تكن فاعلية بعض الشعوب الإسلامية بأقل من فاعلية الشعب الإيراني في مواجهة الخطط الصهيونية ــ الأمريكية.

ولعلّ هذه التطورات دفعت بالإدارتين الأمريكية والصهيونية إلى تغيير سياستهما واعتمادها سياسة الحرب الوقائية بشن هجمات عدوانية استباقية، كما نراه حين اندفع الجيش الصهيوني إلى غزو لبنان سنة (1982م) على حين شجعت الإدارة الأمريكية ــ من قبل ــ الرئيس العراقي السابق صدام حسين على غزو إيران تحت ذرائع منع تصدير مفاهيم الثورة الإسلامية إلى دول الخليج. لذلك كله قدّمت لصدام كل ما يحتاجه من سلاح مدمّر وفتّاك؛ في الوقت الذي تجاهلت مظالمه في العراق. وجعلت دول الخليج تقف دعماً له سياسياً ومادياً؛ إذ خططت جيداً لكي تدفع تلك الدول فاتورة الحرب بين العراق وإيران.

وشغلت الحرب التي دامت (8) سنوات (1980 ــ 1988م) العالم كله حتى أبعدته عن القضية الفلسطينية؛ بل كاد ينسى عملية السلام برمتها. ولمّا أرادت الإدارة الأمريكية الإجهاز على السلاح الذي قدمته لصدام، وتنفيذ الأجندة الصهيونية بالسيطرة على المنطقة من خلال مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي بدأت ملامحه تتضح اليوم للعالم كله شرعت تعزز في نفس صدام حسين فكرة غزو الكويت، بعد أن تضخمت نفسه في ذاته ومثّل السياسي المهني الذي جعل الثقافة السياسية حرفة تحقق غايات محددة. وأكل الطعم فغزا

الكويت سنة (1990م) وتدحرجت الكرة التي انتهت بدخول الجيش الأمريكي وحلفائه إلى الخليج العربي. ثم ألقي طُعْم آخر إلى الدول العربية التي شاركت في إخراج القوات العراقية من الكويت، إذ وُعِدَتْ بتحقيق سلام عادل وشامل في المنطقة؛ ما جعلها تشارك في إخراج الجيش العراقي من الكويت مثقلاً بالجراح والهزيمة سنة (1990م). ثم عُقد مؤتمر (مدريد) للسلام بين 10/30- 1/2 -1991م) برعاية الاتحاد الأوربي وروسيا والولايات المتحدة والأمم المتحدة، وتفاعل العرب بهذا المؤتمر، ولكنهم تبينوا أن الإدارة الأمريكية كانت تلعب بعيداً عنهم، إذ كانت تراقب ـ بالخفاء ـ ما يجري في (أوسلو) من محادثات بين السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني، وهي التي تمخضت عن اتفاقيات (أوسلو) في (1993/9/13م) في الوقت الذي كانت قد شجّعت فيه الحكومة الأردنية على عقد اتفاقية وادي (عربة) بينها وبين الصهاينة في السنة نفسها.

ثـم أيقـن العـالم أن عملـية السلام دخلت في غيبوبة؛ ثم ماتت التسوية الـسياسية مـوتاً سـريرياً وصـارت تنقل من زمن إلى زمن ومن مؤتمر إلى مؤتمـر، على حين كان بعض الحكام العرب متعلّقين بأمل غائب في مكان ما يـسمى (واشنطن)، وبخاصة حين كان عدد منهم يذهب إلى أن أوراق الحل ما زالـت بـيد الإدارة الأمـريكية وبنسبة (99%) كما صرّح به ذات يوم الرئيس المـصري الـسابق أنور السادات؛ وإن لم تكن كذلك فهي أقرب إليها. فصدقية الموقـف الأمريكي لم تتزعزع في نفوس بعض الحكام الذين جعلونا نبكي على أجـنحة الغـياب الذي حمل إلينا كل أشكال الهزيمة النفسية والفكرية والعسكرية والتقنـية، إذ تبـيَّن لنا أنه لم يبق بين أيدي العرب إلا لفافات بيضاء وقع عليها رؤسـاء للـولايات المتحدة وبعض زعماء العرب، وزعماء الصهيونية في تل أبيب؛ بل إن هذه الأوراق نفسها أصبحت تتناقض مع التوجهات الجديدة للإدارة الأمـريكية والـصهيونية، وقد تناسوا جميعاً أنهم أنشبوا أظفارهم المتوحشة في جـسد أبـناء العروبة في فلسطين ولبنان والعراق وشوهوا ثقافة السلام لحساب ظواهـر الاستـسلام والقبول بالأمر الواقع... كانت تلك الأوراق مسوّدة بحبر التوقيع المذل، فزادت آلام الأمة، وألهبت سياط نتائج الاتفاقات المشؤومة أجساد أبـناء الـوطن، بيـنما اختنقت أصوات الموقعين عليها؛ وهي ترى آثار رائحة الاستـسلام التي زكمت الأنوف من وراء الشاشات والفضائيات، وبخاصة حين كانـت تظهر الباكيات المتسلبات العاريات أمام حقيقة التوحش الصهيوني الذي

دمَّــر الحــياة فــي النفوس. وإذا كان فعل بعض الحكام كذلك فإنه لم يدمر ثقة بعض المثقفين الأحرار بوجود هامات وطنية حرّة حملت على عاتقها همَّ قضية الــشعب العربــي وفق ثقافة المقاومة الشريفة فواصلت الصراع العنيد في وجه المــشاريع الأمريكية والصهيونية. وحينما صمد كثير من أصحاب هذه الهامات بــوجه الكــيان الــصهيوني والدوائــر الغربية؛ ودعموا تشبث الشعب العربي الفلسطيني بأرضه، وطفقوا يساندون جذور الانتفاضة الفلسطينية المتأججة فإنهم رفــضوا كــل أشــكال التطبيع ثقافياً وسياسياً واقتصادياً و..... كان أمثال هذه الهامــات من الساسة والمثقفين يمثلون ضمير الأمة ولم تتزعزع لديهم الثوابت الوطنــية والقومية التي أكدت انتماءهم الشريف إلى الأرض والتاريخ والتراث، فحملــوا أمانــة الجهاد والنضال حتى تساوى لديهم عشق الحياة والوطن بعشق التــضحية في سبيله، علماً بأن هذه الثوابت لم تتزعزع في نفوس كثير من أبناء الــشعب العربي والإسلامي وناصرهم عدد غير قليل من شعوب العالم وأحراره وفي طليعته الشعب الفنزويلي بقيادة هوغو تشافيز.

هكذا تسارعت الأحداث في المنطقة فجاء انتصار المقاومة الوطنية اللبنانية علــى الكيان الصهيوني مدوياً في (2000/5/25م)، بيد أن الإدارتين الأمريكية والــصهيونية قــد نسيتا ذلك كلّه وطفق كل منهما ــ وعلى طريقتها ــ تشوهان معالمــه، ولاسيما حين وقعت أحداث (2001/9/11م) التي غيَّرت وجه العالم. وتعاطفــت شــعوب الأرض مع مأساة الشعب الأمريكي وأدانت الإرهاب الذي تعرضــت لـــــه نــيويورك، وغيرها، وأدان العرب قبل غيرهم ذلك الإرهاب، وظــنّوا أن الإدارة الأمريكية ستستفيد من هذه التجربة لتحقيق العدالة لقضاياهم الكبــرى، ولاســيما القضية الفلسطينية التي تدور حولها عملية السلام، غير أن العــرب والمــسلمين لــم يدركــوا أنهم سيكونون الهدف القادم للقوة الأمريكية الفائضة.

فكـــان احـــتلال أفغانستان في مطلع (2002م) ثم اندفعت تلك الإدارة وراء أســباب كاذبــة إلـــى احتلال العراق في (2003/4/9م)، وقد أرادت منه بقيادة جورج بوش الابن أن تجعله انطلاقة إلى تنفيذ مشروعها للشرق الأوسط الجديد فـــي تجــزئة الــوطن العربي وسرقة خيراته، ومن ثمة يكون مكاناً آمناً للكيان الــصهيوني بعـــد أن تستمر سياسة التطبيع العربي معه في كل الاتجاهات. لهذا اســتمرت الإدارة الأمريكية في تشكيل الحكومات العراقية المتوافقة مع أهدافها، وأمعــنت في إشعال حرب أهلية مناطقية عرقية ومذهبية، ولم تأبه لحمامات الدم

التـــي امـــتلأت بهـــا شوارع المدن العراقية، ولم تتورع أيضاً لفقد ما يزيد على (3200) جـــندي مـــن جـــنودها حتى (2007/3/1م)، ولم تُعِر بالاً للرأي العام الأمريكـــي الرافض لسياسة تلك الإدارة في استمرار احتلال العراق؛ ثم ضربت مـــا توصـــلت إلـــيه لجـــنة بيكر ـ هاملتون بعرض الحائط حين تقدمت إليها بتقريـــرها حـــول العـــراق يوم (2006/12/6م)، على الرغم من أن هذه اللجنة كانـــت حريـــصة علـــى إنقـــاذ هيبة أمريكا من استمرار السقوط في المستنقع العراقـــي، وســـاعية إلى الحفاظ على حياة الجنود الأمريكيين. ولعل من أهم ما أوصـــت به تلك اللجنة دعوة الإدارة الأمريكية إلى سحب قواتها، وأن تعلن تلك الإدارة بأنهـــا لا تـــريد السيطرة على نفط العراق وغيره، وطلبت إليها فتح باب المفاوضـــات مـــع سورية، من أجل دفع عملية التسوية في هضبة الجولان قدماً إلى الأمام... بيد أن إدارة بوش ما زالت تسد أذنيها عن سماع أي نصيحة مهما كانـــت، مـــا جعلهـــا مـــصممة على تبني سياسة الفوضى الخلاّقة في العراق، مـــتجاهلة ما توصلت إليه لجنة بيكر ـ هاملتون وما صرَّح به (ريتشارد بيرل) أحد المحافظين الجدد الذي خطط للحرب على العراق ولمشروع الشرق الأوسط الجديـــد، إذ قال: "لو طلب مني اليوم أن أذهب إلى العراق لكنت قد أجبت بكلمة لا، وطالـــبت بانتهاج استراتيجية أخرى"[1]. فهناك تصميم مسبق ومعلن من قبل تلـــك الإدارة لتنفـــيذ المشروع المقترح للمنطقة خدمة للأجندة الصهيونية ما أدى بها إلى رفض أي دعوة للسلام، والانسحاب من العراق في الوقت الذي لم تجبر الكـــيان الـــصهيوني على التقدم خطوة واحدة نحو السلام وهي التي تدعي أنها راعـــية لـــه. ولهذا كله فإن عملية السلام تتراجع في فكر الإدارة الأمريكية في العـــراق قـــبل فلسطين، لأن هذه العملية لا تخدم الصهاينة؛ علماً بأن الصهاينة يـــرون أن الشرق الأوسط اليوم ليس هو الشرق الأوسط أيام مؤتمر مدريد؛ ما أدى بأحد الصهاينة إلى القول: "إن الحاجة الأمريكية للخلاص من عبء العراق ليـــست ســـبباً للانـــسحاب مـــن المناطق التي احتلتها إسرائيل قبل (40) سنة، الجمهـــور الإسرائيلي لن يتنازل عن هضبة الجولان"[2]. فبعض الصهاينة وكل مـــا قام به قادة الكيان الصهيوني يؤكد أن كل من في الكيان الصهيوني يرفض

---

[1] انظـــر مجلة جيش الشعب ـ العدد (1965)، ومجلة الأرض العدد (3) ـ آذار 2007 ـ ص 42 ـ 52.

[2] انظر مجلة الأرض ـ العدد (3) ـ آذار 2007 ـ ص 46 ـ 47.

الـــسلام ويـــرى أنـــه جنون يطيح به، كما ورد على لسان البروفسور (يسرائيل أومـــان) الحائـــز على جائزة (نوبل) إذ قال: "اندفاعنا الجنوني إلى السلام انقلب لعنة علينا، فهو في الواقع يبعد السلام ويعرض وجودنا للخطر"[1].

هـــذا هو الموقف الصهيوني من عملية السلام، إنه موقف عدواني إلغائي، لا يملـــك أي ذرة من حسن النية والصدق، فهو قائم على التسويف والمماطلات مهمـــا قَـــدَّم من الوعود الخلبية على حين أن العرب ما زالوا متمسكين بمبادرة الـــسلام التي قدمها الملك السعودي (عبد الله) ــ وكان أميراً آنذاك ــ في إطار تقـــديم ضمانات أمريكية بالتوصل إلى سلام شامل وعادل مع الكيان الصهيوني، علمـــاً بأن أمريكا لم توفر أي ضمانات لتحرير الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات حـــين حجـــزه الصهاينة في مقر رئاسته بأريحا بينما كانت القمة العربية منعقدة في بيروت (28/ 3/ 2002م)

ويـــبدو أن هذه الضمانات التي أعطيت للسعودية كانت مقابل دعم الحرب ضـــد العراق آنذاك. ومن ثم فنحن لا يعنينا أن بنودها كانت بإيحاء من الصحفي الأمريكـــي الصهيوني (توماس فريدمان) وإنما الذي يعنينا أنها كانت ذراً للرماد فـــي العيون؛ علماً بأن شارون قد دفنها منذ أن ظهرت. وهذا لا يغمض عيوننا عمـــا كانـــت تقوم به إدارة بوش الابن؛ إذ كانت تلعب على وسيلة أخرى أكثر خبـــثاً، فقـــد أيَّـــدت (خارطـــة الطـــريق) التي دعمتها أوروبا وروسيا والأمم المتحدة... وصدَّقت السلطة الفلسطينية أن (خارطة الطريق) ستكون حلاً مقبولاً للقضية الفلسطينية من الأطراف كلها ولكنها سرعان ما فوجئت بالبديل عنها، إذ قـــدَّم (شارون) خطته الجديدة وساندتها إدارة بوش الابن بكل قوة ومازالت تساند خليفـــته (أولمـــرت) للقـــضاء نهائياً على كل أمل بالسلام. وهذا ما يؤكده الواقع الراهن إذ أصبحت هذه المبادرة تتناقض مع خطة بوش الابن للتسوية، فلم يعد مبدأ الأرض مقابل السلام موجوداً، بل صار الأصح منه السلام مقابل البقاء في الحكـــم، وربمـــا ســـينتهي كما قال عزمي بشارة: السلام مقابل سلامتكم. فإدارة بـــوش ــ كمـــا يبدو لنا ــ حريصة على تصفية القضية الفلسطينية، في الوقت الـــذي يعمـــل فيه الكيان الصهيوني على تمزيق أوصال الضفة الغربية بالجدار العـــازل، واستغلال الانقسام الحاصل بين الإخوة الفلسطينيين للقضاء نهائياً على مبدأ تقرير المصير.

---

[1] *مجلة الأرض ــ العدد 3 ــ (2007م) ص 33.*

هكذا كانت الإدارتان الأمريكية والصهيونية تعبث بالقرارات الدولية بمثل ما تعــبث بجــثمان عملية السلام التي أثقلت كاهل وزراء الخارجية العرب في كل مؤتمــر عقــدوه. ولعل مواقف الإدارة الأمريكية قد أثارت قلق الشعب العربي، ووصل هذا القلق إلى الأمين العام للجامعة الذي أعلن في الشهر العاشر من عام (2006م) وفــاة تلــك العملية نهائياً. وقد تجلى للمراقب المحايد أن بعض الدول العربية المعتدلة لم يَرُق لها إعلان الأمين العام للجامعة، وأرادت حجب الشمس بغربال، وصممَّت على تشكيل لجنة عربية للذهاب إلى الولايات المتحدة بعد أن نقــل جــثمان عملية السلام إلى الأمم المتحدة... ولكن جهودها باءت بالإخفاق ولاسيما حين صُفعت وصُفع العرب صفعة مهينة للكرامة يوم (2006/11/11م) إذ رُفع حق النقض الأمريكي في وجه قرار عربي لإدانة المجازر الوحشية التي ارتكــبها الصهاينة في بيت حانون في حق أسرة الطفلة هدى غالية التي أبيدت أســرتها كاملة، وكان أعظمها في (11/8) إذ سقط فيه (18) شهيداً من الأطفال والنساء والشيوخ أصغرهم طفلة لا يزيد عمرها على (18) شهراً... وهنا نتذكر تلــك الــرؤى التــي قَــدَّمها رئيس الوزراء الصهيوني (أولمرت) لإقامة الدولة العبرية عام (2010م)؛ إذ قال: "ستكون لنا عام (2010م) دولة إسرائيل أخرى، ولن نكون في أماكن لا فائدة لنا من البقاء فيها".

ولهــذا بــدأ العمــل في هذا الاتجاه، فلا بد من حد نسبة الفلسطينيين داخل الأرض المحــتلة عــام (1948م)، وإقامــة شرق أوسط جديد تكون فيه الدولة اللقــيطة آمــنة فيه وسيدة ومحركة لــه وقائدة. وحين صوّبت الإدارة الأمريكية صواريخها نحو العراق، وجَّهت الكيان الصهيوني لإرسال طائراته لتدمير لبنان باعتــباره مفــتاحاً مكملاً لتحقيق مشروع الشرق الأوسط الجديد. ثم أشعلت نار الفتــنة البغيــضة بين الأخوة الفلسطينيين (فتح وحماس) فاقتتلوا قتالاً عنيفاً في غــزة أشرســه فــي (10ـ2007/6/16م). وهو الذي أدى إلى خفض التسوية الــسياسية، وتمزيق السلطة الفلسطينية وقتل الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني. وكانــت الإدارة الأمــريكية والــصهيونية تــنفذ المخطط الجديد، على حين أن الموقف الدولي ظل موقف المتفرج، أما الموقف العربي ـ وفي غياب التضامن الفاعــل ـ فقد كان صامتاً؛ بل هناك تواطؤ غير معلن على ما يجري في غزة مــن بعــض الحكــام العــرب للوصــول إلــى حالة إنهاء الصراع مع الكيان الــصهيوني، علماً بأن الأخوة الفلسطينيين مارسوا تنفيذ المخططات الصهيونية دون أن يدروا؛علماً بأننا لاننكر لحظة واحدة وجود بعض الأيدي الملطخة بعار

الاقتــتال فــي داخــل الأمن الفلسطيني، ودون أن ننسى أن فكرة إيجاد السلطة الفلــسطينية في الأصل كانت بغرض تدمير فكرة المقاومة، ما يعني أن أصحاب فكــرة السلطة قد نجحوا في كل ما خططوا له؛ وهو الذي تنبه لــه (حزب الله) فــي لبنان ـ كما يظهر لنا ـ فابتعد عن الانغماس في السلطة انغماساً كلياً، ما جعله يحتفظ بصفة الحزب المقاوم، حتى الآن.

وبناء على ما تقدم: من هم أعداء الحقيقة؟ ومن هم أعداء السلام في العالم كله وليس في منطقتنا؟ وما الترتيبات التي تعدُّ لها (كونداليزا رايس) في جولاتها المتعددة إلى المنطقة؟ وما طبيعة المبادرات التي تقدمها؟ هل تعدُّ ـ حقاً ـ لسلام فاعل وحقيقي أم أن هناك حرباً جديدة تعدُّ لضرب سورية أو إيران ولابدّ من الاتجار بعملية السلام من جديد؟

وفي ضوء هذه الأسئلة نرى أنه ما من أحد يفتح عينيه يومياً على بعض القنوات الفضائية إلا سيستمع إلى رزمة من الأقوال التي تدين سورية وتعمل على محاسبتها بحجة عدم تعاونها من أجل تحقيق السلام في فلسطين، وبحجة أنها ترسل مقاتلين للعراق؛ أو تقدم الأسلحة والمساعدة للمقاتلين فيه، أو أنها ما زالت تتدخل في الشأن اللبناني. فقد أرادت الإدارة الأمريكية الصهيونية عزل سورية عن محيطها العربي وجعلها ـ في أعين العالم ـ عدوة للحرية والديمقراطية والسلام المنشود في المنطقة لكي يسهل الانقضاض عليها، وإركاعها؛ وفرض تبعيتها لمشاريع التقسيم؛ بيد أن سورية صمدت في وجه عشاق الحروب، وكشفت وسائلهم الإجرامية التي تتوافق مع خارطة الدماء ومشاريع الهيمنة والتقسيم التي أعدّت للوطن العربي، وأثبتت أن أمريكا وإسرائيل هما من ترفضان السلام العادل، على حين أن مصلحة سورية تكمن ـ فقط ـ في تحقيق السلام. ومن ثم فالسلام عند (بنيامين نتن ياهو ـ رئيس حزب الليكود، ورئيس وزراء الكيان الأسبق) هو ضمان التفوق للصهاينة إذ يقول: "إن السلام بين إسرائيل وجاراتها هو سلام ردع، وإن احتمال تحقيقه يرتبط بصورة مباشرة على قدرة إسرائيل في الردع. فكلما بدت إسرائيل أقوى أبدى العرب موافقتهم على إبرام السلام معها" [1] ثم يقول "لا أمن باستثناء الأمن الذي يعتمد على ردع المعتدي، وهذا هو السلام الوحيد الممكن تحقيقه

---

[1] *مكان تحت الشمس ـ ترجمة محمد عودة الدويري ـ مراجعة وتصويب كلثوم السعدي ـ دار الجليل ـ عمان ـ 1995م ـ ص 288.*

حالياً بين إسرائيل والعرب، سلام مسلح وحذر يوفر لإسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي"[1].

ومن ثم فالمشروع الصهيو ــ أمريكي حاول خداع العالم بأنه يسعى إلى إشاعة الحرية والديمقراطية في العراق، ولكن الحقيقة الناصعة التي تجلت للبشرية كلها أن أربابه هم من يديرون صناعة الحروب، ويرسمون الخرائط التي تدمر الشعوب وثقافتها من أجل مصالحهم، *وهم الذين يشيعون الفتنة* والاقتتال بين الفلسطينيين، أو اللبنانيين، ثم يحملون تبعات ذلك لسورية لإركاعها وجعلها تمشي في ركاب السياسة الأمريكية، علماً بأن دولاً عربية وأوربية ترحب بذلك، وهو الذي جعلها تحض ((إسرائيل على توجيه ضربات عسكرية إلى سورية خلال حرب تموز 2006م)).[2] لذلك كله فهم من يتمردون على شرعة الأمم المتحدة، والمبادئ الإنسانية، ولذلك ــ أيضاً ــ نجدهم يتدخلون في الشؤون الداخلية للبنان والعراق والمنطقة برمتها، بل إنهم ينظمون الجريمة تلو الجريمة للوصول إلى أهدافهم للهيمنة على المنطقة وسرقة خيراتها. لقد أرادوا للجريمة الأخيرة الممثلة باغتيال بيير الجميل في أواخر تشرين الثاني (2006م) أن تفَجّر الدم في الرؤوس ليطغى الانفعال على العقل، فينجر لبنان إلى حالة مزرية من الفوضى والاقتتال الذي يخدم الأجندة الصهيونية والأمريكية. وهي جريمة مدروسة بعناية توقيتاً وهدفاً ما يعني أن جريمة اغتيال بيير الجميل إنما هي جريمة سياسية بكل أبعادها؛ على اعتبار أنها تهدف إلى تقليل الضغط الشعبي الذي تقوده المعارضة ضد الحكومة اللبنانية الفاقدة للشرعية ــ في تصور أرباب المعارضة ــ وإلى جر الشارع اللبناني إلى الفتنة والاقتتال، وإلى إثارة موجة عداء جارف ضد سورية، لأنها المتهمة بالاغتيال، وإلى تعزيز الدور الأمريكي ــ الصهيوني في لبنان والمنطقة، ما يشي بأن القوات الموالية للحكومة هي التي تقف وراء الاغتيال المدعوم أمريكياً وصهيونياً. ومن هنا نرى أن هذه الجريمة تأتي في السياق نفسه الذي أتت فيه الجرائم التي سبقتها ولا سيما جريمة اغتيال (جبران تويني) في (2005/11/12م) التي جاءت قبل يوم واحد من إعلان (رايس) لميلاد الشرق الأوسط الجديد، على حين جاءت الجريمة الجديدة حين عجزت إدارة

---

[1] *المرجع السابق ص 291.*

[2] *انظر نشرة الصحف الناطقة بالعربية ــ وزارة الخارجية ــ دمشق ــ (2007/6/28م).*

بوش عن الوصول إلى غرضها في تطويع المعارضة اللبنانية. ومن ثم فقد أُريد ــ عمداً ــ أن تطمس أي ملامح مادية تكشف عن مرتكبي هذه الجريمة البشعة، ما أدّى ببعض الضالعين في مخططها إلى تحويل الأنظار عن أولئك الجناة وتوجيه الاتهام إلى سورية وحلفائها في لبنان ومثل هذا يفعلونه اليوم بعد أن اغتالوا النائب والقاضي (وليد عيدو) وابنه بشارع المنارة ببيروت في (10/ 6/ 2007م).

ثم نتساءل ــ مرة أخرى ــ: من هم أعداء السلام؟ هل هم الذين يدينون تلك الجرائم ويسعون إلى كشف الأيدي الآثمة التي تلطخت بها أم صُنّاع الشر الذين أغرقوا لبنان والعراق وفلسطين بحمامات الدم وبالجرائم الجماعية المخيفة؟ فالنصوص التوراتية تمتلئ بالروح العدوانية التي تدفع أصحابها إلى القتل والخراب كما جاء في (سفر تثنية الاشتراع ــ الإصحاح 13 /آية 15 ــ 16) وفيهما ورد ما يأتي: ﴿فاضرب أهل تلك المدينة بحدّ السيف وأسلبها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحدّ السيف. وجميع سلبها اجمعها إلى وسط ساحتها، واحرق بالنار تلك المدينة﴾. إذاً، وفي نص آخر من (سفر العدد ــ الآية 7 وما بعدها) نقرأ ﴿فقاتلوا مَدْين كما أمر الرب موسى.. وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم وجميع بهائمهم ومواشيهم وأثاثهم غنموها. وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار﴾. مَنْ هم أعداء الحقيقة وأعداء السلام؟ هل هم أولئك الذين وقفوا مع ثقافة السلام الحقيقية ونشؤوا على قيمها الروحية والأخلاقية والإنسانية وفق المبادئ الأصيلة وربوا أبناءهم عليها في حياتهم وأدبهم وعلومهم، أم أولئك الذين زرعوا الدمار والقتل في الوطن العربي وأصروا على التوسع في أراضيه لتجزئتها وسرقة خيراتها، وهاهم يسعون إلى الانتقام من صمود أبنائها في وجه حمامات الدم التي تمارس على أرضهم؟. من هم أعداء السلام؟ هل هم أولئك الذين يتبنون ثقافة المحبة والتسامح أو أولئك الذين يحملون عقلية عنصرية توراتية تقوم على قتل الآخر واقتلاعه من أرضه؟ فالثقافة الصهيونية ثقافة عنصرية استئصالية استعلائية وفق نظرية (شعب الله المختار)، ثقافة تفرض على أبنائها مفهوم (الغيتو) الذي يحرم على اليهود الاندماج مع الآخرين وتؤكد نصوص العهد القديم هذا التوجه العنصري كما في (سفرتثنية الاشتراع ــ الإصحاح 7 / آية 6) ومنه ﴿لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض﴾ وهذا ما يؤكده (آرثر كيستلر) في حديثه عن يهود الخزر

الذين يشكّلون القسم الأعظم من اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين؛ إذ قال: "ولكن في الوقت نفسه نمت فيه ديانتهم المقصورة عليهم، والميل إلى الإنطواء على أنفسهم، وإلى العزلة عن غيرهم، وأن يتماسكوا معاً، وأن يقيموا مجتمعاتهم الخاصة بهم، وفيها أماكن عبادتهم ومدارسهم وأحيائهم السكنية وحاراتهم الخاصة بهم وحدهم (الغِيتو GHITTO) وقد فرضوها هم أصلاً على أنفسهم في أية مدينة أو بلد استوطنوا فيه" [1]. وهذا ــ أيضاً ما نجده في الأدبيات الصهيونية كما في قصيدة (الأريكة) للشاعر اليهودي (شاؤول تشرنخوفسكي) التي كتبها في (أوديسا) عام (1897م) ــ وهو التاريخ الذي انعقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول، ومنها:[2]

ــ يهودي أنت يا بني، في هذا سعادتك
وأيضاً نكبتك
فرع سلالة شعب عريق
تفوق عظمتك الشعوب
ما زلت صبياً.. سوف تكبر وتعرف
الأمجاد التي صنعها شعبك
سوف تكون رجلاً.. يد القسوة
ستحل بك.. ستصعقك يا صغيري
ستتيه في الأرض
لكن موطنك واحد.. ومعجزتك صهيون
وإن هويت للقاع.. وإن تأخر يوم الخلاص
لا تيأس يا أسير الأمل
ستشرق شمسنا
هنالك يعسكر العرب

---

[1] *القبيلة الثالثة عشرة ويهود العالم ــ ترجمة أحمد نجيب هاشم الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ 1991م ــ ص 140.*

[2] *انظر ثقافة المقاومة ــ جامعة فيلادلفيا ــ كلية الآداب والفنون ــ ص 255 ــ 256.*

على الأرض وفي الشارون.

ستكون لنا هذه الأرض.

فـــأي تـــربية عنصرية عدائية حاقدة أعظم من هذه التربية التي يفوح بها النص؛ فهي تربية إرهابية للقتل واستئصال الآخر. وكذلك فإن هذا الشاعر يقول في قصيدة له بعنوان (أهزوجة لي):[1]

فالأردن لك، ولبنان لك، والسهل والجبل

من نهر الفرات وحتى حماة والصحراء العربية

الحدود التي رسمتها يد الله، تراها عين السحاب

واحتلوا أرضاً بقوة الذراع ولتمسكوها.

ولعـــل هذه الأسئلة تنقلنا إلى تكثيف الحديث عن دلالة السلام والاستسلام بين ثقافة المقاومة وثقافة العولمة.

3 ـ مفهوم السلام والاستسلام بين ثقافة المقاومة والعولمة

إننا نرى أن الحرب بكل أشكالها إنما هي تنفيذ للمفاهيم التي ينشأ عليها مجتمع ما ولاسيما المفاهيم السياسية والثقافية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية التي غدت ــ اليوم ــ تتحكم بمنطق الأشياء لتحقيق مصالح خاصة.

وحين نفتش عن أسباب كل ما يجري في المنطقة يثبت لكل ناظر أن العدوان الذي تتعرض لـــه الأمة العربية والإسلامية من قبل الدوائر الغربية والأمريكية والصهيونية لا يتوقف عند المظهر الاقتصادي والعسكري وإنما يمتد إلى الثقافة والسياسة، والعادات، بل إلى الجانب الروحي نفسه. وما المواقف والتصريحات التي تنطلق من المسؤولين والمراكز البحثية والفكرية والسياسية في تلك الدوائر إلا تأكيد لعدم رغبتها في السلام، والعمل على الإعداد لعدوان جديد. فلو أمعنا التفكير في كل ما يصدر عن المسؤولين الصهاينة ساسة وقادة وعسكريين ومثقفين لوجدناه يصبُّ في خانة التهيئة لعدوان جديد على لبنان وسورية، وربما مصر. وهذا ما يتضح لنا من مقال الكاتب الصهيوني (إيتان هابر) في افتتاحية لصحيفة (يديعوت) تاريخ (22/2/

---

[1] *انظر ثقافة المقاومة ــ جامعة فيلادلفيا ــ كلية الآداب والفنون ــ ص 255 ــ 256.*

2007م) ومنه: "يجب أن يكون الدرس الأول من الحرب الأخيرة ـ في الحقيقة ـ أنه لا يجوز لنا أن ندعهم يقوون ويطلقون النار علينا. ولكن على حسب هذا المبدأ يحسن بنا أن نبدأ بتوجيه النار ـ اليوم ـ إلى سورية ومصر اللتين تملآن مخازنهما بكميات ضخمة من السلاح".

فالدوائـر الغـربية تـتحدث كثيـراً عن السلام ولغة الحوار بين الدول والـشعوب، ولكن الأحداث الواقعية أثبتت أنها استخدمت كل ما لديها من خبرة ومعـارف وتقنـيات متقدمة وأسلحة فتاكة، وعملاء خونة لمحاربتنا دينياً وثقافياً واقتـصادياً وتقنـياً وسياسياً واجتماعياً و... وللقضاء على كل ما نؤمن به من معطيات وطنية وقومية وإنسانية.... إنها تنفذ عملية تغيير مدروسة؛ إن لم نقل: إنهـا تتبنى عملية قتل منظمة وفق آليات ومناهج دقيقة لكي نحمل مفاهيم الإدارة الأمريكية ـ الصهيونية، ونصبح أدوات طيعة بيدها.

إن الخـط البياني الدقيق لثقافتنا وموروثاتنا وعاداتنا و... يقدم لنا أننا أمة تعـشق الـسلام وتدعـو إليه، وتكره الاستسلام لأنه يزيد في الهوان والضّعف والعـنف والقـتل. ومن ثم فإن العدو الغاصب يستمرئ استسلام الآخر، لأنه لا ينـتج إلا الظلـم والقهـر والاستعباد والسرقة والغطرسة؛ بل إنه يزداد شراسة وعدوانـية، ويزداد المستسلم تبعية وفقراً وتجزئة. لذلك كله فإن ثقافة السلام في المفاهـيم الروحية والدينية والسياسية والثقافية واللغوية والأدبية والأخلاقية عند العـرب والمـسلمين إنمـا تجـسد مفاهيم المقاومة الحرة الشريفة في أشكالها المـتقدمة، ابـتداء بالتـربية الـروحية والأخلاقية وانتهاء بالتربية الاجتماعية والمعرفية والعلمية والعسكرية و... لهذا علينا أن نعد المواطن المخلص للمبادئ الفاضـلة وللأرض التي ينتسب إليها ويعرف بها لحراستها من أي أذى دون أن يفكـر بالاعتداء على غيره. ومن ثم فهناك علاقة وطيدة بين ثقافة السلام وثقافة المقاومـة الوطنـية والقومـية بينما ينتفي هذا اللقاء بينها وبين الاستسلام؛ وإن كانت الدوائر الغربية والأمريكية والصهيونية تريد أن تطابق بينهما.

ومـن يـستقص دلالـة كلمتي (السلام) و(الاستسلام) في ثقافتنا وعقيدتنا وأدبـنا وحياتـنا يـدرك البَون الشاسع في خصائصهما، دون أن ننسى أن كلمة (الـسلام) مـن أسماء الله وتحيتنا للآخر أياً كان موقعه وشأنه وجنسه (السلام) وهذا شيء والاستسلام شيء آخر كما نوضحه فيما يأتي:

1 ـ ثقافـة السلام تعزز الانتماء الأصيل وتنميه وتشكل في نفوس الأباة الأحـرار حصانة دافعة للهوية الوطنية والقومية، والإخلاص لذلك في كل شأن

مــن شؤون الحياة والثقافة والأدب والفن. فثقافة السلام ــ وفق هذا التصور ــ تدفــع المــوت عــن الإنسان، بمثل ما تنتشل الوطن والأمة من الضياع، على اعتــبار أنهــا جــزء من ثقافة المقاومة في حال السلم؛ وهي تظهر على لسان المثقفــين الوطنيــين أيــنما كــان مــوقعهم في المجال السياسي أم الاجتماعي والاقتــصادي والثقافــي والأدبي والفني. فتراهم يناضلون كل من موقعه ليبقى الــوطن حُرًّا وسيداً. وهذا يثبت أن خيارات الشعوب المكافحة والحريصة على كــرامتها تخــتلف عــن ضرورات الأنظمة السياسية. وقد أكد الشعب العربي الفلسطيني قدرته على مواجهة الحصار الأمريكي والأوربي والصهيوني، وظل مــزروعاً فــي أرضه بالرغم من الجوع والقتل والتشريد، وأظهر للعالم كله أن الاســتعمار الــصهيوني الاســتيطاني العنصري يفوق في وحشيته وهمجيته أي محــتل مجــرم عرفته الدول والشعوب. وحين كان الصهاينة يمارسون التصفية العــرقية للفلــسطينيين ويتفننون في تشريدهم وتجويعهم كان هؤلاء الفلسطينيون يثبــتون أن أرضــهم ممتلــئة بهم ويكذبون ما زعمته غولدامائير ذات يوم في تــصريح لهــا لصحيفة (صانداي تايمز) في (15 /6/ 1969م) إذا قالت: "ليس هناك شعب فلسطيني.. ولم يكن الأمر أننا جئنا وأخرجناهم من الديار واغتصبنا أرضهم، فلا وجود لهم أصلاً".

ومن ثم فثقافة السلام الجديدة ــ وفق الخطاب الأمريكي ــ الصهيوني المستند إلى مفاهيم العولمة ــ هي ثقافة الرضا والقبول بالأمر الواقع أي إنها تعزز روح الاستسلام، ما يوحي بإلغاء كل مفاهيم المقاومة أو تغييرها ضد أي محتل غاصب للأرض والعرض، وبمعنى آخر ؛ إن أي عمل مقاوم للخطاب الأمريكي إنما يقع تحت تصنيف الإرهاب، وعلى العرب إدانته. ولا شيء أدل على ذلك كله مما يجري في فلسطين والعراق، فمن يتعرض لطائرة صهيونية أو أمريكية، أو لجنودهما فإنما هو إرهابي، فالتحرر الوطني والقومي أصبح إرهاباً في منظور الخطاب الأمريكي، وهذا أسوأ ما وقع في تاريخ المفاهيم.

2 ــ ثقافة السلام تعزز التآخي الإنساني بين العربي والآخر، فالعربي يبادر أي إنسان لــه بكلمة السلام، ويعتمد معه مفهوم الحوار ولو كان معادياً لــه، فهو يتعامل معه على أساس الندية والمساواة وفق ما تبنته لغتنا لدلالة كلمة السلام.

و لو رجع أحدنا إلى تراثنا اللغوي والديني لوجد أن كلمة (السلام) تدخل فــي جملــة من المعاني المشتركة، منها الدخول في العهد، أي هي أمان الله في

الأرض، والبــراءة مــن النقص والعيب والآفات، فضلاً عن معنى الصلح بعد الحرب، وإشاعة المحبة في الناس.

ومن ثم فإن التحية بلفظ (السلام) تعني ذلك كله ــ على الأغلب ــ كقوله تعالى: ﴿فقل: سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾(الأنعام 54/6) وقوله: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾(الرعد 24/13)، وقال الرسول الكريم: [أفشوا السلام تسلموا] و[أفشو السلام تحابوا][1] ولا تقتصر التحية بالسلام على المؤمنين بل تشمل غيرهم لقوله تعالى: ﴿لا تقولوا لمن ألقى السلام: لست مؤمناً﴾(النساء 4/ 94)، وقوله: ﴿السلام على مَنْ اتبع الهدى﴾(طه 47/20). وتشمل تحية السلام مَنْ في القبور، كقول الشماخ في رثاء أمير المؤمنين عمر، منه:

عليك السلام من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزَّقِ

وقد سميت الجنة (دار السلام) لخلوّها من الآفات والمكاره، وتحيتنا من الله السلام ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم، تحية من عند الله﴾ (النور 61/24).

ومن ثم فإن مصطلح (السلام) يماثل مصطلح (السّلْم) (بكسر السين وفتحها)؛ ومعناه (الصلح) وهو يذكر ويؤنث، وتسالم القوم: تصالحوا، والمسالمة: المصالحة وترك الحرب، أما الاستسلام فهو الانقياد؛ وفعله استسلم يستسلم واسم الفاعل مُستَسلم.

وبذلك كله فإن الثقافة العربية القديمة والحديثة أكدت معنى الإخاء الإنساني، وهو ما تضمنته نصوص العقيدة الإسلامية كقوله تعالى: ﴿إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ 24/34) أو قوله: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة 6/9).

فالنص القرآني شديد الوضوح في هذا الشأن، بل إنه يطلب من العربي والمسلم أن يجعل عمل الآخر أفضل وصفاً من عملهما كقوله تعالى: ﴿لا تسألون عما أجرمنا، ولا نسأل عما تعملون﴾ (سبأ 25/34) وقوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسّلْم فاجنح لها﴾ (الأنفال 61/8). فالنصوص القرآنية تربي المسلم على السلام لا الاستسلام على اعتبار أن السلام يحقق الوجود الحر الكريم، ويرفض الإذعان والتبعية للآخر سواء كان من أبناء الوطن أم من الغرباء، بل إن القبول

---

[1] (الجامع الصغير 159/1 رقم 1227 و1248).

بالمحـــتل الغـــريب أمر مرفوض شكلاً ومضموناً، لأنه أقصى أنواع الاستسلام المذل ولابد من مقاومته بكل الأشكال وعلى كل مستوى.

والسنة النبوية تؤكد ذلك، كصك الحديبية وموقف الرسول والصحابة من كتابة ذلك الصلح حين لبى طلب سهيل بن عمرو، ومحا كلمة الرسول من الصك، ثم إن تاريخ الفتوحات الإسلامية يثبت جنوح العرب إلى السلام، كما يستدل من حكم القاضي المسلم الذي حكم بإخراج جيش قتيبة من مدينة سمرقند ـــ والحادثة مشهورة ـــ فمفهوم ثقافة السلام يجسد الوعي التاريخي بحقيقة الكرامة الإنسانية ليبقيها حية في الذاكرة.

أما الاستسلام فما يجر أصحابه إلا إلى الذل والخيبة والتبعية والخضوع، والغـــربة الذاتـــية، والانـــتهاب النفسي والاجتماعي والفكري والعسكري ويسلم للآخـــر بكل ما يريد. فهم لا يملكون غير التباكي والعويل تحت كنف السادة في النظام العالمي الجديد الذي أتقن حرفة القتل والسيطرة وسرقة خيرات الشعوب. وعلـــيه فـــإن حالات الاستسلام لم تزرع في نفوس بعض العرب والمسلمين إلا ثقافـــة الخـــوف والمـــساومة والتطبيع، ولم تورثهم إلا البيوت المهدمة والبائسة والأرض المحروقة، وليست فلسطين والعراق وأفغانستان عنا ببعيد.

3 ـــ ثقافة السَّلام عندنا تزيد قدرة المثقفين على بناء الذات القوية والمتسلحة بإرادة المعرفة والدقة والإتقان وتعلم المنهج الصحيح في المعارف والفنون والآداب والحياة. فهي تعزز الوعي الخلاّق لدى أبناء المجتمع لإنتاج الإبداع تلو الإبداع في مختلف الميادين وتخلق الثقة بالنفس وتحرص على الانتماء الصادق في ضوء التربية الإبداعية التي تبدأ بتكوين الذات الحرة الكريمة منهجاً وحياة، وفق إطار المواطنة المؤسسة قانوناً ودستوراً، وهو مبدأ يحقق المثاقفة المعرفية الرفيعة داخلياً ويهيئ لاحترام الآخر وتبادل الخبرات والتجارب معه على اعتبار أن ثقافة السلام ثقافة مقاومة للتخلف والفقر والجهل والتبعية المطلقة لثقافة الآخر. فهي ثقافة تحمل من خصائص التميز والوجود ما يجعلها ثقافة حيَّة وملبية لطموح الإنسان في قيمه ومبادئه الإنسانية الكريمة المتساوقة مع أخلاقيات الشرائع السماوية وشرعة حقوق الإنسان التي أسستها القوانين الدولية، أما مفاهيم الاستسلام فتزيد الجهل والفقر والتبلد والتقليد والمحاكاة، فيتدنى الإنتاج، وتتخلف وسائله... لأنها تسلّم للآخر بأن أصحابها لا يملكون إلا ثقافة مأزومة ومهزومة عاجزة عن تلبية الحاجات ومتطلبات المعرفة والعلم...

4 ـ ثقافة السلام تقوم على احترام الآخر ثقافياً ووطنياً وإنسانياً، وتهيئ للتبادل المعرفي والعلمي بين أبنائها وبينه، ما يعني تعزيز الوحدة الوطنية والقومية وتعميقها ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وتقنياً دون أن تتخلى عن سماتها وخصائصها المعززة لمقاومة الاستلاب والإلغاء والإلحاق.. فالثقافة بهذا المعنى تأخذ من الثقافات الأخرى وتعطيها، تعير وتستعير وتصبح جزءاً لا يتجزأ من الكون الحضاري المعترف به؛ باعتبارها ثقافة وطنية وإنسانية تكرم البشرية جمعاء وتقاوم الذل والخضوع. إنها ثقافة تعزز الحرية والكرامة لأنها تقاوم أي اعتداء على الذات الثقافية والوطنية، بل هي ثقافة احترام الوجود نفسه. أما ظواهر الاستسلام فليست ممثلة لأي ثقافة حرة ولن تستطيع أن تصمد أمام القوة الجبارة للآخر وثقافته، ما يثبت أن الوطن لن يكون بمعزل عن التجزئة والهزيمة. وليس ما يجري اليوم على الساحة العربية إلا المثال الصارخ والصادق على ما نقوله، وفي طليعته ما انبثق عن قمة (شرم الشيخ) التي عقدت يوم الاثنين (2007/6/25م) بين (مصر والأردن والسلطة الفلسطينية بقيادة محمود عباس، والكيان الصهيوني بقيادة أولمرت). وما إن انتهت حتى تراجع أولمرت عما وعدها به، فلم يطلق سراح الأسرى، وسارع في اليوم التالي إلى شن غارات على غزة، واستقبل الرباعية الدولية في القدس ليقضي نهائياً على مشروع الدولة الفلسطينية المؤقتة.

ومن هنا فإن روح الاستسلام أسقط الثقافة العربية في المحتوى الاستلابي الذي جعل أبناءها مجرد تابعين في النشاط الثقافي والسياسي، بل النتاج الحضاري كله. ولا شيء أدل على ذلك كله من أن ظواهر الاستسلام هي التي جرّت العرب إلى سياسة التطبيع مع الكيان الصهيوني، والقبول باحتلال الأرض مقابل ما يسمى بالسلام المزعوم، حتى أذلت الإنسان العربي، ومن ثم تخلّى عن كل ما كان يؤمن به من مبادئ وشعارات وطنية، أقلها "قاطعوا البضائع الأمريكية". فقد صار أحدنا يتغنى بشراء هذه البضائع ويأنف من شراء البضائع الوطنية تحت حجج واهية، ما ألحق بالاقتصاد الوطني ضرراً كبيراً.. وهذا ما تسعى إليه ثقافة العولمة الأمريكية اليوم. فهي مستمرة في الاعتداء على ثقافات البشرية وفق سياسة الاستسلام، لا ثقافة السلام، لأن ثقافة السلام تملك كل عناصر القوة لمقاومة الذوبان في غيرها والاندماج بها، أو التبعية لها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً و.... وقد مارست الثقافة العربية منذ القديم مقاومة كل صنوف الاعتداء والاستئصال ابتداء من الاستشراق

الاستعماري وثقافة الاستعمار الأوروبي وانتهاء بالعولمة التي تعني ثقافة الأمركة كما أكده (بريجنسكي في قوله: "يمارس النفوذ العالمي الأمريكي من خلال نظام عالمي مصمم أمريكياً وفق التجربة الأمريكية". وهذا كاف لتفسير مفهوم العولمة كما عرفه (رولاند وبرتون) بقوله: "تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفاً واحداً، وظهور حالة إنسانية".

وهنا يكمن الصدام الحضاري بين الثقافة العربية ـ الإسلامية باعتبارها ثقافة سلام، وبين ثقافة العولمة التي تعدُّ ثقافة استعمارية واستعبادية وقاتلة، ومفككة لثقافة الآخر وقاتلة لها وحاضنة لروح الاستسلام والإحباط والخوف والمساومة ونشر الفساد والأمراض الاجتماعية الهدامة.

فثقافة العولمة ـ وإن زعم أصحابها بأنها ثقافة علمية ليبرالية ـ إنما هي ثقافة عدوانية وحشية عنصرية استعلائية تمثل مفهوم العصر الأمريكي المستبد الذي يريد السيطرة على العالم وفق مفهوم القوة الكونية للقرية الواحدة.

في مثل هذا المناخ المواتي سعى أقطاب فلسفة ثقافة العولمة إلى فرض مفاهيمها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وإعلامياً، وعسكرياً لتعزيز المفاهيم الثقافية والقيم الغربية في إطار ما يسمى اليوم بمشروع الشرق الأوسط الجديد الذي رضي به عدد من الحكام العرب، في الوقت الذي بدؤوا يتنازلون فيه عن فلسطين وفق خطة اللجنة الرباعية، علماً أن هذا المشروع يتجاهل الوجود العربي شكلاً ومضموناً، لأنه يريد المنطقة برمتها ملحقة بالهيمنة الأمريكية ومشاريعها.

ومن ثم فإن الدوائر الغربية عامة والأمريكية خاصة تسعى إلى فرض نزوع الاستسلام وقيمه وفق ظاهرة الاستلاب الحاملة لطوابع الإصلاح والديمقراطية كما هي عليه في التصور الأمريكي. فالإدارة الأمريكية تجعل الآخر العربي يتبنى مفاهيم العولمة، ولابد له من أن ينفذها وفق سياسة قابلية الرضا بالأمر الواقع، وتعزيز مفاهيم الدولة القطرية وتجذيرها على حساب الدولة القومية. لهذا تقوم تلك الدوائر بدعم ثقافة العولمة بأساليب متعددة وعجيبة، على اعتبار مفهومها المعروف للقاصي والداني؛ ومنها:

1 ـ فرض الأجندة الأمريكية ـ الصهيونية وفق مفهوم الدمج والإلحاق والإلغاء علمياً وثقافياً، ونفسياً واجتماعياً و.. ما يعني رفض الدعوات العربية للسلام، والسعي إلى فرض فهم الغرب للسلام وتطبيقه على أبناء المنطقة في إطار فلسفته الخاصة. وقد سخر لذلك كله برامج سياسية وثقافية وإعلامية أعد

لهـــا كـــل الأدوات الكفيلة بنجاحها. فلم يبق شبر واحد على الأرض دون تغطية مـــن وســـائل الإعـــلام فـــضلاً عـــن الشابكة (الإنترنت) والفضائيات وجولات المسؤولين والباحثين وغيرها. فهناك ضَخ إعلامي مستمر ومنظم لغسل الأدمغة العـــربية مـــن مفاهـــيم ثقافة المقاومة بكل أركانها، وطنياً وقومياً وإنسانياً، حتى صـــدّق عـــدد غيـــر قليل منا بأن العرب ــ أو بعضهم ــ قد أصبحوا إرهابيين وقـــتلة، وعليهم الوقوف مع نظام العولمة الجديد الذي تقوده إدارة بوش للتخلص مـــن هؤلاء الإرهابيين، وإلا أصبح كثير من العرب أعداء للديمقراطية والحرية، فأي عالم ظالم نعيش فيه؟!!.

2 ــ القـــيام بحروب استباقية وتبني مفاهيم الفوضى الخلاقة لإسقاط ثقافة المقاومـــة بكـــل خصائـــصها الإنسانية، وإشاعة مفاهيم الاستسلام. فتلك الدوائر تـــستند إلى جعل الرافعة السياسية والعسكرية وسيلة للقضاء على ثقافة المقاومة التـــي أخذت تشيع في الوطن العربي. وقد استفادت هذه الدوائر من بعض تجار السياسة أو بعض الحكام العرب الذين يوصفون بأنهم معتدلون؛ في الوقت الذي بـــدأنا نجد فيه تراجعاً لمفهوم المد القومي العروبي؛ إذ أخذ بعض أبناء العروبة يستهجن المفاهيم القومية.

3 ــ اللعب على المصالح الخاصة، واتباع الإغراء المناسب والترهيب المطلوب ــ كالبنك الدولي ــ ومنظمة التجارة العالمية (الكات). فالشركات الاحتكارية الكبرى والمالكة لرأس المال هي التي توظف إمكاناتها المالية الهائلة والمركزية لخدمة الدوائر الغربية عامة والأمريكية خاصة، وهي التي صممت على أن تجعل ثقافتها مسيطرة على غيرها وفق المبدأ الاقتصادي (وحّد تسُدّ)، بموازاة مبدأ (فرّق تسد)، ما يعني سيطرة مفاهيم ثقافة العولمة المساوية لمفهوم الأمركة.

فعملـــية الدعم الاقتصادي والعلمي والتقني والمالي قد تحقق إنجازات عدَّة لـــتلك الدوائر لا تستطيع القوة أن تحققها، ما يعني أن الثقافة الجديدة التي ينبغي أن تتبـــناها الـــشعوب إنمـــا هـــي ثقافة التنافس الجدي بين الفقير والغني، بين الـــضعيف والقـــوي، بـــين المتخلف والمتقدم، بين المسحوق والمظلوم والمتكبر الظـــالم و... وهـــل يتوافقان حقاً؟ ولهذا نتساءل: ما النتيجة التي آلت إليها ثقافة المقاومـــة التي وقفت سداً منيعاً في وجه ثقافة الأمركة؟ هذا ما يمكن أن يتضح لنا فيما يأتي:

4 ـ سقوط الأسطورة واحتضار الخرافة

لــم يكــن المترددون ــ يوماً ــ أصحاب مواقف قوية في أثناء الأزمات الكبــرى التــي تتعرض لها لأوطان، ولم تكن الأيدي المرتجفة ــ يوماً ــ قادرة علــى حمــل البندقــية وتــصويبها بدقة إلى صدور الأعداء. وحينما يقال: إن المواقــف العظيمة تصنع الرجال فإننا نؤمن أيضاً بأن الرجال العظماء يصنعون تاريخــاً عظيماً في مواجهة المشروع الصهيوني ــ الأمريكي الساعي إلى تهويد فلــسطين، والهيمنة على الأرض العربية المجاورة ولا سيما تلك الغنية بالمياه، كهــضبة الجولان، وجنوب لبنان. فالمشروع الصهيوني حاول أن يؤكد وجوده في إطار مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي تقوده الإدارة الأمريكية المحافظة بقــيادة بــوش الابــن، فــي الوقت الذي يسعى إلى إدارة المنطقة وقيادتها وفق رغــبات الحركة الصهيونية، مستنداً إلى ما تأسس بعد هزيمة (5/ 6/ 1967م) حول جيشه بأنه الجيش الذي لا يقهر...

ولهــذا حــاول الإفادة من الوضع الدولي، والهزائم التي لحقت بالعرب، واســتثمار سيطرة الولايات المتحدة على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي عام (1991م) لعقــد اتفاقــيات الاستسلام مثل (اتفاقية أوسلو) وما لحقها من صكوك التسليم، وكذلك كانت اتفاقية (وادي عربة) لعام (1994م) وغيرها...

ثــم أقــدم الكيان الصهيوني من جديد على غزو لبنان إثر عملية (الوعد الــصادق) التــي نفــذها (حــزب الله) وأسر فيها جنديين صهيونيين من ساحة المعــركة، فمــا ترك هذا الكيان نوعاً من الأسلحة الفتاكة، والمدمرة والمحرمة دولــياً إلا ألقى بها على لبنان أرضاً وشعباً. لقد استخدم صواريخ (بوباي لايت، وهــاف لايــت) والقنابل العنقودية، والانزلاقية والفراغية، والوقودية و... وأي قنــبلة مــن هــذه كانت أعظم بكثير من تلك التي استخدمت في حرب الخليج (1991م) وفــي غزو العراق (3/20/ 2003م)... دون أن ننسى قذائف المدفعية المنــضّدة بالفوسفور الأبيض، علماً بأن طائرات العدو قد نفّذت (8700) طلعة جــوية كمــا أعلــنه (صوت إسرائيل) في (6/ 8/ 2006م). وبهذا أخفق سلاح الجــو الــصهيوني من تحقيق أهدافه، اللهم ما عدا تدمير البنى التحتية التي أراد من ورائها أن ينقلب الشعب على مقاومته، ولكنه خسئ وانكسر.

من هنا يصبح للموقف البطولي الشريف الذي اتخذه قائد المقاومة حسن نصر الله؛ وللأبطال المجاهدين في لبنان قيمة خاصة متفردة ومطلقة ليس ــ فقط ــ في صهر الرجال الأشداء وتمييزهم من الضعفاء الجبناء، ولكن في

إحياء روح الانتماء إلى الأرض والعقيدة بكل صدق وإخلاص، وفي إثبات أن هذا الانتماء لا يصان إلا ببذل النفوس رخيصة في سبيله، وإيجاد موقف موحد بين المقاومين من جهة وبينهم وبين حركات النضال الوطني والقومي والدولي كما تجلى في تنسيق الجهود بين المقاومة وسورية وإيران. فالوطن ليس كلمة تلاك في الأفواه، والعقيدة ليست طقوساً تمارس في المكان وإنما هما فعل إرادي مقاوم لكل أشكال الظلم والقهر والتخلف والتمزق والعدوان والضعف والهوان.

ونحن ـ اليوم ـ لن نتحدث عن الدور الوطني والقومي لسورية ولا عن تضحيات الضاحية الجنوبية في بيروت وصمودها في وجه خفافيش الليل، وطائرات القتل والدمار، ولن نتحدث عن البقاع الصامد الذي أعلن للعالم كله أن أرضه العطرة إنما أخذت حُمرتها من دم الشهداء القاني، ولن نتحدث عن الصمود الخلاق لقرى الجنوب ومدنه وهي تتعرض لتدمير منهجي ومجازر وحشية جماعية لا نظير لها في التاريخ الإنساني من مدينة صور إلى بلدة قانا وعيترون وعيتا الشعب ومارون الراس وصريفة والطيبة والخيام وبنت جبيل ـ وعفواً إذا ضاق المجال عن ذكر صمود البلدات كلها من البقاع إلى القاع وطرابلس في الشرق والشمال؛ نقول: لن نتحدث عن ذلك كله وإنما سنثبت أن تجربة المقاومة الوطنية اللبنانية التي استمرت /33/ يوماً بدءاً من الساعة التاسعة والنصف صباح الأربعاء (2006/7/12م) قد أكدت لنا أنها مقاومة وطنية لكل فئات الشعب اللبناني، وإن كان حزب الله وحركة أمل يمثلان رأس حربة لها، ما يعني أن نضال أيّ منهما لم يكن لمذهب أو طائفة وإنما كان للوطن والأمة. هكذا كان في عام (1982م) وهكذا استمر في مواجهة العدوان الوحشي الأمريكي الصهيوني الأخير في تموز (2006م). ولعل هذا يدعونا إلى تذكر المجموعات اللبنانية التي شكلت نسيجاً وطنياً لبنانياً وعربياً منذ مطلع الثمانينيات من القرن العشرين. فمن منا ينسى أحمد الرحيل الذي قاد طليعة مناضلة في (1982/6/7م) قرب صور بين قرية (البازورية) وقرية (البرج الشمالي) ومخيم البرج الشمالي الفلسطيني. وقد كمنت هذه الكوكبة المؤلفة من أربعة عشر مقاتلاً للواء الصهيوني المتقدم نحو صور فعالجته بقذائف (الآر بي جي) وغيرها من القذاف الصاروخية فدمّرت (26) آلية وأسرت نحو (19) جندياً وضابطاً صهيونياً منهم قائد اللواء.

في تلك المعركة استشهد أحمد الرحيل بعد أن قام بواجب المقاومة والتصدي للغزاة. ومن منا ينسى أولئك الشباب من الحزب القومي الاجتماعي

بقيادة (سمير حمدان) الذين تصدوا للعدوان الصهيوني في منطقة عرمون فكبدوا العدو خسائر فادحة؟ ومثل ذلك قاد الشهيد رشيد حمزة مجموعة من الشباب في (دير الراهبات) حين دمروا سيارة جيب صهيونية؟

فالدم العربي الفلسطيني امتزج بالدم الوطني اللبناني في العديد من المواقع في (عين عنوب) و(دير قوبل) و(وادي الزينة) و(الناقورة) و(جنوب صور).. وهو الدم الذي امتزج في حرب تموز ليعلن للدنيا كلها أن النضال الوطني لحزب الله وحركة أمل كان من أجل لبنان والأمة وهو الذي أكد وحدة المصير والموقف.

وبهذا كله أكد لنا حزب الله والمقاومة الوطنية اللبنانية أن القوة العسكرية الصهيونية المدعومة بأعتى قوة على وجه الأرض في عصرنا الحديث، وأعظم الدول تقدماً في التقنيات المدنية والعسكرية، وفي الاتصالات والعلوم، والفضائيات، وأكثرها أتباعاً في الإعلام، إذا استثنينا الخونة والجواسيس، قد عجزت عن فك شفرة الخطط التي أعدها حزب الله واختراق بنيته؛ والانتصار عليه على الرغم من أنها قد خططت لعدوانها قبل أربعة أشهر؛ إذ اعترف رئيس وزراء الكيان الصهيوني (إيهود أولمرت) بأن قرار الحرب على لبنان قد اتخذ في (آذار/2006)، أي قبل أسر الجنديين الصهيونيين على الحدود اللبنانية. ولم يكن هذا الاعتراف تصريحاً منه للصحافة ولكنه شهادة أمام لجنة بدأت تحقيقاتها في (18/ 9/ 2006م) حول حرب تموز، إذ ذهب إلى أن هناك خططاً مُعَدَّة لمواجهة حزب الله في جنوب لبنان. ثم أثبتت هذه اللجنة عجز الجيش الصهيوني عن النيل من المقاومة الوطنية اللبنانية، أو تشويه صورتها بأنها مقاومة شيعية؛ لطائفة محدودة من الشعب اللبناني؛ أو بأنها تحاول السيطرة على لبنان لتصبح لها الكلمة الأولى والأخيرة... فالكيان الصهيوني المدعوم بالإدارة الأمريكية المحافظة جهد في تخويف اللبنانيين من المقاومة الوطنية بقيادة حزب الله؛ علماً بأن هذا الحزب لم يوجه في يوم من الأيام بندقيته إلى الداخل اللبناني، ولا طمع في مكاسب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية على حساب أحد من اللبنانيين منذ أن أطلق مقاومته الأولى في عام (1983م). كانت مقاومته في سبيل تحرير لبنان، والحفاظ على وحدته في إطار مفهوم العيش المشترك، فضلاً عن أن كثيراً من المقاومين اللبنانيين قد شاركوا في مقاومة العدوان الجديد، وهم ينتمون إلى مذاهب فكرية ودينية لا علاقة لها بحزب الله كما جرى في عام (1983م).

هكـذا سـقطت القـوة الـرابعة في العالم بكل وحشيتها وجبروتها وبكل عنصريتها الصهيونية. وليس هذا فحسب بل انفجر العديد من الفضائح المخزية لقـادة الكـيان وسياسـييه ابتداء بالتحرّش الجنسي لرئيس الدولة ووزير العدل وانـتهاء بالاتهامات العديدة لأولمرت وقادته العسكريين باعتبارهم مسؤولين عن سـبب هـزيمة الجـيش وانكسار صورته[1] في نفوس الصهاينة فضلاً عن أنه عجـز عن النيل من حزب الله، ما أدى ـ أيضاً ـ إلى سقوط هيبة هذا الجيش في نفوس العرب.

إذاً، أخـذ التململ يتردد في جنبات الدولة اللقيطة ـ فالجيش الصهيوني راح يلعـق هـزائمه المـرة واحدة تلو الأخرى سياسياً وعسكرياً واجتماعياً؛ إذ خسر من جنوده ما يزيد على (100) قتيل فضلاً عن قتلى آخرين من المدنيين، مقابـل (117) شـهيداً مـن المقاومة الوطنية اللبنانية فازداد الاحتجاج الشعبي والعـسكري وبرزت الأزمات العديدة على الرغم من زعم (أولمرت) بأنه أحرز نصراً استراتيجياً، وطفق القلق يراود الإدارة اليمينية المارقة بقيادة بوش الابن خـول مـصير ربيبـتها (إسـرائيل) بعـد أن زودتها بكل آلات القتل والدمار والأسـلحة المـتطورة أرضـاً وبحـراً وجواً لقتل الحياة في لبنان وتدمير بنيته التحتـية ولكـن هـذه الأسـلحة فـي الجو والبر والبحر عجزت عن النيل من المقاومة، بل إن هذه المقاومة كانت تصطاد الدبابات الصهيونية في كمائن عدة، وأنـزلت بهـا خسائر جسيمة كما في وادي (الحجير)، وصار الجنود ينتظرون الخروج من المأزق الذي أوقعهم به قادتهم... ومن ثم فإن هذه الأسلحة لم تصل بهـم إلـى أيّ الأهداف التي شنت الحرب من أجلها فلا (الجنديان الصهيونيان) الأسـيران رجعا بقوة الوحشية الصهيونية، ولا سلاح حزب الله دمّر، ولا تنظيم حزب الله قد تخلخل أو ضعف او انفض الناس من حوله في لبنان وخارجه، بل اجـتمع العـرب والأحـرار حوله... وازدادت الثقة بالمقاومة الوطنية اللبنانية وبقائـدها الذي أحكم مع رفاقه المناضلين من كل الفئات قيادة المعركة يساندهم إعـلام المقاومـة فـي خطـة نفسية مدروسة لنقل الخوف والرعب إلى قلوب الصهاينة، ولا سيما حين كان قائد المقاومة يظهر المرة تلو الأخرى على التلفاز ويطلـق عـباراته الشهيرة على التوالي: (سنضرب ما بعد حيفا، ثم ما بعد بعد حـيفا)... وكـان يفعـل ما يقول ما أوقع الرعب في نفوس الصهاينة، وطفقوا

---

[1] *راجع ما تقدم (ص 70) وما بعدها من الفصل الثاني.*

يؤمنون بأن تصريحاته هي الصحيحة على حين أن تصريحات قادة العدو كانت كاذبة...

وفـــي ضـــوء ســـقوط الجيش الأسطورة وخرافة القوة التي لا تقهر فإن نظـــرية (الأمن) التي تبجح بها الكيان الصهيوني قد سقطت؛ وكذلك سقطت كل مفاهـــيم (الحـــرب الاســـتباقية) أمام إرادة المقاومين الأبطال في جنوب لبنان، وبطولاتهم المعجزة التي اعتمدت أسلوب المفاجأة والردع بالمثل، واتخاذ طريقة الخطـــوة خطـــوة والمجمـــوعات القلـــيلة في القتال، فضلاً عن استثمار الأنفاق والتمويه والاختفاء في الوقت المناسب أحسن استثمار.

ثـــم تفـــتقت عبقـــرية الإدارة الأمـــريكية والرئاســـة الفرنسية بقيادة (جاك شيراك)عن قرار مجلس الأمن الجائر (1701) الذي جَهِد العالم في تعديل بنوده بكل ما احتوت عليه من ظلم لقهر لبنان ومقاومته الباسلة إذ خططت تلك الإرادة إلـــى قلـــب انتصار المقاومة الوطنية اللبنانية إلى خسارة مستفيدة من سيطرتها على مجلس الأمن، لتنفيذ قراره (1559) بشأن نزع سلاح حزب الله ...

ثـــم ضُرِب الحصار الصهيوني على لبنان على الرغم من صدور القرار المذكـــور ليؤكد أن قوى الظلم في العالم واحدة، وهي تتركز في القوة الأمريكية التـــي تعـــد أعتـــى قوة في العالم وبخاصة حين انفردت بالقرار الدولي، وطفق الأتـــباع فـــي الخـــارج والـــداخل يصفقون لها... ولا سيما حين شرعنت وقف العدوان الصهيوني بالقرار (1701).

لهـــذا لم يعد هناك ما يقال عن استهزاء الإدارة الأمريكية بعملية السلام، وتـــسخير الأمم المتحدة لمصالحها بعد قرار مجلس الأمن المشار إليه والمتعلق بلبـــنان والقرار الآخر المتعلق بالسودان برقم (1706) بيد أنه يمكننا القول: لقد اتـــضحت للعـــالم أكاذيـــب الإدارة الأمريكية، فهي لم تؤمن بالسلام يوماً، وإنما كانـــت تسعى إلى جعل لبنان بوابة أخرى للسيطرة على الوطن العربي وفرض مـــا يمكـــن أن يطلـــق علـــيه ثقافة الاستسلام والخوف على العرب والمسلمين وأحـــرار العـــالم. ثـــم إن أقنعـــتها قد سقطت بمثل ما سقطت معها الصهيونية الأســـطورة، وفـــي الوقت نفسه سقطت هيئة الأمم المتحدة الخُرافة لأنها غدت ألعـــوبة بـــيد دولـــة مارقـــة فاقدة لقيم العدالة ما جعلها دولة عدوانية عنصرية اســـتعلائية لا تقيم لحقوق الإنسان وزناً ولحقوق الشعوب قيمة، ولاسيما الشعب العربي.

وقبل أن أنهي حديثي عن سقوط خرافة الجيش الذي لا يقهر فإني أذكر بسقوط خرافة أخرى تتعلق بقوة الاستخبارات الصهيونية. وقد تجلى إخفاق

الاستخبارات الصهيونية في العديد من مواقف الحرب، منها أسر الجنديين الصهيونيين من موقع عسكري قرب مستوطنة (أفيفيم) وقتل عدة جنود فيه، وانسحاب مقاتلي حزب الله بسلاسة وأمان، ومنها ــ أيضاً ــ إخفاق العدو بالحصول على معلومات دقيقة عن وجود الأمين العام لحزب الله، وهو ما نتج عنه إنزال وحدة من الكوماندز في البقاع فباءت بالخذلان، ومثلها كانت المعلومات حول وجوده في الضاحية الجنوبية، وفضلاً عن ذلك كله فإن الاستخبارات الصهيونية أخفقت باختراق حزب الله. ومن ثم فلم يَعُد للموساد هذه القدرة التي سوّقها العدو لجهازه، على اعتبار أنه عجز ــ حتى الآن ــ عن معرفة مكان الجندي الصهيوني (جلعاد شاليط) الذي أسرته المقاومة الفلسطينية بعد إصابة دبابته ومقتل قائدها في (2006/6/25م) ولا مثيل لهذا السقوط المخزي إلا عجز الإدارة الأمريكية عن العثور على قادة القاعدة أسامة بن لادن والمُلاّ (عمر) في أفغانستان، علماً بأن تاريخ الحروب الأمريكية تؤكد أنها كانت تختار أهدافها الضعيفة لضربها كما رأينا في حرب فيتنام، وغرينادا ولبنان (1983م) والبوسنة والهرسك، وأفغانستان والعراق... وليس لدينا شك في أن طائراتها وصواريخها المتطورة تستطيع تدمير الحياة على الأرض من مكان بعيد، لكن جنودها إذا وضعوا أقدامهم على الأرض العربية فإنها سرعان ما تغوص في القاع وينكشف ضعفهم، وتظهر خيبة إدارتهم. ولا شيء أدل على هذا ممّا يجري في العراق.

وبعدُ، فهل يعني كل ما أشرنا إليه أن الكيان الصهيوني الذي اعترف قادته راغمين بعدم قدرتهم على تحطيم قدرة حزب الله ونزع سلاحه سيصبح راغباً في السلام العادل والشامل؟! وهل استطاع وعي الدرس الأخير جيداً أم أنه ماضٍ في ضلاله وأكاذيبه؟ الجواب يؤكده مؤتمر (هرتسليا) السابع الذي عقد في الفترة ما بين (21 ــ 24/ 1/ 2007م) والذي ينظمه سنوياً (معهد السياسة والاستراتيجية) و(مدرسة لاودر للحكم والدبلوماسية والاستراتيجية). وتعددت فيه الآراء والأبحاث، ولعل من أهمها أن مبدأ ((الأرض مقابل السلام)) لم يعد يلبي هدف الصهاينة، ولا بد لهم من تقوية المصطلحات الصهيونية الوطنية، وتعزيز المناعة القومية للصهاينة، و((على إسرائيل أن تتمترس وراء مواقفها [السياسية] إلا إذا اختارت شنَّ الحرب، كما يستدل من توصيات بعض المتحدثين))[1]

[1] *مجلة الأرض ــ العدد 3 ــ 2007م ــ ص 38.*

أما (عمير بيرتس) وزير الدفاع الصهيوني في حرب تموز فقد ذهب إلى أن تحقـيق الـسلام يوجب على الكيان الصهيوني أن يضرب المقاومة الوطنية اللبنانية والعربية (ضربة قاسية) لم يعرفوا نظيراً لها.[1].

ومـن ثم فقد قدَّم الموساد الصهيوني اقتراحات عديدة باغتيال حسن نصر الله ورفاقـه، أو نفيهم إلى طهران،[2] في الوقت الذي مازال يسعى إلى محاسبة سـورية وعزلها ومعاقبتها لدعم المقاومة الوطنية اللبنانية. وعليه فإن المشروع الـصهيوني العنصري يحاول أن يسترد قوّته الردعية ويعيد بناء قدراته البشرية والعـسكرية... فقادته لم يؤمنوا يوماً بأن مشروعهم قد هُزم، بل هم يظنون أنه قـادر علـى قلـب الأوضـاع ولا سـيما إذا تحقـق تحوّل نوعي في الإعداد الاسـتراتيجي مـن أجـل معركة فاصلة مع سورية والمقاومة الوطنية اللبنانية بقـيادة حـزب الله في الوقت الذي تسعى إلى تمزيق مقاومة الشعب العربي في فلسطين والعراق وتأليب العالم عليها.

ومـن ثـم علينـا تأسـيس الإرادة الصلبة وتنمية الوعي بثقافة المقاومة ومفاهيمها وأساليبها وجعلها أصل بناء حياتنا وأوطاننا، مع الاندماج الحقيقي في النضال القومي والإنساني.

ولا بـد لـنا من الاستغلال الأمثل لمواردنا ووسائل التثقيف والإعلام في كل مجال؛ حتى يمكننا الصمود والنهوض الفكري والحياتي.

وفـي ضـوء ذلـك كله تبين لنا الفرق الكبير بين ما نحن عليه من تنابذ وفـرقة فـي المواقف والآراء، وبين ما هو عليه عدونا المتربص بنا وبأرضنا، ومـن ثـم علينـا أن ندرك أن ثقافة السلام تعد جزءاً من ثقافة المقاومة، ولكنها ليـست الـسبيل الوحيد للمقاومة، فهناك أنماط مادية عسكرية إعلامية ينبغي أن نوفـرها لمجابهة عدونا وعلينا أن نفهم بأن سياسة الاستسلام تعد ثقافة مساومة ومذلة و.... وهي مرفوضة شكلاً ومضموناً.

وهذا كله ينقلنا إلي خاتمة توجز بعض النتائج التي توصلنا إليها وإن كان البحث قد ضمَّ عدداً كبيراً منها.

❂❂❂

---

[1] انظر صحيفة (يد يعوت أحر ونوت ـ 14/ 7/ 2006م ـ مقال لأليكس فيشمان.

[2] انظر صحيفة الخليج (25/ 7/ 2006م).

الخاتمة

تعـد الـثقافة ــ قديماً وحديثاً ــ الوجه الأنصع للحضارة، ومن ثم فهي بمعناها الوجودي والأنثروبولوجي تتصدر حياة الأمم الحية، وتشغل بال كل فرد فيها... لأنها تمتلك في طبيعتها رؤية صنع الأحداث الجسام، وتوجيه المتغيرات الأساسية في حياة الناس على مختلف الصُعُد لبناء المستقبل الفاعل.

ولعـلّ مـن أعظم التحولات الفكرية الوطنية والاجتماعية والإنسانية ما يتجلـى بفكرة التحرر من الاستعمار، أو الدعوة إلى التحرر من التخلف والجهل والتبعـية.... وهـو مـا أطلـق علـيه في تاريخنا الفكري والسياسي والأدبي والاجتماعـي فكـرة الجهاد بالنفس والمال... فما آل إليه التفكير العربي يبعث علـى الخوف... ليس ــ فقط ــ على اعتبار أننا أخذنا نحاكم تاريخنا النضالي القـريب والبعـيد، وفق الرؤى الإيديولوجية الجديدة، بل على اعتبار أننا أخذنا نـؤمن بمفاهيم الآخر المناقض لنا في فلسفته، وتفسيراته لكل ما ورثناه من قيم ومبادئ، لأنه الأقوى عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وإعلامياً وتقنياً وعلمياً و.....

ومـن هـنا نـرى أن فكـرة الجهاد المقابلة للكفاح التحرري حملت كل تـشوهات الفكـر الغربي وثقافته وسلوكه فصارت تلتصق بمفهوم قتل الأبرياء، وإرهـابهم، وتـرويع الآمنين المطمئنين... وكل من يدعو إليها فهو إرهابي لا يملـك مـن الحضارة والأخلاق والإنسانية شيئاً... وما دام الإسلام يتبنى فكرة الجهـاد في تعاليمه وعقيدته فهو قرين للإرهاب أو الرعب أو الهول (Terror ism) ومن ثم صار المسلم أو العربي إرهابياً ناشراً للرعب (Terrorists).

ومهمـا قـيل في هذا الشأن فإن العرب لا يختلفون عن بقية المجموعات البـشرية فـي نهـج سبيل المقاومة وبيان ماهيتها وجدواها في تخليص الذات الفـردية والجماعية والأوطان من القهر والسيطرة والاحتلال واستغلال الموارد البـشرية لحـساب الأقوى؛ علماً بأن المقاومة منذ قديم الزمان قد أخذت أنواعاً

شـملت كـل جـوانب الحياة مادية وروحية؛ ثقافية وسياسية، اقتصادية وتقنية، علمـية وإعلامـية و.. فردية وجماعية، داخلية وخارجية، باعتبارها دفاعاً عن الـذات والوجود وهو ما نراه مثلاً في مقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين، والأمريكـي في العراق... ومن هنا ندرك أن المقاومة مقدسة عند الأمم المختلفة وفـق ما وقع على أوربا من ظلم العدوان النازي وتدمير أجزاء كثيرة منها، ما فـرض علـيها مقاومته، مما جعل مصطلح المقاومة يدخل في المعاجم الفرنسية إبـان الحرب العالمية الثانية على اعتباره مواجهة الاجتياح الألماني بقيادة هتلر والـنازية، ثم غدت مقاومة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية. فالمقاومة عند الـشعوب مـشروع تحـرري وطنـي مارسـته بأشكال شتى، وكذا كانت عند الفيتناميين وغيرهم.

وهـذا كلـه أكـد لنا أن المشروع الأمريكي الصهيوني إنما هو مشروع احتلال وهيمنة ولا بد من مقاومته بكل الأساليب.

وفـي ضـوء ذلك حاولنا أن نقف عند المقاومة الوطنية اللبنانية ثم عند انتفاضـة الأقصى التي جرت أقلام كثيرة بالحديث عنها واختلفت حول جدواها وأشـكالها، ونتائجها ... وبخاصة بعد أن تخلصت إسرائيل – بالسم – من ياسر عرفات.

ونـرى أنـه ما من باحث في أي موضوع قد قال الكلمة الأخيرة، ولهذا فإن ما قدمه الآخرون في الحديث عن المقاومة الوطنية اللبنانية وعن الانتفاضة أصـبح جزءاً لا يتجزأ من مادة كل بحث ومن ثم فقد أفاد بحثنا منها لكنه يطمح إلـى أن يـضيف كلمة أخرى في شأنها وإذا كانت هذا الرؤية تمثل مشروعية الـبحث العلمـي فإن أي بحث يعالج القضايا الوطنية والقومية الكبرى يصبح ذا نكهة خاصة لأنها تمثل روح التعبير عن الوجود والانتماء ...

وقـد اسـتطاع كل من المقاومة الوطنية في فلسطين والعراق ولبنان أن يعمـق هوية الإنسان العربي طفلاً أم شيخاً وأدرك أن المقاومة الشعبية النضالية وحدها من تحقق له تطلعاته ولذلك لا بد من التضحية. ومن ثم دخلت المرأة في عمق الصراع العربي الإسرائيلي، وطورت المقاومة أنظمتها وخططها، وأخذت ترسـم آفاقهـا المـستقبلية بخلق الوعي والخبرة والحنكة في التعامل مع الكيان الـصهيوني والـدول الداعمـة لـه، ومن ثم تنمية آليات الحفاظ على الوجود

والأرض بتـــربية وطنـــية ترتبط بالعمق العربي والإسلامي والإنساني، وتعرية طـــروحات الصهيونية حول أرض الميعاد والأرض الخالية، وخرافة شعب الله المختار، وفضح كذبة هيكل سليمان بعد أن أثبتت المكتشفات الأثرية اختلاقها.

ومـــن ثـــم انتهى كل من المقاومة الوطنية اللبنانية والعراقية، والانتفاضة إلى تحقـــيق وعـــي وخبرة وثقافة أصلت لثقافة المقاومة الحرة كما أصّلت للثقافة العربية الإســـلامية المتـــسامحة التـــي أكدت أنها ثقافة سلام ولم تكن يوماً ما ثقافة استسلام وخـــوف ... وأكـــدت فـــي الوقت نفسه تضافر القوة المادية والخبرة العسكرية مع مفهـــوم الإسهام الحقيقي في تبني آليات إعلامية وتقنية فضائية لإيضاح حقيقة الكيان الـــصهيوني، مما أدى إلى كسب الرأي الدولي والوقوف من الآخر داخلياً وخارجياً موقف الواعي المنفتح على أفكاره دون اتهام أو محاباة.....

وهـــذا لا يعنـــي أن الـــثقافة الوطنية أو القومية صارت قابلة للتسليع في ســـوق التداول والتفاوض، أي إن ثقافة السلام لا تماثل ظاهرة الاستسلام، وهي ليـــست كـــذلك. فثقافة السلام تعد منهجاً فعالاً لمواجهة ما يتعرض لـــه الإنسان ولهذا فإن ثقافة السلام تعد جزءاً أصيلاً في تشكيل الوعي الثقافي للفكر السياسي وتمكين ثقافة المقاومة والتحرر، فردياً وجماعياً، وطنياً وقومياً وإنسانياً، أياً كان الـــشكل الـــذي تتخذه أو الحقل الذي تتفاعل فيه، وعلى مُختلف الصعد السياسية والثقافية والاقتصادية والإعلامية، والأدبية، و ....

هكـــذا يتـــضح لدينا أن ثقافة السلام ثقافة مقاومة تتشبث بالأرض والحق ولـــم يكـــن أي عمـــل بطولي جهادي خيالاً أو تخيّلاً وهمياً فقد شهدناه حركات نـــضال علـــى مـــستويات عدة، ابتداءً بالمفكرين والساسة الأبطال في ساحات فلـــسطين ولبـــنان والعـــراق والسودان والصومال وانتهاء بالأقلام الأدبية التي عبَّـــرت عـــن ذلـــك في القصة والرواية والأشعار والمسرحيات... أو في تلك اللـــوحات الفنـــية التي ظهرت بالألوان والإيقاعات الموسيقية التي تمجد البطولة وصـــمود الأحـــرار، على حين كانت سياسة الاستسلام تقوّي ازدواجية الولاء للـــوطن ولغيـــره، فيتمزق الانتماء ويسهل تدمير الكينونة الذاتية للفرد والمجتمع والـــوطن، إذ تنتقل الشخصية من انفصام إلى انفصام ذاتياً ووطنياً وقومياً و... فـــي الـــوقت الـــذي تنـــتقل المفاخر الوهمية إلى ركام من القرارات المذلة التي أرادت للـــشعب العربـــي أن يعيش على هامش الحياة، وهو يلعق مرارة اليأس

والقلــق والإحــباط والخوف والهزيمة. فسياسة الاستسلام التي تُسوقها الدوائر الغــربية باســم ثقافة السلام وفق الخطاب الأمريكي الصهيوني؛ إنما تنتهي إلى تجزئة مفهوم الوحدة الوطنية، ليصبح الوطن دولاً متعددة، بعد أن غدت القومية حلمــاً بعــيداً أي لــم يعد هناك حاجة إلى الدولة الوطنية الجامعة لأعراق عدة، ومــذاهب دينية شتى. فالواقع الراهن ــ كما يرى هذا الخطاب ــ يفرض إقامة دويــلات مذهبية أو عرقية تحت أي مسمًى كان. فإذا كانت الدولة القطرية عقبة كــأداء لتحقيق الدولة القومية، فإن كل ما قيل هو الخطر الذي هَدَّد تحقيق الدولة الوطنية والقومية باعتبارها مستندة إلى مفهوم العروبة ولهذا تبقى ثقافة المقاومة ضــرورة وعــي ووجــود للحفاظ على الذات والوطن والأمة، وضمان للحرية الفردية والجماعية، وأصل للسيادة والاستقلال.



المصادر والمراجع

1 ــ الآثار الكاملة لغسان كنفاني ــ مركز الدراسات ــ 1968م ــ ط8.

2- أبعـــاد القضية الفلسطينية من المناورات الدولية إلى انتفاضة الأقصى - عبد الله خلف - دار الوطن للطباعة - الكويت - ط1 - 2001م.

3- أثـــر الانتفاضـــة فـــي الهوية الجماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة - محمود معياري - مجلة الدراسات الفلسطينية - بيروت - ربيع / 2004.

4 ــ الاحـــتلال الإســـرائيلي وشرعية المقاومة والعمليات الاستشهادية ــ د. غازي حسين ــ اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق ــ 2007م.

5 ــ الأدب الـــصهيوني وتضليل الرأي العام ــ فؤاد سليم أبو زريق ــ اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق ــ 2000م.

6- أزمـــة فلـــسطين بـــين الحقائـــق والتزوير - مروان الماضي - الأهالي للطباعة والنشر - دمشق - ط1 - 2001م.

7ــــ الاســـتراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية ــ د. هيثم الكيلاني ــ مركز دراسات الوحدة العربية ــ بيروت ــ ط6 ــ 1991م.

8- الاستيطان الصهيوني (محاضرات في الاستيطان الصهيوني) - د.طلال ناجي - مؤسسة الرؤى للطباعة والنشر - بيروت - ط1-2004م.

9- أســـطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية - عرض وتوثيق هشام آل قطيط - دار النمير للطباعة و النشر - دمشق - ط1- 2004م.

10 ــ الأصـــمعيات ــ للأصمعي ــ تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ــ دار المعارف بمصر ــ القاهرة ــ ط4 ــ 1976م.

11 ــ أضواء على الفكر الصهيوني، سميح القاسم، دار القدس، بيروت، 1978م.

12 ــ الاعتبار، أسامة بن منقذ، أخرجه فيليب حتّي، جامعة برنستون، 1930.

وقد رجعنا إلى طبعتين للكتاب وهما:

أ ــ مراجعة الدكتور حسن الزين ــ دار الفكر الحديث ــ بيروت ــ 1988م.

ب ــ تعلـــيق الدكـــتور عبد الكريم الأشتر ــ المكتب الإسلامي ــ دمشق ــ 2003م ــ ط 2.

* ــ الأعمال الكاملة ــ غسان كنفاني ــ الدراسات ــ 1968م.

13 ــ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د/ت.

14- الاغتـــيالات الإســـرائيلية - والتصفيات السياسية - عماد لبد - مجلة رؤية - السنة الأولى - العدد 12- أيلول /2001م.

15- الاغتـيال الانتقائي الإسرائيلي - آمال الخزامى - مجلة رؤية - السنة الثالثة - العدد 28-آذار مارس 2004م.
16 ـ امبـراطورية كل الأرض، أو خفايا (النظام العالمي الجديد) ـ ف. ي كرلوف ـــ ترجمة م. منتخب يونس ـ منشورات دار علاء الدين ـ دمشق ـ ط1 ـ 2007م.
17- انتفاضة الأقصى - دروس وعبر - علاء الدين معصوم حسن - مجلة الأسبوع الأدبي - اتحاد الكتاب العرب - دمشق - العدد 890-2004/1/10م.
18- الانتفاضـتان الفلسطينيتان - أوجه الشبه والاختلاف - د. أسعد عبد الرحمن - جريدة الاتحاد - أبوظبي - الإمارات - تاريخ 2004/3/19م.
19- انتفاضـة الحجـارة - عبد الجبار عدوان - جريدة الشرق الأوسط - 12/30/ 1990م.
20 ـ الإيديولوجية الصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1983م.
21 ـ بـذور الفتـنة الطائفية في لبنان ـ النظام السياسي اللبناني ـ د. محمد سعيد عكام، دار البراق ـ بيروت ـ ط1 ـ 2006م.
22 ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، المكتب العصرية، بيروت، ط 3، 1970م.
23- الـتطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية - محمد يونس الحسيني- القدس -1946م.
24- الـثقافة القومية وتداعيات العولمة - ماجد السامرائي - مجلة الفكر السياسي - السنة السابعة - العدد 20- اتحاد الكتاب العرب - دمشق - خريف 2004م.
25 ـ ثقافة المقاومة ـ مجموعة باحثين ـ كلية الآداب والفنون ـ جامعة فيلادفيا ـ عمان ـ الأردن ـ 2005م.
26 ـ الجامع الصغير من حديث البشير النذير، للسيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار خدمات القرآن، القاهرة، د/ت.
27- جدلية الإرهاب وحق الشعوب في المقاومة - نواف الزرو - مجلة رؤية السنة الثانية - العدد 16/شباط 2002م.
28- جذور القضية الفلسطينية - إميل توما - دار الجيل - بيروت.
29 ـ جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، دار الحداثة، بيروت، ط 1، 1985م.
30- الجهاد الاحصائي الفلسطيني (WWW.pnic. Gov. Ps).

31- جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن – أبو بصير صالح مسعود – دار الفتح للنشر – بيروت – ط3 – 1970م.

32- حـــائط البراق بين الملكية الإسلامية والانتحال اليهودي – مجلة المتحف العربي – الكويت – عدد 3.

33ـ حضارة العرب ـ غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ط2 ـ 2000م.

34- حق العودة بين القرار 194 ووثيقة جنيف – د. علي عقلة عرسان – انظر رقم (13) مما تقدم.

35 ـ الحيوان في الشعر الجاهلي، تأليف: د. حسين جمعة، دار دانية، دمشق، ط 1، 1989م.

36- دوائــر الخـــراب : الاستــشراق والعنصرية الصهيونية – سمير صالح – دار النمير – دمشق – 2002م.

37 ـ ديوان الأعشى الكبير، تحقيق د. محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلامي، دمشق/ بيروت، 1994م.

38 ـ ديوان البحتري، شرح د. محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1999م.

39 ـ ديوان دريد بن الصمة، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

40 ـ ديــوان الشنفرى، تحقيق د. إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1991م.

41 ـ ديوان طفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1968م.

42 ـ ديــوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، صححه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، د/ت؟

43 ـ ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق د. علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1991م.

44 ـ ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

45 ـ الرثاء في الجاهلية والإسلام، د. حسين جمعة، دار معد، دمشق/ط1، 1991م.

46 ـ رجال من فلسطين المحتلة – عجاج نويهض – بيروت – 1968م.

47 ـ الروضتين في أخبار الدولتين، لأبي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، دار الجيل، بيروت، 1974م.

48 ــ السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق صححه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث، بيروت، د/ت.

49- سـيف الانتفاضـة ورقبة الاقتصاد الإسرائيلي – د. علي أسعد عبد الرحمن – جريدة الاتحاد – أبو ظبي – الإمارات – 2004/8/25م.

50 ــ شـرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار فراج،راجعه محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1965م.

51 ــ شرح ديوان أبي تمام، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1998م.

52 ــ الـشرق أوسـطية من المصطلح إلى المشروع السياسي ــ د. مجيدة بدور ــ مجلة المعلم العربي ــ دمشق ــ وزارة التربية ــ العدد (1 +2) السنة (58) عام 2005م.

53 ــ شـعر زهيـر بن أبي سلمى ــ للأعلم الشنتمري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة ــ بيروت، ط 3، 1980م.

54 ــ شعر ابن القيسراني، تحقيق د. عادل جابر، الوكالة العربية للتوزيع، الزرقاء، الأردن، 1991م.

55 ــ صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د/ت.

56 ــ صـدام الحضارات ــ صموئيل هنتنغتون ــ ترجمة طلعت الاشيب ــ بيروت ط2 ــ 1999م.

57 ــ صـفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار ــ الدكتور محمد علي داهش ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ ط1 ــ 2002م.

58- الصهيونية غير اليهودية – ريجينا الشريف – ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز – سلسلة عالم المعرفة – الكويت رقم 96-1985م.

59 – الصهيونية والعنف – عبد الوهاب المسيري- دار الشروق – بيروت – ط1- 2001م.

60 – صـورة إحصائية عن الأوضاع الفلسطينية في الوطن والشتات – أحمد يونس – مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية – دمشق – عدد 2001/11م.

61 ــ صورة العربي في الأدب العبري ــ إيهود بن عيزر ــ ترجمة د. أحمد حماد ــ دار الحمراء للطباعة ــ بيروت ــ ط 1. 2001م.

62 ــ صـورة العربي في كتاب (رحلة من باريس إلى القدس، لشاتوبريان) وكتاب (مراسـلات) لفلوبير؛ فصل: رحلة إلى الشرق) د. أميرة مصطفى عيسى، بحث

مقدم لندوة (الأدب وحوار الحضارات) قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، 12 ـــ 14، تشرين الأول/2002م.

63 ـــ صورة المسلم في قصص الأطفال الأسبانية (حكايات أسبانيا) للكاتبة: (أ. خيمينييث لاندي) أنموذجاً، إعداد: د. يونس شنوان، بحث مقدم للندوة المشار إليها في المصدر السابق.

64 ـــ ظاهـــرة الإســـلاموفوبيا ـــ قـــراءة تحليلية ـــ خالد سليمان ـــ مجلة ثقافتنا ـــ طهران ـــ مجلد 3 ـــ عدد 12 ـــ خريف 2006م.

65 ـــ عيون الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، لأبي شامة المقدسي، تحقيق أحمد البيسومي، وزارة الثقافة، دمشق، 1991م.

66 ـــ الفتح القسي في الفتح القدسي، للعماد الأصفهاني، تحقيق محمود محمد صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د/ت.

67 ـــ فـــتوح الشام للواقدي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ط 4، 1966م.

68 – الفلـــسطينيون بـــين الهـــوية القومية والهوية الدينية – موسى البديري – مجلة الدراسات الفلسطينية – العدد 21– شتاء /1995م.

69 ـــ في أصول الشريعة ـــ لأبي اسحق الشاطي ـــ تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي ـــ المكتبة العربية ـــ صيدا ـــ لبنان ـــ 2004م.

70 ـــ قامـــوس مـــصطلحات الأنثولوجيا والفلوكلور ـــ إيكة هولتكرانس ـــ ترجمة محمد الجوهري و د. حسن الشامي ـــ دار المعارف ـــ مصر ـــ ط2.

71 – القانـــون الدولـــي المتعلق بسير العمليات الفدائية – (مجموعة اتفاقيات لاهاي وبعض المعاهدات الأخرى)– صادر عن لجنة الصليب الأحمر الدولية – جنيف –1996م.

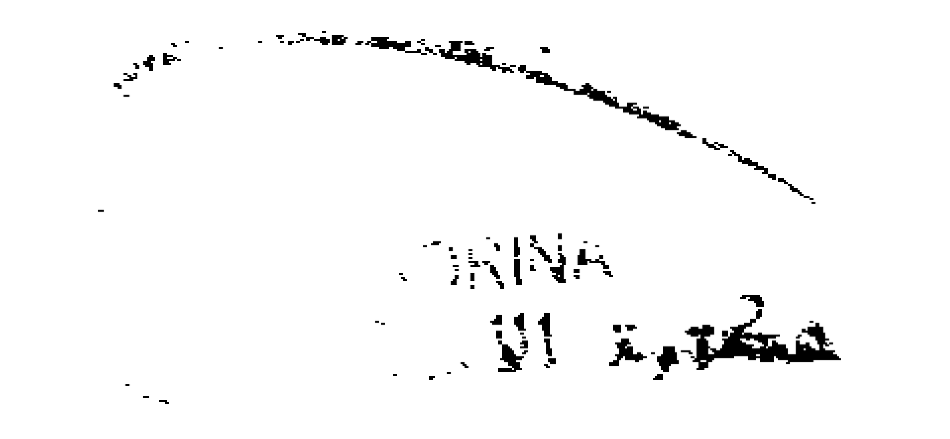
72 ـــ القبيلة الثالثة عشر ويهود العالم ـــ ترجمة أحمد نجيب هاشم ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ القاهرة ـــ 1991م.

73 ـــ القـــرارات الصهيونية بحق القدس – أحمد الأشبري – دار الحق – بيروت – 2002م.

74 ـــ قصيدة الرثاء، جذور وأطوار، د. حسين جمعة، دار النمير، دمشق، ط 1، 1998م.

75 ـــ كتاب الردة للواقدي، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

76 ـــ الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، 1980م.



77- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر - بيروت - 1955 - 1956م.
78- المثقف العربي وآفاق الواقع - د. حسين جمعة - انظر قم (13) مما تقدم.
79- مجلة فلسطين المسلمة - محمد جمال القدسي - أيلول - 2004م.
80 ـ مجلة الكفاح العربي، بيروت، عدد 815.
81 ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1987م.
82- محاضرات في الصهيونية - د. طلال ناجي.
83 ـ المرأة الصليبية، دراسة في تاريخ المجتمع الفرنجي في بلاد الشام، طه، الطراونة، مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، الأردن، مج 8، عدد 1، 1993م.
84 ـ المرأة والطفل الفلسطيني في الذكرى الرابعة للانتفاضة - نبيل السهلي - صحيفة اللواء اللبنانية - 2004/9/30م.
85 ـ مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى - د. أمين عبد الله محمود - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - رقم 74-1984م.
86 ـ المـــشروع الصهيوني والسلام الإسرائيلي - حقائق ووثائق - عدنان مصطفى بيلونة - بيرود للطباعة - دمشق - 2000م.
87 ـ مشروع القومية العربية إلى أين ـ د. حسين جمعة ـ دار الفرقد ـ دمشق ـ 2006م.
88 ـ معـــالم المشاركة الاجتماعية لانتفاضة الأقصى - غازي خلف - مجلة الوحدة الإسلامية - السنة الثالثة - العدد 29- نيسان /ابريل 2004م.
89 ـ المعجـــم الأدبـــي ـ جبور عبد النور ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط2 ـ 1984م.
90 ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
91 ـ المعمرون والوصايا، لأبي حاتم السجستاني، تحقق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د/ت.
92 ـ المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 5، 1976م.
93 ـ مكـــان تحت الشمس ـ فتن يامو ـ ترجمة محمد عودة الدويري ـ مراجعة كلثوم السعدي ـ دار الجليل ـ عمان ـ 1995م.

94 ـ الموجز في تاريخ فلسطين منذ فجر التاريخ حتى عام 1949- د. الياس شوفاني – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت – 1996م.

95 ـ الموسوعة الفلسطينية – اصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية – في أربعة مجلدات – دمشق ط1- 1984م.

96 ـ موقع مركز الإعلام الفلسطيني بعد أوسلو : دراسة تحليلية نقدية – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت.

97 ـ النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو : دراسة تحليلية نقدية – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت.

98 ـ النموذج الانتفاضي والأزمة الصهيونية – عبد الوهاب المسيري – جريدة الاتحاد – أبو ظبي – الإمارات – 1997/4/11م.

99 ـ نهايــة التاريخ والإنسان الأخير ـ فرنسيس فوكوياما ـ مركز الإنماء العربي ـ بيروت 1993م.

100- الواقــع الـسكاني والاقتصادي في الضفة والقطاع – نبيل محمود السهلي – مجلة فلسطين المسلمة – العدد العاشر – تشرين الأول / اكتوبر – 2002م.

101- وثائــق الحــركة الوطنية الفلسطينية (1918-1939) أوراق أكرم زعيتر – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت – 1979م.

102- اليهود : عقائد وتاريخ إجرامي – نافذ كاسر سويد – مؤسسة سندباد – دمشق – ط1- 2003م.

دوريات أخرى :

1- جــريدة الأسبوع الأدبي – اتحاد الكتاب العرب – دمشق – عدد 932- 13/11/2004م.

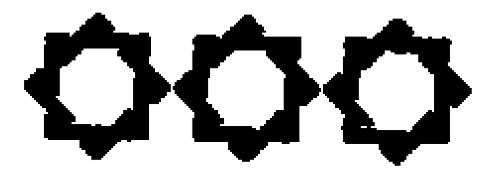
2- صحيفة تشرين – دمشق – سورية – 2004/9/17م.

3- صحيفة المستقبل – بيروت – لبنان – 2004/9/30.

4 جريدة الوحدوي ـ دمشق ـ العدد 249 ـ 2007/4/15م.

5 ـ مجلة جيش الشعب ـ دمشق ـ العدد (1965م) ـ 2007م.

6 ـ مجلة الأرض ـ دمشق ـ العدد (3) آذار ـ 2007م.



المحتوى

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

المقاومة: قراءة في التاريخ والواقع والآفاق: دراسة/ حسين جمعة. ـ دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2007. ـ 161 ص ؛ 25 سم.

1- 320,956 ج م ع م 2- العنوان 3- جمعة

ع- 2007/8/1573

مكتبة الأسد



أ. د حسين علي جمعة

ــ دكتوراه في الأدب العربي ــ جامعة دمشق.

ــ أستاذ الأدب القديم والدراسات العليا بجامعة دمشق.

ــ أستاذ الأدب القديم والنقد بجامعة قطر ١٩٩٢ ــ ١٩٩٧م.

ــ رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق للآداب.

ــ رئيس اتحاد الكتاب العرب.

ــ شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية محلياً وعربياً ودولياً.

من مؤلفاته المنشورة:

١ ــ الحيوان في الشعر الجاهلي ــ دار دانية ــ دمشق ــ ١٩٨٩.

٢ ــ مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية ــ دار دانية ــ دمشق ١٩٩٠.

٣ ــ الملل والنحل للشهرستاني ــ عرض وتعريف ــ دار دانية ــ دمشق ١٩٩٠.

٤ ــ الرثاء في الجاهلية والإسلام ــ دار معدّ ــ دمشق ــ ١٩٩١.

٥ ــ مختارات من الأدب في صدر الإسلام ــ بالاشتراك ــ جامعة دمشق ــ ١٩٩٢.

٦ ــ قراءات في أدب العصر الأموي ــ جامعة دمشق ــ ١٩٩٣.

٧ ــ قصيدة الرثاء ــ جذور وأطوار ــ دار النمير ومعد ــ دمشق ــ ١٩٩٨.

٨ ــ في جمالية الكلمة ــ دراسة بلاغية نقدية ــ اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق ــ ٢٠٠٢.

٩ ــ ابن المقفع بين حضارتين ــ المستشارية الإيرانية بدمشق ــ ٢٠٠٣.

١٠ ــ إبداع ونقد ــ قراءة جديدة للإبداع في العصر العباسي ــ دار النمير ــ دمشق ــ ٢٠٠٣.

١١ ــ المسبار في النقد الأدبي ــ اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق ــ ٢٠٠٣.

١٢ ــ نصوص من الأدب العربي المعاصر ــ بالاشتراك ــ جامعة دمشق ــ ٢٠٠٥.

١٣ ــ جمالية الخبر والإنشاء ــ دراسة جمالية أسلوبية ــ اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق ــ ٢٠٠٥.

١٤ ــ التقابل الجمالي في النص القرآني ــ دار النمير ــ دمشق ــ ط١ ــ ٢٠٠٥.

١٥ ــ مرايا للالتقاء والارتقاء بين الأدبين العربي والفارسي ــ اتحاد الكتاب العرب ــ

١٦ ــ مشروع القومية العربية ــ دار الفرقد ــ دمشق ــ ٢٠٠٧.

١٧ ــ البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي ــ (مجلة عالم الفكر ــ الكويت مج ٢٥ ــ ٧٧

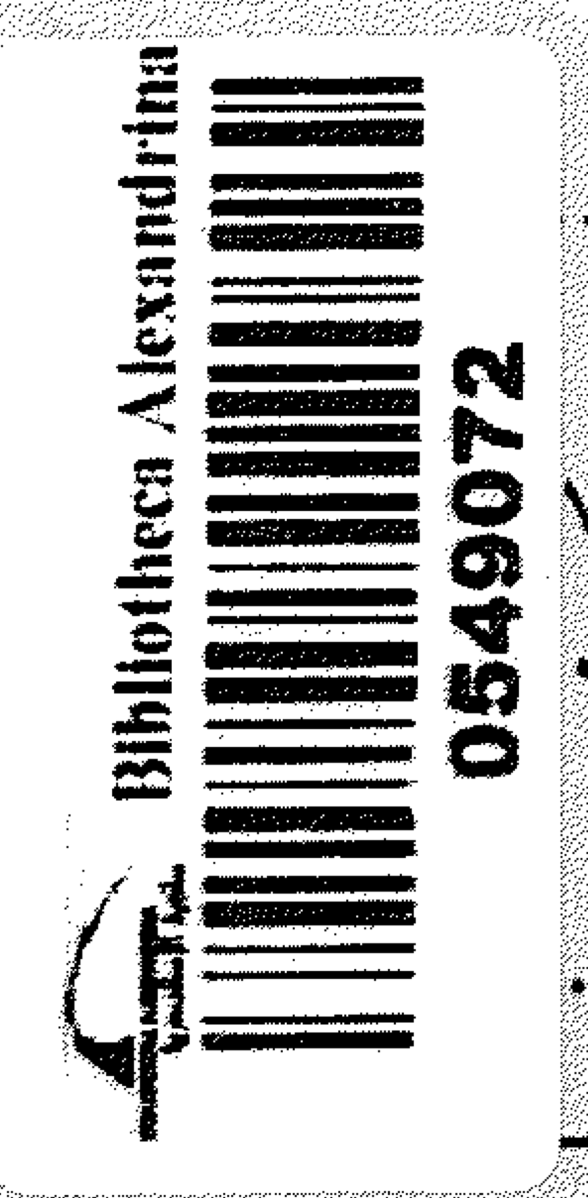
١٨ ــ ابن رشيق وآراؤه النقدية ــ (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ــ مج ٧٦ ــ ١٠

١٩ ــ جمالية التصوف مفهوماً ولغة ــ (مجلة الموقف الأدبي ــ عدد ٤٦٣).

٢٠ ــ فكرة الزمان في الدراسات العربية ــ (مجلة التراث العربي ــ عدد ٨٦ ــ ٨٧).

٢١ ــ جمالية اللسان في اللغة والحياة ــ (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ــ مج ٧٦ ــ

٢٢ ــ أدب الخيال في رسالة الغفران للمعري ــ (مجلة التراث العربي ــ عدد ٨٧).



مطبعة اتحاد الكتاب العرب

دمشق

ثمن النسخة ١٧٥ ل.س في القطر

٢٢٥ ل.س في أقطار الوطن العربي